
مهيج الأحزان
ومثير الأشجان



تأليف

العلامة الكبير والمحدث الشهير
السيد عبد الله شبر

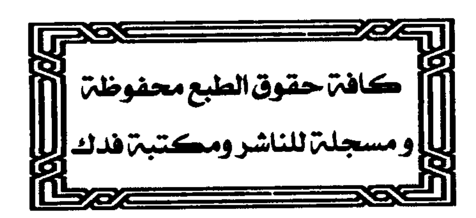
تحقيق

كريم عبد الرضا

مكتبة فدك لإحياء التراث

مهيج الأحزان ومثير الأشجان

العلامة السيد عبد الله شبر





- الناشر: باقيات
- الكمية: ٢٠٠٠ نسخة
- المطبعة: وفا
- الطبعة: الأولى
- تاريخ الطبع: ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ.ق
- القطع وعدد الصفحات: وزيري - ٣٠٤ صفحة

شابك: ٩٧٨-٩٦٤-٦١٦٨-٦٥-٧

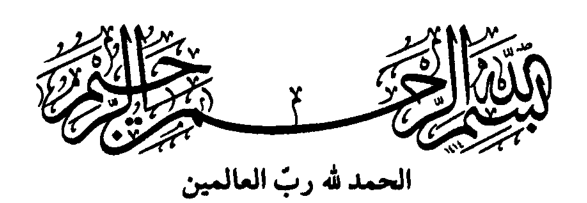
عنوان الناشر: ايران - قم - شارع معلم - رقم ٤٤ - تلفون: ٧٧٤٣٩٠٠

مركز التوزيع: ايران - قم - مجمع الإمام المهدي (عج) - الطابق الأرضي
رقم ١١٧، ١١٦ - تلفون: ٧٨٣٣٦٢٤




بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر



الحمد لله ربّ العالمين

والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله محمّد المصطفى ،

وعلى آله الطيّبين الطاهرين

مساهمة منها في إحياء ونشر التراث الشيعي ، تقدّم مكتبة فدك للمكتبة الإسلاميّة أثراً نفيساً آخر من نفائس عَلَمٍ من أعلام الإسلام الكبار ، هو السيّد عبدالله شبّر ، راجين من المولى القدير أن يجعله لنا ذخراً ، وينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إنّه سميع مجيب.

المؤلّف

اسمه ونسبه:

هو السيّد عبدالله بن محمّد رضا بن محمّد الحلّي بن محسن العالم بن أحمد بن عليّ الفقيه بن أحمد بن محمّد ناصر الدين بن شمس الدين محمّد بن محمّد نعيم الدين بن رجب بن الحسن ، الملقّب بـ(شبّر) بن محمّد بن حمزة بن أحمد بن الشريف علي برطلة بن أبي عبدالله الحسين بن أبي الحسن عليّ بن عمر (شهيد فخّ) بن الحسن الأفطس بن عليّ الأصغر بن الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام عليّ بن أبي طالب عليهم السلام .

وآل شبّر من أُسر العراق العلميّة المشهورة ، وأقدمها في الهجرة ، وكان مقرّها الأصلي في مدينة الحلّة.

ولادته ونشأته:

ولد السيّد عبدالله سنة ١١١٨هـ في مدينة النجف الأشرف ، ونشأ وترعرع على يدي أبيه العلّامة السيّد محمّد رضا ، غارساً في روحه التقوى والصلاح وحبّ العلم.

أساتذته:

١ ـ والده السيّد محمّد رضا.

٢ ـ السيّد محسن الأعرجي الكاظمي.

٣ ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

٤ ـ الشيخ أسد الله الكاظمي ، وغيرهم.

تلامذته:

١ ـ الشيخ إسماعيل أسد الله.

٢ ـ الشيخ عبدالغني الكاظمي.

٣ ـ السيّد عليّ العاملي.

٤ ـ الشيخ محمّد رضا زين العابدين.

٥ ـ السيّد هاشم آل السيّد راضي.

٦ ـ السيّد محمّد علي الأعرجي.

٧ ـ الشيخ حسين محفوظ العاملي.

٨ ـ الشيخ أحمد البلاغي.

٩ ـ الشيخ محمّد إسماعيل الخالصي.

١٠ ـ الشيخ مهدي أسد الله، وغيرهم كثير.

مكانته العلميّة:

كان السيّد من مشاهير العلماء الذين ذاع صيتهم في العلوم الإسلاميّة جلّها، فبالإضافة إلى تميّزه بالفقاهة، فقد عرف بالتبحّر في علم التفسير والحديث والكلام وغيرها من العلوم، وكان من أشهر مشايخ الإجازة في عصره، وله مؤلّفاته الشائعة التي تعدّ في الطليعة من مؤلّفات مشاهير العلماء، وكان بارعاً في التأليف، ووفير الانتاج، له نفس طويل في البحث والتدوين، ومفرطاً في الذكاء، حاملاً لكلّ الصفات التي تخلق من صاحبها نابغة من نوابغ العلم.

أقوال العلماء فيه:

١ ـ قال تلميذه الشيخ عبدالنبيّ الكاظمي: «حاز السيّد عبدالله على جميع العلوم الشرعيّة، وصنّف في أكثر العلوم الشرعيّة، فأكثر وأجاد وأفاد، وانتشرت كتبه في الأقطار، مع مواظبته على كثير من الطاعات، كزيارة الأئمّة والإخوان، والنوافل، وقضاء الحوائج، وإلى غير ذلك»[١].

وقال الشيخ عبّاس القمّي: «السيّد عبدالله بن السيّد محمّد رضا الشبّر الحسيني الكاظمي، الفاضل النبيل، والمحدّث الجليل، والفقيه المتبحّر الخبير، العالم الربّاني، المشتهر في عصره بـ(المجلسي الثاني)»[٢].

٣ ـ وقال العلّامة المتتبّع الميرزا محمّد باقر الخوانساري: «السيّد عبدالله بن محمّد

(١) تكملة الرجال: ٢/٩٢.

(٢) الكنى والألقاب: ٢/٣٥٢.

رضا العلوي الحسيني الكاظمي ، الشهير بـ(شبّر) كان من أعيان فضلاء هذه الأواخر ومحدّثيهم ، فقيهاً متبحّراً ، جامعاً متتبّعاً ، متوطّناً بأرض الكاظمين المطهّرة (على مشرفيها السلام) ، وله مؤلّفات كثيرة في التفسير والحديث والفقه والأُصول ، وغير ذلك »[١].

٤ ـ وقال خير الدين الزركلي: «عبدالله بن محمّد رضا شبّر الحسيني الكاظمي ، مفسّر ، مجتهد ، إمامي ، كان يُنعت بالمجلسي الثاني. ولد بالنجف ، وعاش بالكاظميّة والحلّة ، وتوفّي بالكرخ »[٢].

٥ ـ وقال عمر رضا كحالة : «عبدالله بن محمّد رضا آل شبّر الحسيني الكاظمي ، فقيه ، محدّث ، أخباري ، متكلّم ، مشارك في بعض العلوم »[٣].

براعته في علم الحديث:

قال السيّد محمّد معصوم عن تبحّره في علم الحديث: «إنّ جلساء السيّد عبدالله شبّر كثيراً ما كانوا يمتحنونه بقراءة متن الرواية ، ويقطعون السند ، وهو يسترسل بسلسلة السند حتّى يوصله بإمام من أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وقد تكرّر ذلك منه ومنهم حتّى تجاوز حدّ الإحصاء.

وهذه الأُحدوثة تفهمنا أنّه كان ذا عارضة قويّة ، وحافظة شديدة ، واطّلاعاً واسعاً » .

مؤلّفاته:

ترك السيّد عبدالله شبّر عشرات المؤلّفات ما بين كتاب ورسالة ، ونذكر هنا قسماً منها على سبيل الإيجاز:

---

(١) روضات الجنّات: ٢٥٣/٤ ، الرقم ٣٩٣ .

(٢) الأعلام: ١٣١/٤ .

(٣) معجم المؤلّفين: ١١٨/٦ .

١ ـ أحسن التقويم (وقد قامت مكتبتنا بطبعه).

٢ ـ إرشاد المستبصر (وقد قامت مكتبتنا بطبعه).

٣ ـ الأنوار الساطعة في العلوم الأربعة.

٤ ـ أنيس الذاكرين.

٥ ـ البرهان المبين في فتح أبواب علوم الأئمّة المعصومين.

٦ ـ البلاغ المبين في أُصول الدين.

٧ ـ تحفة الزائر (قيد التحقيق).

٨ ـ تحيّة الزائر.

٩ ـ تسلية الحزين في فقْد الأقارب والبنين.

١٠ ـ تسلية الفؤاد في فقْد الأحبّة والأولاد.

١١ ـ تسلية الفؤاد في الموت والمعاد.

١٢ ـ جامع المعارف والأحكام.

١٣ ـ جلاء العيون (وقد قامت مكتبتنا بطبعه).

١٤ ـ الجوهر الثمين في تفسير القرآن المبين.

١٥ ـ الحقّ اليقين في أُصول الدين (قيد التحقيق).

١٦ ـ ذريعة النجاة.

١٧ ـ روضة العابدين.

١٨ ـ زاد العارفين (فارسي).

١٩ ـ شرح نهج البلاغة.

٢٠ ـ صفوة التفاسير.

٢١ ـ عجائب الأخبار ونوادر الآثار (قيد التحقيق).

٢٢ ـ مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار.

٢٣ ـ مطلع النيّرين في لغة القرآن وحديث أحد الثقلين.

٢٤ ـ مصابيح الظلام (شرح مفاتيح الشرائع للفيض الكاشاني).

٢٥ ـ منهج السالكين (في الأخلاق).

٢٦ ـ مهيج الأحزان ومثير الأشجان (وهو الكتاب الذي بين يديك).

٢٧ ـ المواعظ المنثورة، وعشرات الكتب والرسائل الأُخرى

وفاته:

انتقل السيّد إلى جوار ربّه الكريم ليلة الخميس من شهر رجب سنة ١٢٤٢هـ بمدينة الكاظميّة المقدّسة، ودفن بجوار مرقدي الإمامين الجوادين عليهما السلام.

الكتاب الحاضر وعملنا فيه

يشتمل هذا الكتاب على تسعة وعشرين مجلساً في مدائح ومصائب المعصومين الأربعة عشر عليهم أفضل الصلاة وأتمّ السلام.

وقد أوكلنا تحقيقه إلى الأخ كريم عبدالرضا، فقام مشكوراً بهذه المهمّة وهذه الخدمة المتواضعة.

وكان العمل على نسخة مصوّرة للكتاب، محفوظة ضمن مصوّرات مركز إحياء التراث الإسلامي في قم المقدّسة، تحت الرقم (١٧٦) يرجع تاريخ نسخها إلى القرن الثالث عشر الهجري، وهي نسخة لا بأس بها، تمتاز بخطّ جميل وواضح، ما عدا بعض المواضع حيث السواد يغطّي على بعض الكلمات وهي ناقصة الآخر.

وتلخّص العمل فيه بما يلي:

١ ـ تخريج الآيات والروايات الواردة من مظانّها ، ومطابقتها مع الأصل.

٢ ـ تخريج الأقوال الواردة تحت عنوان: قيل ، وقيل..

٣ ـ تصحيح الأخطاء التي وردت والإشارة إليها.

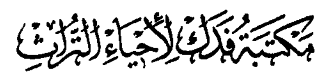
٤ ـ ذكر اسم الشاعر في القصائد التي لم يرد فيها له ذكر ، مع التعريف به ، مع العلم أنّ بعضاً منها لم نعثر على قائلها.

هذا ما قدرنا عليه ، ولا ندّعي له كمالاً ، فالكمال لله وحده.

سائلين المولى القدير أن يثقل به موازيننا يوم تخفّ فيه الموازين

إنّه نِعم المولى ونِعم النصير

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتحن اولياءه بالمحن والمصائب بمقدار ما لهم من القرب وعلو
المراتب وجعل البكاء والحزن على مصاب امنائه والتفجع والتلهف
على ما نزل باصفيائه موجباً لرفع الدرجات وغفران الخطيئات
وسبباً لتكفير كبائر الذنوب والسيئات وباعثاً على رضاه وثوابه
والنجاة من سخطه وعقابه والصلوة على شفعاء الخلائق وامناء
المعارف والحقائق محمد وآله ما صمت صامت ونطق ناطق اما بعد
فيقول العبد الحقير المذنب العاصي الغريق في بحار الآثام والمعاصي
افقر الخلق الى ربه الغني عبد الله بن محمد رضا الحسيني ختم الله لهما
بالحسنى ورزقهما خير الآخرة والاولى هذه اوراق قليلة مشتملة
على فصول جليلة في بيان ما جرى على حجج الاله الجبار وعترة النبي
المختار من المصائب والمحن والبلايا والاحن مأخوذة من الكتب
المعتبرة والاصول المشتهرة التي رواها اساطين الدين المبين
وقوام شريعة سيد المرسلين لا يعتريها شك ولا ريب ولا يقدح
فيها شبهة ولا عيب تغني عن ذكر ما تداول بين العوام واشتهرت
تلاوته في هذه الايام من الحكايات الفاسدة والاكاذيب المكشوفة
فخذها وكن لما آتيتك من الشاكرين وقل الحمد لله رب العالمين و
يحق لها ان تسمى مهيج الاحزان ومثير الاشجان وبالله الاعتصام

وعليه

صورة الصفحة الأُولى من النسخة المخطوطة

بالرعب مؤيد بالنصر تطوى له الارض وتظهر له الكنوز ويبلغ سلطانه
المشرق والمغرب ويظهر الله به دينه ولو كره المشركون فلا يبقى
في الارض خراب الا عمر وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه
فقلت له يا بن رسول الله متى يخرج قائمكم قال اذا تشبه الرجال
بالنساء والنساء بالرجال واكتفى الرجال بالرجال والنساء
بالنساء وركب ذات الفروج السروج وقبلت شهادات الزور
وردت شهادات العدول واستخف الناس بالدماء وارتكب
الزنا واكل الربا واتقي الاشرار مخافة السنتهم وخروج السفياني
من الشام واليماني من اليمن وخسف بالبيداء وقتل غلام من
آل محمد بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن النفس الزكية
وجاءت صيحة من السماء بان الحق فيه وفي شيعته فعند
ذلك خروج قائمنا فاذا خرج اسند ظهره الى الكعبة واجتمع
اليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا واول ما ينطق به هذه
الآية بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ثم يقول انا بقية
الله في ارضه ... الى العقد وهو عشرة الاف رجل
خرج فلا يبقى في الارض معبود دون الله عز وجل من صنم ووثن
الا وقعت فيه نار فاحترق وذلك بعد غيبة طويلة
ليعلم الله من يطيعه بالغيب ويؤمن به قال الصادق عليه السلام خمس قبل
قيام القائم اليماني والسفياني والمنادي ينادي من السماء



صورة الصّفحة الأخيرة من النّسخة المخطوطة



المقدّمة

الحمد لله الذي امتحن أولياءه بالمحن والمصائب ، بمقدار ما لهم من القرب وعلوّ المراتب ، وجعل البكاء والحزن على مصاب أُمنائه ، والتفجّع والتلهّف على ما نـزل بأصفيائه ، موجباً لرفع الدرجات ، وغفران الخطيئات ، وسبباً لتكفير كبائر الذنـوب والسيّئات ، وباعثاً على رضاه وثوابه ، والنجاة من سخطه وعقابه .

والصلاة على شفعاء الخلائق ، وأُمناء المعارف والحقائق ، محمّد وآله ، ما صمت صامت ، ونطق ناطق .

أمّا بعد ، فيقول العبد الحقير المذنب العاصي الغريق في بحار الآثام والمعاصي أفقر الخلق إلى ربّه الغنيّ ، عبدالله بن محمّد رضا الحسيني ختم الله لهما بالحسنى ، ورزقهما خير الآخرة والأولى : هذه أوراق قليلة مشتملة على فصول جليلة في بيان ما جرى على حجج الإله الجبّار ، وعترة النبيّ المختار ، من المصائب والمحن ، والبلايا والإحن ، مأخوذة من الكتب المعتبرة ، والأُصول المشتهرة ، التي رواها أساطين الدين المبين ، وقوّام شريعة سيّد المرسلين ، لا يعتريها شكٌ ولا ريب ، ولا يقدح فيها شبهة ولا عيب ، تغني عن ذكر ما تداول بين العوام ، واشتهرت تلاوته في هذه الأيّام ، من الحكايات الفاسدة ، والأكاذيب الكاسدة ، فخذها وكن لما آتيتك من الشاكرين ، وقل الحمد لله ربّ العالمين ، ويحقّ لها أن تسمّى : مهيج الأحزان ومثير الأشجان ، وبالله الاعتصام وعليه التكلان .

وهي مرتّبة على مجالس :

المجلس الأول

أيّها الشيعة المحبّون والأُمناء المخلصون ابكوا وتباكوا على أُمناء الرحمن ، وتفجّعوا ونوحوا على سادات الزمان ، وتفكّروا فيما جرى عليه من المصائب والأشجان ، وكيف لا تكونون كذلك وقد بكت السبع الشداد لقتلهم ، والأبحار بأمواجها لفقدهم ، والأرض بأرجائها ، والأشجار والأنهار ، والحيتان في لجج البحار ، والشمس في رابعة النهار ، ومن في جميع البلدان والأمصار ، والملائكة المقرّبون ، والأنبياء والمرسلون ، وأهل السماوات أجمعون .

فأيّ قلب يسترّ بعد قتلهم ؟ وأيّ فؤاد لا يحزن لفقدهم ؟ أم أيّة عين تحبس دمعها ، وتبخل بانهمالها ودفعها ؟ وقد أصبح أُمناء الدين المبين ، وعترة خير المرسلين ، مطرودين مشرّدين ، مذودين عن الديار والأوطان ، والأهل والولدان .

واجتهدوا في النوح والعويل على هذا الرزء الجليل ، والبسوا لباس الأحزان ، وتجلببوا بجلباب الحزن والأشجان .

ولله درّ من قال من الرجال في الآل شعراً :

ولقد بكيت لقتل آل محمّد	**بالطفّ حتّى كلّ عضو مدمعُ**
عقرت بنات الأعوجيّة هل درت	**ما يستباح بها وماذا يصنعُ**
وحريم آل محمّد بين العدا	**نهب تقاسمه اللئام الوضّعُ**

تلك الضعائن كالإماء متى تسق ... يعنف بهنّ وبالسياط تقنّعُ
من فوق أقتاب الجمال يشلّها ... لكعٌ على حنق وعبد أكوعُ
مثل السبايا بل أذلّ يشقّ منـ ... ـهنّ الخمار ويستباح البرقعُ
فمصفّدٌ في قيده لا يفتدى ... وكريمة تسبى وقرط يُنزعُ
تالله لا أنسى الحسين وشلوه ... تحت السنابك بالعراء موزّعُ
متلفّعاً حمر الثياب وفي غدٍ ... بالخضر من فردوسه يتلفّعُ
تطأ السنابك صدره وجبينه ... والأرض ترجف خيفة وتضعضع
والشمس ناشرة الذوائب ثاكلٌ ... والدهر مشقوق الرداء مقنّع
لهفي على تلك الدماء تراق في ... أيدي أُميّة عنوة وتضيّعُ[1]

وروى الثقة الصدوق محمّد بن بابويه في «**الأمالي**» و«**ثواب الأعمال**»، وابن قولويه في «**الكامل**» بأسانيد معتبرة عن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام، قال: «قال لي: **يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين بن عليّ عليه السلام**.

قال: فأنشدته، فبكى.

ثمّ أنشدته، فبكى.

قال: والله فما زلت أنشده ويبكي حتّى سمعت البكاء من الدار.

فقال: **يا أبا عمارة، من أنشد في الحسين بن عليّ عليه السلام فأبكى خمسين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً وأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين وأبكى عشرين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين وأبكى عشرة فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام وبكى فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام وتباكى فله الجنّة**».

(١) الهاشميّات / الكميت بن زيد الأسدي: ١٤٤.

وقال عليه السلام : **«من ذُكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله عزّ وجلّ ، ولم يرضَ له بدون الجنّة »**[١].

وروى الشيخ الكشّي بإسناد معتبر عن زيد الشحّام ، قال : «كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام ونحن جماعة من الكوفيّين ، فدخل جعفر بن عثمان على أبي عبدالله عليه السلام ، فقرّبه وأدناه ، قال : **يا جعفر** .

قال : لبّيك جعلني الله فداك .

قال : **بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد ؟**

فقال له : نعم جعلني الله فداك .

قال : **قل** ، فأنشدته ، فبكى عليه السلام ، ثمّ أنشدته فبكى ، حتّى صارت الدموع على وجهه ولحيته .

ثمّ قال : **يا جعفر ، والله لقد شهدك ملائكة الله المقرّبون هاهنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكينا وأكثر ، ولقد أوجب الله تعالى ـ يا جعفر ـ لك في ساعته الجنّة بأسرها ، وغفر الله لك .**

ثمّ قال : **يا جعفر ، ألا أزديك ؟**

قال : نعم يا سيّدي .

قال : **ما من أحدٍ قال في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى به إلّا أوجب الله له الجنّة وغفر له »**[٢].

وروى الشيخ في « **الأمالي** » بإسناد صحيح عن محمّد بن مسلم ، قال : « سمعت

(١) أمالي الصدوق : ٢٠٤ ، الحديث ٢٢٢ . ثواب الأعمال : ٨٣ . كامل الزيارات : ٢٠٨ ، الحديث ٢٩٧ .

(٢) اختيار معرفة الرجال : ٥٧٤/٢ ، الرقم ٤٠٨ .

الصادق عليه السلام يقول: **إنّ الحسين بن عليّ عليه السلام عند ربّه ينظر إلى معسكره ومن حلّه من الشهداء معه، وينظر إلى زوّاره وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله تعالى من أحدكم بولده، وإنّه ليرى من يبكيه فيستغفر له ويسأل آباءه أن يستغفروا له، ويقول: لو يعلم زائري ما أعدّ الله له لكان فرحه أكثر من جزعه، وإنّ زائره لينقلب وما عليه من ذنب**»[١].

وروى الصدوق في «**الأمالي**» بإسناد معتبر عن الرضا عليه السلام، قال: «**إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأُضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثِقلنا، ولم ترعَ لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا.**

إنّ يوم الحسين عليه السلام أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، بأرض كرب وبلاء أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين عليه السلام فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام.

ثمّ قال عليه السلام: **كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتّى تمضي منه عشرة أيّام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام**»[٢].

وروى ابن قولويه في «**كامل الزيارة**» بإسناد معتبر عن ابن خارجة، عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام، قال: «كنّا عنده فذكرنا الحسين بن عليّ عليه السلام، فبكى أبو عبدالله عليه السلام وبكينا.

قال: ثمّ رفع رأسه فقال: **قال الحسين بن عليّ عليه السلام: أنا قتيل العَبرة، لا يذكرني**

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٥، الحديث ٧٤.

(٢) أمالي الصدوق: ١٩٠، الحديث ١٩٩.

مؤمن إلّا بكى»(١).

وعنه عليه السلام، قال: «**قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العَبرة، قُتلت مكروباً، وحقيق علَيَّ أن لا يأتيني مكروب إلّا ردّه الله، وأقلبه إلى أهله مسروراً**»(٢).

وعن معاوية بن وهب، قال: قال الصادق عليه السلام: «**[كلّ] الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام**»(٣).

وعن أبي عمارة، قال: «ما ذكر الحسين بن عليّ عليه السلام عند أبي عبدالله عليه السلام في يوم قطّ ورؤي أبو عبدالله متبسّماً في ذلك اليوم إلى الليل، وكان أبو عبدالله عليه السلام يقول: **الحسين عَبرة كلّ مؤمن**»(٤).

وعن الصادق عليه السلام، قال: «**نظر أمير المؤمنين إلى الحسين عليه السلام فقال: يا عبرة كلّ مؤمن.**

فقال: أنا يا أبتاه؟

فقال: نعم يا بنيّ»(٥).

وروى ابن قولويه في «**كامل الزيارة**» بإسناد معتبر عن زرارة قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: **يا زرارة، إنّ السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم، وإنّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإنّ الجبال تقطّعت وانتثرت، وإنّ البحار تفجّرت، وإنّ الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين عليه السلام، ولا اختضبت منّا امرأة، ولا ادّهنت، ولا اكتحلت،**

(١) كامل الزيارات: ٢١٥، الحديث ٣١٣.

(٢) كامل الزيارات: ٢١٦، الحديث ٣١٤.

(٣) أمالي الطوسي: ١٦٢، الحديث ٢٦٨. وسائل الشيعة: ٢٨٢/٣، الحديث ٣٦٥٧.

(٤) كامل الزيارات: ٢١٤، الحديث ٣٠٩.

(٥) كامل الزيارات: ٢١٤، الحديث ٣٠٨.

ولا رجّلت ، حتّى أتانا رأس عبيدالله بن زياد (لعنه الله) ، وما زلنا في عبرة بعده .

وكان جدّي إذا ذكره بكى حتّى تملأ عيناه لحيته ، وحتّى يبكي لبكائه ـ رحمة له ـ من رآه . وإنّ الملائكة الذين عند قبره ليبكون فيبكي لبكائهم كلّ من في الهواء والسماء من الملائكة ، ولقد خرجت نفسه فزفرت جهنّم زفرة كادت الأرض تنشقّ لزفرتها .

ولقد خرجت نفس عبيدالله بن زياد (لعنه الله) ويزيد بن معاوية ، فشهقت جهنّم شهقة ، لولا أنّ الله حبسها بخزّانها لأحرقت من على ظهر الأرض من فورها ، ولو يؤذن لها ما بقي شيء إلّا ابتلعته ، ولكنّها مأمورة مصفودة ، ولقد عتت على الخزّان غير مرّة حتّى أتاها جبرئيل فضربها بجناحه فسكنت ، وإنّها لتبكيه وتندبه ، وإنّها لتتلظّى على قاتله ، ولولا مَن على الأرض من الحجج لنقضت الأرض وأكفتْ ما عليها ، وما تكثر الزلازل إلّا عند اقتراب الساعة .

وما عين أحبّ إلى الله ، ولا عَبْرة من عين بكت ودمعت عليه عليه السلام ، وما من باك يبكيه إلّا وقد وصل فاطمة عليها السلام وأسعدها عليه ، ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وأدّى حقّنا ، وما من عبد يحشر إلّا وعيناه باكية إلّا الباكي على جدّي الحسين عليه السلام ، فإنّه يحشر وعينه قريرة ، والبشارة تلقاه ، والسرور على وجهه ، والخلق في الفزع وهم آمنون ، والخلق يعرضون وهم آمنون ، والخلق يحاسبون وهم حدّاث الحسين عليه السلام تحت العرش وفي ظلّ العرش ، لا يخافون سوء الحساب ، يقال لهم : ادخلوا الجنّة فيأبون ، ويختارون مجلسه وحديثه . وإنّ الحور العين لترسل : إنّا قد اشتقناكم مع الولدان المخلّدين ، فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة ، وإنّ أعداءهم ما بين مسحوب بناصيته إلى النار ، ومن قائل : ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[1] ، وإنّهم ليرون منزلتهم وما يقدرون أن يدنوا إليهم ، ولا يصلوا إليهم .

وإنّ الملائكة لتأتيهم بالرسالة من أزواجهم وخزّانهم على ما أُعطوا من الكرامة ،

---

(١) الشعراء ٢٦ : ١٠٠ و ١٠١ .

فيقولون: نأتيكم إن شاء الله ، فيرجعون إلى أزواجهم بمقالاتهم ، فيزدادون إليهم شوقاً إذا هم أخبروهم بما هم فيه من الكرامة وقربهم من الحسين عليه السلام ، فيقولون: الحمد لله الذي كفانا الفزع الأكبر ، وأهوال يوم القيامة ، ونجّانا ممّا كنّا نخاف ، ويؤتون بالمراكب والرحال على النجائب فيستوون عليها ، وهم في الثناء على الله ، والحمد لله ، والصلاة على محمّد وآله ، حتّى ينتهوا إلى منازلهم»[1].

وفي **«الكامل»** عن أبي بصير في الصحيح ، قال: «كنت عند أبي عبدالله عليه السلام أُحدّثه ، فدخل عليه ابنه فقال له: مرحباً وضمّه وقبّله ، وقال: **حقّر الله من حقّركم ، وانتقم ممّن وتركم ، وخذل الله من خذلكم ، ولعن الله من قتلكم ، وكان الله لكم وليّاً وحافظاً وناصراً ، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السماء .**

ثمّ بكى وقال: **يا أبا بصير ، إذا نظرت إلى وُلد الحسين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أتى إلى أبيهم وإليهم .**

يا أبا بصير ، إنّ فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق ، فتزفر جهنّم زفرة لولا أنّ الخزنة يسمعون بكاءها ، وقد استعدّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دُخانها فيحرق أهل الأرض ، فيكبحوها ما دامت باكية ، ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض ، فلا تسكن حتّى يسكن صوت فاطمة عليها السلام ، وإنّ البحار تكاد أن تنفتّق فيدخل بعضها على بعض مخافة على الدنيا ومن فيها ومن على الأرض ، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها ، ويدعون الله ويتضرّعون إليه ويتضرّع أهل العرش ومن حوله ، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض ، ولو أنّ صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض ، وتقلّعت الجبال ، وزلزلت الأرض بأهلها .

قلت: جعلت فداك ، إنّ هذا الأمر لعظيم .

(١) كامل الزيارات: ١٦٧ ، الحديث ٢١٩ .

قال : **غيره أعظم منه ما لم تسمع .**

ثمّ قال : **يا أبا بصير ، أما تحبّ أن تكون فيمن يُسعد فاطمة عليها السلام ؟**

فبكيت حين قالها ، فما قدرت على النطق ، وما قدرت على كلامي من البكاء .

ثمّ قام إلى المصلّى يدعو ، وخرجت من عنده على تلك الحال فما انتفعت بطعام ، وما جاءني النوم ، وأصبحت صائماً وجِلاً ، حتّى أتيته ، فلمّا رأيته قد سكن ، حمدت الله حين لم ينزل بي عقوبة »(١) .

ولله درّ الفاضل الخليعي(٢) رحمه الله حيث يقول :

هـاجَ حُـزني وَزادَ حرّ لهيبي … وشجاني ذكر القتيل الغريبِ

وجَفت مقلتي كراها وسحّت … سحبُ أجفانها بدَمع سَكوبِ

---

(١) كامل الزيارات : ١٦٩ ، الحديث ٢٢٠ .

(٢) **الخليعي** : هو أبو الحسن جمال الدين عليّ بن عبدالعزيز بن أبي محمّد (الخلعي) الخليعي الموصلي الحلّي ، شاعر أهل البيت عليهم السلام المفلق ، نظم فيهم فأكثر ، ومدحهم فأبلغ . ومجموع شعره الموجد ليس فيه إلّا مدحهم ورثاؤهم .

سكن الحلّة إلى أن مات في حدود سنة ٧٥٠ هـ ودفن بها ، وله هناك قبر معروف .

ولد من أبوين ناصبيّين . نذرت اُمّه أنّها إن رزقت ولداً تبعثه لقطع طريق السابلة من زوّار الإمام الحسين عليه السلام وقتلهم ، فلمّا ولدت المترجَم وبلغ أشدّه ابتعثته إلى جهة نذرها ، فلمّا بلغ إلى نواحي (المسيّب) بمقربة من كربلاء المشرّفة ، طفق ينتظر قدوم الزائرين ، فاستولى عليه النوم ، واجتازت عليه القوافل فأصابه القتام الثائر ، فرأى فيما يراه النائم أنّ القيامة قد قامت ، وقد اُمر به إلى النار ، ولكنّها لم تمسّه لما عليه من ذلك العثير الطاهر ، فانتبه مرتدعاً عن نيّته السيّئة واعتنق ولاء العترة ، وهبط إلى الحائر الشريف ردحاً .

ويقال: إنّه نظم عندئذٍ بيتين :

إذا شئت النجاة فزر حسيناً … لكي تلقى الإله قرير عين

فإنّ النار ليس تمسّ جسماً … عليه غبار زوّار الحسين

وقـــليل لمـــن يـمثّل مَـوْلاهُ لَــدى الطــفّ ذا جبين تـريبِ
فيض دمعي على الخدود وتسهاد جـفُون قـرحى وطـول نـحيبِ
كربلا كـم تـركتِ عـندي كـروباً بـرزايـا تـذيب حبّ القلوبِ
كم هوى في ثراك مـن بـدر تـمّ وأضـرّ النـوى بـغصن رطـيبِ
لهفَ نفسي على ابن بنت رسول اللهِ يَـدْعُو ومـا له مـن مـجيبِ
قائلاً ليس فـي الأنـام ابـن بـنت لنـبيّ غـيري فـلا تـغدروا بـي
هـل عـلى بـدعة أبـحتم دمـي أم كنت قصّرت ساهياً عن وجوبِ
لهــف قـلبي لطـفله فـوق كـفّيه بـصدرٍ ضـامٍ ونـحرٍ خـضيبِ
وهـو يسـتقبل الدمـاء ويُـلقيـها وَيُـبدي الشكـاة للـمستجيبِ
لهف نفسي لزينب تلطم الوجـه فَـتدمي خـدودها بـالندوبِ
وتـناديه يـا أخـي يـابن أُمّـي يـا شـقيقي أسـلمتني للـخطوبِ
أين جـدّي أيـن البـتول ألا أيـن عـليّ واوَحْـدَتي وا لهـيبي
لهـف نـفسي لفـاطمة الصـغرى ولهـفي لقـلبها المـرعوبِ
لهف قلبي على سكينة من خوف الأعـادي تـبكي بـدمع صـبيب
لهف قلبي لأُمّ كلثوم مـن سـلب نـقاب ومـعجر مـنهوبِ
لستُ أنسى رأس الحسين كـبدر التمّ يبدو في رأس رمح كـعوبِ
يـالثارات أحـمد وعـليّ من شنيع جـرى وأمـر عـصيبِ
أيـرى ثـغر ابـن فـاطمة يـقرعه أرذل الورى بـالقضيبِ
يـابن بـنت النـبيّ يـابن الذي أودعـه الله سـرّ عـلم الغـيوبِ
ليت أنّ الوصـيّ وافـاك بالطفّ فلم تخشَ أذى وكـروبِ

يـا بـني أحـمد إليكـم تـطرّبت بــمدحي وأنــتم مــطلوبي
بكــم يــرتجي الخــليعي أمـاناً في الحشر من موبقات الذنـوبِ



المجلس الثاني

أيّها الإخوان الأبرار ، والشيعة الأخيار ، الموالون للأئمّة الأطهار ، لا تبخلوا بالدموع الغزار ، على عترة النبيّ المختار ، فإنّهم شفعاؤكم يوم المعاد ، بين يدي ربّ العباد ، وبهم تحطّ عنكم كبائر الأوزار ، وهم الجُنن الواقية من النّار ، فلو تصوّر المحبّ لآل الرسول ، ما لاقوا من الخطب المهول ، لاختاروا الموت والفناء على الحياة والبقاء .

كيف لا والحسين مجدّل على الرمال ، معلّاً برأسه على رأس رمح ميّال ، وذراريه تسبى حسرى على الجمال ، يُطاف بهم في البلاد ، مقرّنين في الأصفاد .

هذا والدموع منكم جامدة ، والعيون راقدة ، والأصوات خامدة ، فاسكبوا رحمكم الله على هذا المصاب شآبيب الدموع الهتان ، وتجلببوا بجلابيب الأحزان ، وسارعوا رحمكم الله إلى النوح والبكاء عليهم ، فإنّ ذلك من أعظم القرب إلى الله وإليهم .

أما علمتم أنّكم توافقون الملائكة في ثوابهم ؟ وتواسون النبيّ في الحزن على مصابهم . أما تحبّون أن يرضى عنكم مُبدئ الموجودات ؟ أما تريدون أن تكونوا بذلك آمنين من الكربات يوم عرض الخلائق على رب الأرضين والسماوات ؟ فإنّ مَن لم يحزن لمصابهم فليس هو من أتباعهم وأحبّائهم .

فيا عجباً ممّن يطيل النوح على الديار والآثار ، ولا يبكي على السادات الأطهار ،

عترة النبيّ المختار، وحيدر الكرّار، الكرام الأبرار.

ولله درّ من قال من الرجال[١]:

بنفسي أقماراً تهاوت بكربلا — وليس لها إلّا القلوب لحودُ
بنفسي سليل المصطفى وابن صنوه — يذود عن الأطفال وهو فريد
أذاب فؤادي رزؤهم ومصابهم — وعهدي به في النائبات جديدُ
وربّ جليد ذاب حزناً وكيف لا — يذوب على نار الجحيم جليد
سأنثر ياقوت المدامع باكياً — على السبط إن كان البكاء يفيد
فقل لابن سعدٍ أتعس الله جدَّه — أحظّك من بعد الحسين يزيدُ
نسجت سرابيل الضّلال بقتلِه — ومزّقت ثوب الدين وهو جديدُ

روى الثقة الصدوق في «**الأمالي**» بإسناد حسن، عن الريّان بن شبيب، قال: «دخلت على الرضا عليه السلام في أوّل يوم من المحرّم فقال: **يابن شبيب، أصائم أنت؟**

قلت: لا.

فقال: **إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريّا ربّه فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ**

---

(١) هو الشيخ إبراهيم بن يحيى بن محمّد بن سليمان العاملي الطيبي.

ولد سنة ١١٥٤ هبقرية الطيبة من جبل عامل، توفّي سنة ١٢١٤ هبدمشق ودفن بمقبرة باب الصغير شرقي المشهد المنسوب إلى السيّدة سكينة عليها السلام.

كان عالماً فاضلاً أديباً شاعراً مطبوعاً، نظم فأكثر حتّى اشتهر بالشعر. كانت له اليد الطولى في التخميس وكان مولعاً به، وقد خمّس جملة من القصائد المشهورة، كالبردة، ورائيّة أبي فراس الحمداني في الفخر، وميميّته في مدح أهل البيت عليهم السلام، ولاميّته التي قالها في الأسر، وعينيّة ابن زريق البغدادي، وكافيّة السيّد الرضي المكسورة، ورائيّة ابن منير المعروفة بالتتريّة، وغيرها كثير. أعيان الشيعة: ٢/٢٤٠، الرقم ٤٦٩

ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[١]، فاستجاب الله له وأمر الملائكة ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[٢]، فمن صام هذا اليوم ثمّ دعا الله عزّ وجلّ، استجاب الله له كما استجاب الله لزكريّا عليه السلام.

ثمّ قال: يابن شبيب، إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرّمون فيه القتال والظلم لحرمته، فما عرفت هذه الأمّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيّها صلى الله عليه وآله، لقد قتلوا في هذا الشهر ذرّيّته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.

يابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابكِ للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّه ذبح كما يُذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماوات والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قُتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم عليه السلام فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين.

يابن شبيب، لقد حدّثني أبي عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام أنّه لمّا قُتل جدّي الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً وتراباً أحمراً.

يابن شبيب، إن بكيتَ على الحسين عليه السلام حتّى تصير دموعك على خدّيك، غفر الله لك كلّ ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يابن شبيب، إن سرّك أن تلقى الله عزّ وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام.

يابن شبيب، إن سرّك أن تسكن الغُرف المبنيّة في الجنّة مع النبيّ وآله، فالعن قتلة الحسين عليه السلام.

يابن شبيب، إنّ سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام

---

(١) آل عمران ٣: ٣٨.

(٢) آل عمران ٣: ٣٩.

فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً.

يابن شبيب ، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان ، فاحزن لحزننا ، وافرح لفرحنا ، وعليك بولايتنا ، فلو أنّ رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة ، فكيف بمحبّة أهل البيت عليهم‌السلام »[١].

ولله درّ من قال[٢]:

إذا العين قرّت في الحياة وأنتم	**تخافون في الدنيا فأظلم نورها**
مررت على قبر الحسين بكربلا	**فغاض عليه من دموعي غزيرها**
فما زلت أبكيه وأرثي لشجوه	**ويسعد عيني دمعها وزفيرها**
وأبكيت من بعد الحسين عصابة	**أطافت به من جانبيه قبورها**
سلام على أهل القبور بكربلا	**وقلّ لها منّي سلام يزورها**
سلام بإيصال العشيّ وبالضحى	**تؤدّيه نكباء الرياح ومورها**
ولا يبرح الزوّار زوّار قبره	**يفوح عليهم مسكها وعبيرها**[٣]

روى الثقة الجليل ، والعالم الفاضل النبيل ، ابن قولويه في **«كامل الزيارات»** بإسناد معتبر عن مسمع بن عبدالملك ، قال: «قال لي أبو عبدالله عليه‌السلام: **يا مسمع ، أنت من أهل العراق ، أما تأتي القبر ، قبر الحسين عليه‌السلام ؟**

---

(١) أمالي الصدوق: ١٩٢ ، الحديث ٢٠٢.

(٢) هو عقبة بن عمرو السهمي ، وهو أوّل من رثى الإمام الحسين عليه‌السلام.

(٣) شرح الأخبار: ١٧٢/٣. أمالي المفيد: ٣٣٧ ، الحديث ٩. أمالي الطوسي: ٩٣ ، الحديث ١٤٣. مناقب آل أبي طالب: ٢٦٨/٣. مثير الأحزان: ٦٥. بحار الأنوار: ٤٥/ ٢٤٢ ، الحديث ١. العوالم ـ الإمام الحسين عليه‌السلام: ٥٤٣ ، الحديث ١.

قال: قلت: لا ، أنا رجل مشهور من أهل البصرة ، وعندنا من يتّبع هوى هذا الخليفة ، وأعداؤنا كثير من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم ، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيميلون علَيَّ.

قال لي: **أما تذكر ما صنع به ؟**

قلت بلى.

قال: **أفتجزع ؟**

قلت: إي والله ، وأستعبر لذلك ، حتّى يرى أهلي أثر ذلك علَيَّ ، فأمتنع عن الطعام حتّى يستبين ذلك في وجهي.

قال عليه السلام: **رحم الله دمعتك ، أما إنّك من الذين يُعدّون من أهل الجزع لنا ، والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ، ويخافون لخوفنا ، ويأمنون إذا أمنّا ، أما إنّك سترى عند موتك حضور آبائي لك ، ووصيّتهم ملك الموت بك ، وما يلقونك به من البشارة ما تقرّ به عينك ، فملك الموت أرقّ عليك ، وأشدّ رحمة لك من الأُمّ الشفيقة على ولدها.**

قال: ثمّ استعبر واستعبرت معه ، فقال: **الحمد لله الذي فضّلنا على خلقه بالرحمة ، وخصّنا أهل البيت بالرحمة.**

يا مسمع ، إنّ الأرض والسماء لتبكي منذ قُتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمة لنا ، وما بكى لنا من الملائكة أكثر ، وما رقأت دموع الملائكة منذ قُتلنا ، وما بكى لنا أحد رحمة لنا ولما لقينا ، إلّا رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينيه ، فإذا سالت دموعه على خدّه ، فلو أنّ قطرة من دموعه سقطت في جهنّم لأطفأت حرّها حتّى لا يوجد لها حرّ ، وإنّ الموجع قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته ، ولا تزال تلك الفرحة في قلبه حتّى يرد علينا الحوض ، وإنّ الكوثر ليفرح بمحبّنا إذا ورد عليه حتّى أنّه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي أن يصدّ عنه.

يا مسمع ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، ولم يشق بعدها أبداً ، وهو في برد

الكافور ، وريح المسك ، وطعم الزنجبيل ، أحلى من العسل ، وألين من الزبد ، وأصفى من الدمع ، وأزكى من العنبر ، يخرج من تسنيم ، ويمرّ بأنهار الجنّة ، يجري على رضراض الدرّ والياقوت ، فيه من القدحان أكثر من عدد نجوم السماء ، يوجد ريحه من مسيرة ألف عام ، قدحانه من الذهب والفضّة وألوان الجواهر ، يفوح في وجه الشارب منه كلّ فاتحة حتّى يقول الشارب منه : ليتني تركت هاهنا لا أبغي بهذا بدلاً ولا عنه تحويلاً ، أما إنّك يا كردين ممّن تروى منه .

وما من عين بكت لنا إلّا نعمت بالنظر إلى الكوثر ، وسُقيت منه ، وإنّ الشارب منه ليُعطى من اللذّة والطعم والشهوة له أكثر ممّا يُعطاه من هو دونه في حُبّنا ، وأنّ على الكوثر أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده عصى من عوسج يحطّم به أعداءنا ، فيقول الرجل منهم : إنّي أشهد الشهادتين ، فيقول : انطلق إلى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك ، فيقول تبرّء منّي إمامي الذي تذكره ، فيقول : ارجع وراءك فقل للذي كنت تتولّاه وتقدّمه على الخلق فاسأله إذا كان عندك خير الخلق أن يشفع لك ، فإنّ خير الخلق حقيق أن لا يردّ إذا شفّع ، فيقول : انّي أهلك عطشاً ، فيقول ، زادك الله ظمأً وزادك الله عطشاً .

قلت : جعلت فداك ، وكيف يقدر على الدنوّ من الحوض ولم يقدر عليه غيره ؟

قال : ورع عن أشياء قبيحة ، وكفّ عن شتمنا إذا ذكرنا ، وترك أشياء اجترى عليها غيره وليس ذلك لحبّنا ولا لهوىً منه لنا ، ولكن ذلك لشدّة اجتهاده في عبادته وتديّنه ، ولما قد شغل به نفسه عن ذكر الناس ، فأمّا قلبه فمنافق ، ودينه النصب ، واتّباع أهل النصب ، وولاية الماضين ، وتقديمه لهما على كلّ أحد »[١] .

وعن عبدالله بن بكير ، عن الصادق عليه السلام ، قال : « إنّ الحسين بن عليّ عليهما السلام مع أبيه وأمّه وأخيه في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه يرزقون ويحبرون ، وإنّه لعن يمين العرش متعلّق به

(١) كامل الزيارات : ٢٠٣ ، الحديث ٢٩١ .

ويقول: ربّ أنجز لي ما وعدتني ، وإنّه لينظر إلى زوّاره ، فهو أعـرف بـهم وبـأسمائهم وأسماء آبائهم وآبائهم وما في رحالهم من أحدهم بولده ، وإنّه لينظر إلى من يبكيه فيستغفر له ، ويسأل آباءه الاستغفار له ، ويقول: يا أيّها الباكي لو علمت ما أعدّ الله لك لفرحت أكثر ممّا حزنت ، وإنّه ليستغفر له عن كلّ ذنب وخطيئة »[١] .

وحكي عن دعبل الخزاعي ، قال: « دخلت على سيّدي ومولاي عليّ بـن مـوسى الرضا عليه‌السلام في مثل هذه الأيّام ـ يعني أيّـام عـاشوراء ـ فـرأيـته جـالساً جـلسة الحـزين الكئيب ، وأصحابه من حوله ، فلمّا رآني مقبلاً قال لي: **مرحباً بك يـا دعـبل ، مـرحـباً بناصرنا بيده ولسانه .**

ثمّ إنّه وسّع لي في مجلسه وأجلسني إلى جانبه ، ثمّ قـال لي: **يـا دعـبل ، اُحبّ أن تنشدني شعراً في الحسين ، فإنّ هذه الأيّام أيّام حزن كانت علينا أهل البيت ، وأيّام سرور كانت على أعدائنا ، خصوصاً بني اُميّة .**

يا دعبل من بكى أو أبكى ولو واحداً ، كان أجره على الله .

يا دعبل ، من ذرفت عيناه على مصابنا ، وبكى لما أصابنا من أعدائنا حشره الله معنا في زمرتنا .

يا دعبل ، من بكى على مصاب جدّي الحسين عليه‌السلام غفر الله له ذنوبه البتّة .

ثمّ إنّه عليه‌السلام نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه ، وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدّهم الحسين عليه‌السلام .

ثمّ التفت إليّ وقال: **يا دعبل ، إرثِ الحسين ، فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حيّاً ، فلا تقصّر عن نصرنا ما استطعت .**

قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول وأرثي الحسين عليه‌السلام :

---

(١) كامل الزيارات: ٢٠٦ ، الحديث ٢٩٢ .

أفاطمُ لَو خلتِ الحسينَ مُجدّلاً وقد ماتَ عَطشاناً بشطِّ فُراتِ
إذاً للطمتِ الخدَّ فاطمُ عندهُ وأجريتِ دَمعَ العين في الوجناتِ
أفاطمُ قومي يابنةَ الخير واندبي نُجومَ سماواتٍ بأرضٍ فلاتِ
قُبور بكوفانٍ وأُخرى بطيبةٍ وأُخرى بفخٍّ نالَها صَلواتِ
وقبر ببغداد لنفسٍ زكيّةٍ تضمّنها الرحمن في الغرفات
قبورٌ ببطن النهرِ من جَنبِ كربلا مُعرّسُهم فيها بشطِّ فراتِ
تُوفّوا عُطاشاً بالفراتِ فليتني توفّيتُ فيهم قبلَ حين وفاتي
إلى الله أشكو لوعةً عند ذكرهِم سَقتني بكأس الذلّ والفضعاتِ[1]

وفي «**العيون**»: «إنّ دعبل لمّا انتهى إلى قوله: «وقبر ببغداد» قال له الرضا عليه السلام: **ألحق لك بهذا الموضع بيتين، بهما تمام قصيدتك.**

فقال: بلى يابن رسول الله. فقال عليه السلام:

وقبر بطوسٍ يا لها من مصيبة ألحّت على الأحشاء بالحرقات
إلى الحشر حتّى يبعث اللهُ قائماً يفرّج عنّا الغمّ والكرباتِ

فقال دعبل: يابن رسول الله، هذا القبر بطوس لمن هو؟

فقال عليه السلام: **قبري، ولا تنقضي الأيّام والليالي حتّى تصير طوس مختلف شيعتي وزوّاري، ألا فمن زارني بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة**»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥/ ٢٥٦، الحديث ١٥. مستدرك الوسائل: ١٠/٣٨٦، الحديث ١٢٢٣٦. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٥٤٥، الحديث ٣.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٢٩٥، الحديث ٣٤.

ولله درّ السيّد العالم العلّامة والفاضل الفهّامة سيّدنا سيّد محسن[١] حيث قال:

سل الدار دار القوم أين بدورها	وأنواء جدواها وأنوارها الزهرُ
وأين الأولى كانوا كما شاءت العُلى	وشاء التقى والعزّ والمجد والفخرُ
يجيرون من صرف الحوادث جارهم	ويحمى إذا عزّ الحمى بهم الثغرُ
وأين قبيل الله آل محمّد	وأين بنو الزهراء والنجب الغرُّ
ألا ذهبوا عنها بكره وخلّفوا	معالمها تنعى وينعى بها الذكرُ
ألا ذهبوا عنها بكره وغادروا	الأيامى على الأبواب قد شقّها الضرّ
أصابهم ريب المنون فأصبحوا	أحاديث بين النّاس يلهو بها السفرُ
أُصيبوا بيوم ما تنفّس كربه	إلى اليوم حتّى طبق البرّ والبحرُ
ورجّت له السبع الطباق وأمطرت	دماً وبكى من هوله البيت والحجر
وأعولت الأملاك حزناً لوقعه	وأظلمت الشمس المنيرة والبدر
بمشهد كرب حفّ بالكرب والبلا	وقام به الناعي وعزّ به النصرُ
وأضحى ابن خير المرسلين ذريّة	تمزّقه البيض الضبا والقنا السمرُ
وأصبح يا الله لحماً مُبدّداً	على الأرض لاغسل أُعدّ ولا سترُ
تجرّ عليه السافيات ذيولها	وتجري عليه الصافنات ولا نكرُ
وأطفاله صرعى على الترب حوله	وأمواله نهب ونسوانه أسرُ
فمن بعدهم يا سعد لا درّ شارق	ومن بعدهم ياسعد لا انسكب القطر

(١) هو السيّد محسن بن الحسن بن مرتضى الأعرجي الكاظمي المعروف بالمحقّق الكاظمي والمحقّق البغدادي، صاحب «الموصول» من مشاهير علماء عصره، ومن أجلّاء تلامذة الوحيد البهبهاني والحكيم الآقا محمّد البيدآبادي. توفّي سنة ١٢٢٧هـ.

ويارزءهم زدني جوىً كلّ ليلة ويا سلوة الأيّام موعدك الحشر
وكيف وآل المصطفى بين شاحب طريح على الغبراء ليس له قبر
وآخر يكبو في الحديد مكبّلاً أضرّ به طول المنصّة والزجر
ومهتوكة عنها السجوف تستّرت بفاضل ردينها وأدمعها همرُ
يطاف بها بين الأنام مروعة إذا ما ونت في السير قنّعها زجر
فلا والذي طاف الحجيج ببيته ملبّين أسلو الحزن أو ينفد العمرُ
وأمضي كئيباً بين شجو وغصّة أردّدها حمران أو يظهر الطهرُ
سليل رسول الله وابن وصيّه وخير بني حوّاء والماجد البرّ
ويسري بغلب من لؤيّ بن غالب كماة على راياتهم يخفق النصر
ويثأر للقتلى لدى كلّ مشهدٍ وما جنت الأغلال والسَّبي والأسر
وما اجترحت تيم وما قدّمت يدا عديّ وماأبقى لها المكر والغدر
وما فعلت أرجاس آل أُميّة وأبناء عبّاس الغواة وما جرّوا
ويملأها قسطاً وعدلاً كما ملا جوانبها من بعده الظلم والجور
فعجّل وأدرك في السياق نفوسنا فقد مسّنا من بعدك البؤس والضر
وكنّا نسلّيها ونغضي لمن لنا فديناك بالسلوى وقد نفد الصبر



المجلس الثالث

أيّها الإخوان المؤمنون ، والشيعة المخلصون ، تذكّروا ما أصاب ساداتكم ، وتأمّلوا ما جرى على قادتكم وهداتكم ، من المصائب العظيمة ، والفوادح الجسيمة ، واسبلوا رحمكم الله شآبيب الدموع الهتان ، وتجلببوا بجلابيب الإخوان والأشجان ، وأظهروا النوح والعويل على هذا الرزء الجليل ، وتمثّلوا مولاكم الحسين عليه السلام وهو ينادي في ميدان القتال : «ألا هل من ناصر ينصر الآل ؟ ألا هل من معين يعين عترة المختار ؟ ألا هل من ذاب يذبّ عن الذريّة الأطهار ؟ أين الثقاة البررة ؟ أين الأتقياء الخيرة ، أين من أوجب عليه حقّنا الإسلام ؟ أين الوصيّة فينا من جدّنا خير الأنام ؟

فيا جفوني شحّي دماً لا دموعاً ، ويا قلبي ازدد كمداً وخشوعاً ، ويا فؤادي القرح من الحزن والكآبة لا تسترح .

ولله درّ من قال من الرجال[1] في التلهّف على الآل ، ونِعم ما قال :

وقفت على الدار التي كنتمُ بها فمغناكمُ من بَعد معناكمُ قفرُ

---

(١) هو الشيخ صالح بن عبدالوهاب بن العرندس الحلّي ، الشهير بابن العرندس ، أحد أعلام الشيعة ، ومن مؤلّفي علمائها في الفقه والأُصول ، وله مدائح ومراثي لأئمّة أهل البيت عليهم السلام تنمّ عن تفانيه في ولائهم ومناوأته لأعدائهم ، توفّي حدود ٨٤٠ هـ بالحلّة الفيحاء ودفن فيها ، وله قبر يُزار ويتبرّك به .

وقد درست منها الدروس وطالما بها درّس العلمُ الإلٰهيّ والذكرُ
وسالت عليها من دموعي سحائبٌ إلىٰ أن تروّى البانُ بالدمعِ والسدرُ
وقد أقلعت عنها السحابُ ولم يَجُد ولا درَّ من بعد الحسين لها دَرُّ
إمامُ الهدىٰ سبطُ النبوّةِ والد الـ أئمّة ربّ النهي مولىً له الأمرُ
إمامٌ أبوه المرتضىٰ علم الهدىٰ وصيُّ رسولِ اللهِ والصنوُ والصهرُ
إمامٌ بكته الإنسُ والجنُّ والسما ووحش الفلا والطيرُ والبرُّ والبحرُ
له القبّةُ البيضاءُ بالطفِّ لم تزل تطوفُ بها حزناً ملائكةٌ غرُّ
وفيه رسولُ اللهِ قال وقولُه صحيحٌ صريحٌ ليس في ذلكمْ نكرُ
حُبي بثلاثٍ ما أحاطَ بمثلِها نبيٌّ فمن زيدٌ هناك ومن عمرو
له تربةٌ فيها الشفاءُ وقبّةٌ يجابُ بها الداعي إذا مسّه الضرُّ
وذُرّيّةٌ دريّةٌ منه تسعةٌ أئمّةُ حقٍّ لا ثمانٍ ولا عشرُ
أيُقتَلُ ظمآناً حسينٌ بكربلا وفي كلّ عضوٍ من أناملِهِ بحرُ
ووالدُه الساقي على الحوضِ في غدٍ وفاطمةٌ ماءُ الفراتِ لها مهرُ
فيالكَ مقتولاً بكته السما دماً فمغبرٌّ وجه الأرض بالدمِ محمرُّ
ملابسُه في الحربِ حمرٌ من الدما وهنَّ غداةَ الحشرِ من سندسٍ خضرُ
ولهفي لزينِ العابدينَ وقد سرىٰ أسيراً عليلاً لا يفكُّ له أسرُ
وآلُ رسولِ اللهِ تسبىٰ نساؤهم ومن حولهنَّ السترُ يهتَكُ والخدرُ
سبايا بأكوارِ المطايا حواسراً يلاحظُهنَّ العبدُ في السيرِ والحرُّ
ورملةُ في ظلّ القصورِ مصونةٌ يُناطُ علىٰ أقراطِها التِّبرُ والشذر[1]

---

(١) راجع الغدير: ١٣/٧.

روى الثقة الجليل أحمد بن أبي طالب الطبرسي في **«الاحتجاج»** وغيره ، عن سعد بن عبدالله ، قال : « سألت الحسن العسكري عليه السلام عن مسائل فقال : **سل قرّة عيني** ، ـ وأومأ إلى القائم عليه السلام ـ **عمّا بدا لك** ، وكان عليه السلام في ذلك الوقت صغيراً يلعب بين يدي والده ، فسألته عن تأويل كهيعص ، فقال : **هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عليها عبده زكريّا ، ثمّ قصّها على محمّد صلى الله عليه وآله وذلك أنّ زكريّا سأل ربّه أن يعلّمه الأسماء الخمسة ، فأهبط عليه جبرئيل فعلّمه إيّاها ، فكان زكريّا إذا ذكر محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن عليهم السلام سُرّي عنه همّه ، وانجلى كربه ، وإذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة ، ووقعت عليه البهرة .**

فقال عليه السلام ذات يوم : إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي ، وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تدمع عيني ، وتثور زفرتي ؟

فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصّته ، فقال : كهيعص ، فالكاف اسم كربلا ، والهاء هلاك العترة الطاهرة ، والياء يزيد لعنه الله ، وهو ظالم الحسين ، والعين عطشه ، والصاد صبره .

فلمّا سمع زكريّا لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام ، ومنع فيهنّ الناس من الدخول إليه ، وأقبل على البكاء والنحيب .

وكان يرثيه عليه السلام ويقول : إلـهي أتفجع خير جميع خلقك بولده ؟ إلهي أتنزل بلوى هذه الرزيّة بفنائه ؟ إلهي أتلبس عليّاً وفاطمة عليهما السلام ثياب هذه المصيبة بساحتهما ؟

ثمّ كان يقول : إلهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكبر ، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه ، ثمّ افجعني به ، كما تفجع حبيبك محمّداً صلى الله عليه وآله بولده ، فرزقه الله يحيى وفجعه به ، وكان حمل يحيى ستّة أشهر ، وكان حمل الحسين عليه السلام كذلك »[1] .

---

(١) الاحتجاج : ٢٧١/٢ . مناقب آل أبي طالب : ٢٣٧/٣ ، عن إسحاق الأحمر . بحار الأنوار : ١٤ /١٧٨ ، الحديث ١٤ .

وروى الصدوق في «العيون» و«الخصال» بإسناد معتبر عن الفضل، قال: «سمعت الرضا عليه السلام يقول: **لمّا أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل عليه السلام الكبش [الذي أنزله عليه، تمنّى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح إبنه إسماعيل][1] بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه، ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟**

فقال: يا ربّ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله، فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟

فقال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي.

قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟

قال: بل ولده.

قال: فذبح ولده ظلماً على يد أعاديه أوجع لقلبك، أو ذبح ولدك في طاعتي؟

قال: يا ربّ، بل ذبحه على يد أعدائه أوجع لقلبي.

قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أمّة محمّد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، فيستوجبون بذلك غضبي وسخطي، فجزع إبراهيم عليه السلام [لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي][2]، فأوحى تعالى إليه: قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[3]»[4].

---

(١) و (٢) ما بين المعقوفين زيادة من المصدرين.

(٣) الصافّات ٣٧: ١٠٧.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٨٧/٢، الحديث ١. الخصال: ٥٨، الحديث ٧٩.

وروى الشيخ جعفر بن نما وغيره: «إنّ ملكاً من ملائكة الصفيح الأعلى اشتاق لرؤية النبيّ ﷺ واستأذن ربّه بالنزول إلى الأرض لزيارته، وكان ذلك الملك لم ينزل إلى الأرض أبداً منذ خُلقت، فلمّا أراد النزول أوحى الله إليه يقول: أيّها الملك، أخبر محمّداً أنّ رجلاً من أُمّته اسمه يزيد يقتل فرخ الطاهرة نظيرة البتول مريم بنت عمران.

فقال الملك: وقد نزلت إلى الأرض وأنا مسرور برؤية نبيّك محمّد ﷺ فكيف أخبره بهذا الخبر الفضيع، وإنّني لأستحي منه أن أفجعه بقتل ولده، فليتني لم أنزل إلى الأرض.

قال: فنوديَ الملك من فوق رأسه: أن افعل ما أُمرت به.

فدخل الملك إلى رسول الله ﷺ ناشراً أجنحته بين يديه، وقال: يا رسول الله، إعلم أنّي استأذنت ربّي في النزول إلى الأرض شوقاً لرؤيتك وزيارتك، فليت ربّي كان حطّم أجنحتي ولم آتك بهذا الخبر، ولكن لا بدّ من إنفاذ أمر ربّي عزّ وجلّ.

يا محمّد، إنّ رجلاً من أُمّتك اسمه يزيد زاده الله لعناً في الدنيا وعذاباً في الآخرة يقتل فرخك الطاهر ابن الطاهرة، ولن يتمتّع قاتله في الدنيا من بعده إلّا قليلاً، ويأخذه الله مقاصّاً له على سوء عمله، ويكون مخلّداً في النار[1].

فلمّا أتى على الحسين عليه السلام سنتان خرج النبيّ ﷺ إلى سفر، فوقف في بعض الطريق فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك، فقال: **هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشطّ الفرات يقال لها كربلاء يُقتل فيها ولدي الحسين، وكأنّي أنظر إليه وإلى مصرعه ومدفنه بها، وكأنّي أنظر إلى السبايا على أقتاب المطايا وقد أُهدي رأس ولدي الحسين إلى يزيد لعنه الله، فوالله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين ويفرح، إلّا خالف الله بين**

---

(١) إلى هنا لم يرد عند ابن نما، بل هو في بحار الأنوار: ٤٥/ ٣١٤. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٥٩٩.

قلبه ولسانه ، وعذّبه الله عذاباً أليماً.

ثمّ رجع النبيّ ﷺ من سفره مغموماً مهموماً كئيباً حزيناً ، فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين عليهما السلام ، وخطب ووعظ الناس ، فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن عليه السلام ، ويده اليسرى على رأس الحسين عليه السلام وقال: **اللّهمّ إنّ محمّداً عبدك ورسولك ، وهذان أطائب عترتي ، وأنّ جبرئيل قد أخبرني أنّ ولدي هذا مقتول بالسمّ ، والآخر شهيد مضرّج بالدم. اللّهمّ فبارك له في قتله ، واجعله من سادات الشهداء. اللّهمّ ولا تبارك في قاتله وخاذله ، واصْله حرّ نارك ، واحشره في أسفل درك من الجحيم.**

قال: فضجّ الناس بالبكاء والعويل.

فقال لهم النبيّ ﷺ: **أيّها النّاس ، أتبكونه ولا تنصرونه. اللّهُمَّ فكن أنت له وليّاً وناصراً.**

ثمّ قال: **يا قوم ، إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي وأرومتي ومزاج مائي وثمرة فؤادي وبهجتي لن يفترقا حتّى يردا علَيَّ الحوض ، ألا وإنّي لا أسألكم في ذلك إلّا ما أمرني ربّي ، إن أسألكم عنه أسألكم عن المودّة في القربى ، واحذروا أن تلقوني غداً على الحوض وقد آذيتم عترتي ، وقتلتم أهل بيتي ، وظلمتموهم ، ألا أنّه سترد علَيَّ يوم القيامة ثلاثة رايات من هذه الأمّة: الأُولى سوداء مظلمة قد فزعت منها الملائكة ، فتقف علَيَّ فأقول لهم: من أنتم ؟**

فينسون ذكري ويقولون: نحن أهل التوحيد من العرب ، فأقول لهم: أنا أحمد نبيّ العرب والعجم.

فيقولون: نحن من أُمّتك.

فأقول: كيف خلفتموني من بعدي في أهل بيتي ، وكتاب ربّي ؟

فيقولون: أمّا الكتاب فضيّعناه ، وأمّا عترتك فحرصنا أن نبيدهم عن جديد الأرض.

فلمّا أسمع ذلك منهم أُعرض عنهم بوجهي ، فيصدرون عُطاشى مسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليَّ راية أُخرى أشدّ سواداً من الأُولى ، فأقول لهم: كيف خلفتموني من بعدي في الثقلين: كتاب الله وعترتي ؟

فيقولون: أمّا الأكبر فخالفناه ، وأمّا الأصغر فمزّقناهم كلّ ممزّق.

فأقول: إليكم عنّي ، فيصدرون عُطاشى مسودّة وجوههم.

ثمّ ترد عليَّ راية تلمع وجوههم نوراً ، فأقول لهم: من أنتم ؟

فيقولون: نحن كلمة التوحيد والتقوى من أُمّة محمّد المصطفى ، ونحن بقيّة أهل الحقّ ، حملنا كتاب ربّنا وحلّلنا حلاله ، وحرّمنا حرامه ، وأحببنا ذريّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله ونصرناهم من كلّ ما نصرنا به أنفسنا ، وقاتلنا معهم من ناواهم.

فأقول لهم: أبشروا فأنا نبيّكم محمّد ، ولقد كنتم في الدنيا كما تقولون ، ثمّ أسقيهم من حوضي ، فيصدرون مرويّين مستبشرين ، ثمّ يدخلون الجنّة خالدين فيها أبد الآبدين ، وأنّ جبرئيل أخبرني أنّ أُمّتي ستقتل الحسين ابني في كربلاء ، فلعن الله من قتله ، ومن أعان على قتله إلى يوم القيامة.

ثمّ نزل صلى الله عليه وآله من المنبر ، فلم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلّا اهتمّ وحزن على قتل الحسين عليه السلام »(١).

وروي عن أُمّ سلمة ، قالت: « دخل رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ودخل في أثره الحسن والحسين عليهما السلام وجلسا إلى جانبيه ، فأخذ الحسن على ركبته اليمنى ، والحسين على ركبته اليسرى ، وجعل يقبّل هذا تارة وهذا أُخرى ، وإذا بجبرئيل قد نزل وقال: يا رسول الله ، إنّك لتحبّ الحسن والحسين عليهما السلام ؟

(١) مثير الأحزان: ٩. بحار الأنوار: ٤٤ / ٢٤٧. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ١١٧.

فقال: **وكيف لا أُحبّهما وهما ريحانتاي من الدنيا ، وقرّة عيني.**

فقال جبرئيل: يا نبيّ الله ، إنّ الله قد حكم عليهما بأمر ، فاصبر له.

فقال: **وما هو يا أخي ؟**

فقال: قد حكم على هذا الحسن يموت مسموماً ، وعلى هذا الحسين أن يموت مذبوحاً ، وأنّ لكلّ نبيّ دعوة مستجابة ، فإن شئت كانت دعوتك لولديك الحسن والحسين عليهما السلام ، فادع الله أن يسلّمهما من السمّ والقتل ، وإن شئت كانت مصيبتهما ذخيرة في شفاعتك للعصاة من أُمّتك يوم القيامة.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **يا جبرئيل ، أنا راضٍ بحكم ربّي ، لا أُريد إلّا ما يريده ، وقد أحببت أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أُمّتي ، ويقضي الله في ولدي ما يشاء»**[1].

وروي: «إنّ آدم عليه السلام لمّا هبط إلى الأرض لم يرَ حوّاء ، فصار يطوف الأرض في طلبها ، فمرّ بكربلاء فاغتمّ وضاق صدره من غير سبب ، وعثر في الموضع الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام حتّى سال الدم من رجله ، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي ، هل حدث منّي ذنب آخر فعاقبتني به ؟ فإنّي طفت جميع الأرض فما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض !

فأوحى الله إليه: يا آدم ، ما حدث منك ذنب ، ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً ، فسال دمك موافقة له.

فقال: يا ربّ ، أيكون الحسين نبيّاً ؟

قال: لا ، ولكنّه سبط النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

فقال: ومن القاتل له ؟

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٤١ ، الحديث ٣٥ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ١١٩ ، الحديث ١ .

قال: قاتله يزيد لعين أهل السماوات والأرض.

فقال آدم: فأيّ شيء أصنع يا جبرئيل؟

فقال: يا آدم، إلعنه، فلعنه أربع مرّات ومشى خطوات إلى جبل عرفات، فوجد حوّاء هناك»[١].

وروي: «إنّ **نوحاً** عليه السلام لمّا ركب السفينة طافت به جميع الدنيا، فلمّا مرّت بكربلاء أخذته الأرض وخاف نوح الغرق، فدعا ربّه فقال: إلهي، طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض.

فنزل جبرئيل وقال: يا نوح، في هذا الموضع يقتل الحسين بن عليّ سبط محمّد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء.

فقال: ومن القاتل له؟

قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين، فلعنه نوحٌ أربع مرّات فسارت السفينة حتّى بلغت الجوديّ»[٢].

وروي: «إنّ **إبراهيم** عليه السلام مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً، فعثرت به وسقط إبراهيم عليه السلام وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار وقال: الهي، أيّ شيء حدث منّي؟

فنزل إليه جبرئيل فقال: يا إبراهيم، ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل هنا سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه.

فقال يا جبرئيل: ومن يكون قاتله؟

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٤٢، الحديث ٣٧. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ١٠٢، الحديث ١.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٤٣، الحديث ٣٨. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ١٠٢، الحديث ٢.

قال: لعين أهل السماوات والأرضين، والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربّه.

فأوحى الله تعالى إلى القلم: إنّك استحققت الثناء بهذا اللعن، فرفع إبراهيم يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً، وأمّن فرسه بلسان فصيح.

فقال: يا إبراهيم، أنا أفتخر بركوبك عليَّ، فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي، وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله»(١).

وروي: «إنّ **إسماعيل** كانت أغنامه ترعى بشطّ الفرات، فأخبره الراعي أنّها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً، فسأل ربّه سبب ذلك.

فنزل جبرئيل وقال: يا إسماعيل، سل غنمك فإنّها تجيبك عن سبب ذلك.

فقال لها: لِمَ لا تشربين من هذا الماء؟

فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أنّ ولدك الحسين عليه السلام سبط محمّد، يقتل هنا عطشاناً، فهي لا تشرب من هذه المشرعة حزناً عليه.

فسألها عن قاتله.

فقالت: يقتله لعين أهل السماوات والأرض والخلائق أجمعين.

فقال إسماعيل: اللّهمّ العن قاتل الحسين عليه السلام»(٢).

وروي: «إنّ **موسى** عليه السلام كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلمّا جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الحسك في رجليه وسال دمه، فقال: إلهي، أيّ شيء حدث منّي؟

فأوحى الله إليه: إنّ هنا يُقتل الحسين، وهنا يسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٣٤، الحديث ٣٩. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ١٠٢، الحديث ٣.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٤٣، الحديث ٤٠. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ١٠٢، الحديث ٤.

قال: ربّ، ومن يكون الحسين؟

فقيل له: هو سبط محمّد المصطفى، وابن عليّ المرتضى.

فقال: ومن يكون قاتله؟

فقيل: هو لعين السمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء.

فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمّن يوشع بن نون على دعائه، ومضى لشأنه»[١].

وروي: «إنّ **سليمان** عليه السلام كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء، ومرّ ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء، فأدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتّى خافوا السقوط، فسكنت الريح ونزل البساط.

فقال سليمان للريح: لِمَ سكنتي؟

فقالت: إنّ هنا يُقتل الحسين.

فقال: ومَن يكون الحسين؟

قالت: هو سبط محمّد المختار، وابن عليّ الكرّار.

فقال: ومن قاتله؟

قالت: لعين أهل السماوات والأرض يزيد.

فرفع يده سليمان ولعنه ودعا عليه، وأمّن على دعائه الإنس والجنّ، فهبّت الريح وسار البساط»[٢].

وروي: «إنّ **عيسى بن مريم** عليه السلام كان سائحاً في البراري ومعه الحواريّون، فمرّوا

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٤٤، الحديث ٤١. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ١٠٣، الحديث ٥.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٤٤، الحديث ٤٢. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ١٠٣، الحديث ٦.

بكربلاء ، فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق ، فتقدّم عيسى إلى الأسد وقال له: لِمَ جلست في هذا الطريق ولا تدعنا نمرّ فيه ؟

فقال الأسد بلسان فصيح : إنّي لم أدع لكم الطريق حتّى تلعنوا يزيد قاتل الحسين عليه السلام .

قال عيسى : ومن يكون الحسين ؟

قال : هو سبط محمّد النبيّ الأُمّي ، وابن عليّ الوليّ .

قال : ومن قاتله ؟

قال : قاتله لعين الوحوش والذئاب والسباع أجمع ، خصوصاً أيّام عاشوراء .

فرفع عيسى يديه ودعا عليه ، وأمّن الحواريّون على دعائه ، فتنحّى الأسد عن طريقهم ومضو لشأنهم »[1] .

وروى ابن قولويه في « **الكامل** » بأسانيد معتبرة ، عن عليّ بن الحسين وولده الباقر عليهما السلام ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال : « **زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم فقدّمنا إليه طعاماً أهدته إلينا أُمّ أيمن ، صحفة من تمر وقعباً من لبن ، وزبد ، فقدّمنا إليه ، فأكل منه ، فلمّا فرغ قمت فسكبت على يديه ماءً ، فلمّا غسل يده مسح وجهه ولحيته ببلّة يده ، ثمّ قام إلى مسجد في جانب البيت فخرّ ساجداً ، فبكى فأطال البكاء ، ثمّ رفع رأسه ، فما اجترأ منّا أهل البيت أحدٌ أن يسأله عن شيء .**

فقام الحسين عليه السلام يدرج حتّى صعد على فخذيْ رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأخذ برأسه إلى صدره ووضع ذقنه على رأسه ، ثمّ قال : يا أبةِ ، ما يبكيك ؟

قال : يا بنيّ ، إنّي نظرت إليكم اليوم فسررت بكم سروراً لم أُسرّ بكم قبله مثله ، فهبط

(١) بحار الأنوار : ٤٤ /٢٤٤ ، الحديث ٤٣ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ١٠٣ ، الحديث ٧ .

إليّ جبرئيل فأخبرني أنّكم قتلى ، وأنّ مصارعكم شتّى ، فحمدت الله على ذلك وسألته لكم الخيرة .

فقال له : يا أبةِ ، فمن يزورقبورنا ويتعاهدها على تشتّتها ؟

قال ﷺ : طوائف من اُمّتي يريدون بذلك برّي وصلتي ، أتعاهدهم في الموقف ، وآخذ بأعضادهم فأُنجيهم من أهواله وشدائده »[١] .

ولله درّ الخليعي :

ما لدمعي لم يطفِ حرّ غليلي ... للقتيل الظامي وأيّ قتيل

لقتيل أبكى النبيّ وأذكى ... حرق الحزن في فؤاد البتول

لقتيل بكت عليه السماوات ... وأملاكها بدمع همول

لقتيل غريّ به جدّه وهو ... ربيب على يدي جبرئيل

كيف يلحى على البكا الشاكل ... أو يرعوي لعذل العدول

أين قلب الخليّ من لوعة ... الحزن وقلب المتيّم المبتول

فضح الدمع من تطبّع بالحبّ ... وصحّت شواهد المعلول

لست أنسى جواده واقفاً بالـ ... ـغاضريّات وقفة المغلول

لست أنساه يسأل الراكب ... والسائل أوفى خبراً من المسؤول

مستدلّاً مستخبراً ما اسم هذه ... الأرض وهو الدليل وابن الدليل

ناشقاً ترب كربلا باكياً ... مستعبراً مؤذناً لهم بالنزول

ثمّ قال اضربوا الخيام وقيلوا ... ليس من حادث الردى من مقيل

هاهنا تنحر النحور ولم يبق ... لنا في الحياة غير القليل

(١) كامل الزيارات : ١٢٦ ، الحديث ١٤١ .

هــاهنا تـهتك الحـرائـر مـن آل عــلـيّ بــذلّة وخـمـول
هــاهنا يـصبح العـزيز مـن الأشراف في قبضة الحقير الذليل
مـن دمـي يـبلّ الثـرى هـاهنا وأحرّ قلبي عـلى الثرى المـبلول
ورقـى فـوق مـنبر حـامداً لله يـثني عـلى العـزيز الجـليل
ثـمّ قـال ارجـعوا فـقتلي شـفاء لصـدور مملوّة بـالذحول
فـأجابوه حـاش لله بـل يفديك كلّ بالنفس يابن الرسـول
فـجزاهـم خـيراً وقـال لقـد فـزتم ونـلتم نـهاية المـأمول
ومـضى يـقصد الخيام ويـدعو ودّعـيني يـا أُختي قبل الرحـيل
ودّعـيني فـما إلى جـمع شـمل بكـم بـعد فـرقة مـن سـبيل
ودّعـيني واسـتعملي الصـبر أنـا مـن قـبيل يـفوق كـلّ قـبيل
لا تشقّي جيباً ولا تـلطمي خـدّاً فـإنّا أهـل الرضـا والقـبول
شـأننا إن طـغت عـلينا خـطوب نـتلقّى الأذى بـصبر جـميل
واخـلفيني عـلى بـناتي وكـوني خـير مسـتخلف لأكـرم جـيل
وأطـيعي إمـامك السيّد السجّاد ربّ التـحريم والتـحليل
وإذا مـا قـضيت نـحبي فـقولي فـي سـبيل الإله خـير سـبيل
واذكـريني إذا تـنفّلتِ بـالليل عـقيب التكـبير والتـهليل
ومـضى قـاصداً قـتال بـني الزرقاء ببيض الضبا وزرق النصول
فـاتكاً فـيهم كـفتك أبـيهِ يـوم بـدر بـالصارم المـصقول
فـأتاه سـهم اللـعين فـأرداه صـريعاً بـرضّ تـحت الخيول
ومـضى المـهر نـاعياً يـقصد الفسطاط في كسرة وضعف صهيل

فبرزن النسوان من خليل السجف حيارى في رنّة وعويل
وأتت زينب إليه تنادي واأخي وامؤمّلي واكفيلي
يابن أمّي يا واحدي يا شقيقي واسبائي واذلّتي وا غليلي
ثمّ تدعو بأمّها أمّ يا أمّ أدركيني وعجّلي واندبي لي
واخرجي من ثرى القبور ونوحي لي على غربتي وحزن الطويل
وأسعديني وابكي على النازح الدار الغريب المشرّد المقتول
ثمّ تدمي الخدّ الأسيل من النحر المدمّى باللثم والتقبيل
وتناديه يا أخي ما ترى الأ يتام يعثرن دهشة بالذيول
ما ترى نجلك المفدّى بذلٍّ وسقام بار وداء دخيل
يتشكّى ثقل الحديد عليلاً لهف قلبي على الأسير العليل
ثمّ تبكي والسبط ملقى على الأرض رميلاً واحسرتاه للرميل
كلّما أفحمت وملّت من الندب دنا نحوها بطرف كليل
يا لها من مصيبة أضعفت أركان دين الهدى وخطب جليل
أيعلى رأس الحسين على الرمح ويُهدى إلى الطغاة النغول

وعن ابن عبّاس ، قال : «إنّ أوّل ملك جاء إلى محمّد ﷺ يخبره بقتل الحسين عليه السلام كان جبرئيل الروح الأمين ، منشور الأجنحة ، باكياً صارخاً ، قد حمل من تربته وهي تفوح كالمسك ، فقال رسول الله ﷺ : **أوتفلح أمّة تقتل فرخي** ، أو قال : **فرخ ابنتي**.

قال جبرئيل : فيضربها الله بالاختلاف فتختلف قلوبهم»[1].

---

(١) كامل الزيارات : ١٣١ ، الحديث ١٤٨ .

المجلس الرابع

أيّها الإخوان والأحباب ، والخلّان والأصحاب ، استنهضوا مضمرات الأحزان في ميادين الأشجان ، على مصاب سادات الزمان ، والصفوة من شجرة بني عدنان ، أهل بيت الولاية والنبوّة ، ومعادن الحقائق والفتوّة ، الذين لأجلهم أُوجدت الموجودات ، وبهم بسطت الأرض وقامت السماوات ، شفعاء الخلائق ، وأرباب المعارف والحقائق ، سلاطين يوم الحساب والثواب والعقاب ، وأرباب الكتيبة والكتاب .

ألم تعلموا بأنّ الحزن عليهم من أفضل الأعمال ؟ والتفجّع والتوجّع عليهم من أحسن الأحوال ، وأقربها من ذي الجلال ؟

ألم تعلموا أنّ المقصّر عن هذه الغاية بنفسه قصّر ، والمتأخّر عن بلوغ هذه النهاية لحظّه أخّر ؟ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وكلّما صدر منها فهو راجع إليها ، ولئن سحّت من جفوني الدماء ، فضلاً عن الدموع ، فإنّما صدرت عن نيران الأحزان بين الضلوع .

ولئن علا نحيبي من هذا المصاب ، فليعظم ما في قلبي من الحزن والاكتئاب ، كيف لا وقد سُيّر بإمامنا السجّاد عليه السلام ، مصفّداً بالأغلال بين يدي شرّ العباد ، ونسوته يُسرى بهنّ بمنظر منه ومسمع ، ولا لهنّ مدمع يجفّ ولا جفن يهجع ، فلا يحمد الموالي على الصبر إذا نأت عنه مواليه ، بل يجب إهراق الدمع عند فقده الصبر إذا غابت ساداته وأهل أمانيه .

ولله درّ من قال في ذكر الآل[١]:

بأبي القتيل ومن بمصرعِه	ضعفَ الهدىٰ وتضاعفَ الكفرُ
بأبي الذي أكفانه نُسجت	من عِثْيَرٍ وحنوطه عفرُ
ومغسَّلاً بدمِ الوريدِ فلا	ماءٌ أُعدَّ له ولا سِدرُ
بدرٌ هوىٰ من سعدِهِ فبكى	لخمودِ نورِ ضيائِه البدرُ
هوتِ النسورُ عليه عاكفةً	وبكاه عند طلوعِهِ النسرُ
سلبت يدُ الطلقاءِ مِغفرَهُ	فبكىٰ لسلبِ المِغفرِ الغفرُ
وبكت ملائكةُ السماءِ له	حزناً ووجه الأرض مغبرٌّ
والدهرُ مشقوق الرداء ولا	عجبٌ يشقُّ رداءَه الدهرُ
والشمسُ ناشرة ذوائبَها	وعليه لا يُستقبَحُ النشرُ
برزت له في زيٍّ ثاكلةٍ	أثوابها دمويّةٌ حمرُ
وبكت عليه المعصراتُ دماً	فأديمُ خدِّ الأرضِ محمرٌّ
لا عذرَ عندي للسماءِ وقد	بخلتْ وليس لباخلٍ عذرُ
تبكي دماً لمّا قضىٰ عطشاً	لِم لا بكىٰ حزناً له القطرُ

(١) القائل هو أبو الحسن علاء الدين الشيخ عليّ بن الحسين الحلّي الشهيفي، المعروف بابن الشهفيّة، عالم فاضل، وأديب كامل، قد جمع بين الفضيلتين: علم غزير، وأدب بارع، جاء في الطليعة من شعراء أهل البيت عليهم‌السلام وقصائده الرنّانة السائرة الطافحة بالحجاج، الزاهية بالرقائق، المشحونة بالدقائق، المتبلّجة بالمحسّنات البديعيّة، على جزالة في اللفظ، وحصافة في المعنى، ومتانة في الأسلوب، وقوّة في المبنى، ورصانة في النضد، ورشاقة في النظيم في مدائح أمير المؤمنين، ومراثي ولده السبط عليه‌السلام أعدل شاهد لعبقريّته وتقدّمه في محاسن الشعر، وثباته على نواميس المذهب، واقتفائه أثر أئمّة دينه عليهم‌السلام .

وكـريمةُ المـقتولِ يـوجدُ مـن دمِــهِ عــلىٰ أثــوابِــها أثــرُ
بـأبي كـريماتِ الحسينِ ومـا مـن دونـهنّ لنـاظرٍ سـترُ
لا ظـلَّ سـجفٍ يكـتنفن بـه عـن كـلِّ أفّـاكٍ و لا خِـدرُ
مـا بـين حـاسرةٍ ونـاشرةٍ برزت يـواري شـعرها العشرُ
يـندبنَ أكـرمَ سـيّدٍ ظـفرتْ لأقـلِّ أعـبدِهِ بـه ظـفرُ
ويـقلن جـهراً للجواد وقـد أمَّ الخـيامَ عُـقِرتَ يـا مـهرُ
ما بالُ سرجِك يا جواد مـن الـ ـندبِ الجواد أخ العلا صِـفرُ
آهــاً لهــا نـارٌ تـأجّجُ فـي صـدري فـلا يُـطفىٰ لهـا حـرُّ
أيـموتُ ظـمآناً حسينٌ وفـي كـلتا يـديه مـن النـدىٰ بـحرُ
وبنوه فـي ضـيقِ القـيودِ ومـن ثـقلِ الحـديد عـليهمُ وقـرُ
حُـملوا عـلى الأقـتابِ عـاريةً شـعثاً وليس لكسـرِهم جـبرُ
تسري بهم خوصُ الركابِ وللـ ـطلقاءِ فـي أعـقابِها زجـرُ
لا راحـمٌ لهـمُ يـرقُّ ولا فـيما أصـابهمُ له نكـرُ[1]

روى الثقة الجليل ابن قولويه في «**الكامل**» بإسناد معتبر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: **«كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه ثـمّ يـقول لأمـير المـؤمنين عليه السلام: أمسكه، ثمّ يقع عليه يقبّله ويبكي، فيقول: لِمَ تبكي؟**

فيقول: يا بنيّ، أُقبّل موضع السيوف منك وأبكي.

فقال الحسين عليه السلام: يا أبه، وأُقتل؟

قال: إي والله، وأبوك وأخوك وأنت.

(١) الغدير: ٣٦٨/٦.

قال: يا أبه ، فمصارعنا شتّى ؟

قال: نعم يا بنيّ.

قال: فمن يزورنا من اُمّتك ؟

قال: لا يزورني ويزور أباك وأخاك وإيّاك إلّا الصدّيقون»[١].

وروى ابن شهرآشوب في «**المناقب**» : عن ابن عبّاس ، قال: «سألت هند عائشة أن تسأل النبيّ ﷺ تعبير رؤيا.

فقال: **قولي لها فلتقصص رؤياها.**

فقالت: رأيت كأنّ الشمس قد طلعت من فوقي ، وقد خرج منها أيضاً شمس أصغر منها ، وكأنّ قمراً قد خرج من فرجي أسوداً ، وخرج من ذلك القمر كوكب أسود ، فشدّ على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها ، فاسودّ الاُفق لابتلاعها ، ثمّ رأيت كوكباً بدا من السماء وكواكباً مسودّة في الأرض ، إلّا أنّ المسودّة أحاطت باُفق الأرض من كلّ مكان.

فاكتحلت عينا رسول الله ﷺ بدموعه ، ثمّ قال: **هند اخرجي يا عدوّة الله** ـ مرّتين ـ ، **لقد جدّدتِ عليَّ أحزاني ، ونعيتِ إليَّ أحبّائي.**

فلمّا خرجت قال: **اللّهمّ العن نسلها والعنها.**

فسئل عن تفسيرها ، فقال ﷺ: **إنّ الشمس طلعت عليها عليّ بن أبي طالب ، والكوكب الذي خرج كالقمر أسود فهو معاوية ، مفتون فاسق جاحد لله ، فتلك الظلمة التي زعمت ، ورأت كوكباً يخرج من القمر أسود فشدّ على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها فاسودّ الاُفق ، فذاك ابني الحسين يقتله ابن معاوية ، فتسودّ الشمس ويظلمّ الاُفق.**

---

(١) كامل الزيارات: ١٤٦ ، الحديث ١٧٢.

وأمّا الكواكب السود في الأرض أحاطت بالأرض من كلّ مكان فتلك بنو أُميّة »[١].

وروى الثقتان الجليلان ، والعالمان النبيلان ، عليّ بن إبراهيم في تفسيره ، وابن قولويه في « **الكامل** » ، بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام ، قال : « **كان الحسين عليه السلام مع أُمّه تحمله ، فأخذه النبيّ صلى الله عليه وآله وقال : لعن الله قاتلك ، ولعن الله سالبك ، وأهلك الله المتآزرين عليك ، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك .**

فقالت فاطمة الزهراء عليها السلام : يا أبه ، أيّ شيء تقول ؟

فقال : يا بنتاه ، ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي وهو يومئذٍ في عصبة كأنّهم نجوم السماء يتهادون إلى الموت والقتل ، وكأنّي أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم .

قالت : يا أبه ، وأين هذا الموضع الذي تصف ؟

قال صلى الله عليه وآله : موضع يقال له كربلاء ، وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأئمّة ، تقتلهم شرار أُمّتي ، لو أنّ أحدهم شفع له في السماوات والأرضين ما شفّعوا فيه ، وهم المخلّدون في النار .

قالت : يا أبه ، فيقتل ؟

قال : نعم يا بنتاه ، وما قتل قتلته أحد كان قبله ، وتبكيه السماوات والأرض والملائكة والوحوش ، والحيتان في البحار ، والجبال ، ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفّس ، ويأتيه قوم من محبّينا ليس في الأرض أعلم بالله منهم ، ولا أقوم بحقّنا ، وليس على الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم ، أُولئك مصابيح في ظلمات الجور ، وهم الشفعاء ، وهم واردون حوضي غداً أعرفهم إذا وردوا عليَّ بسيماهم ، وكلّ أهل دين يطلبونا أئمّتهم ،

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٢٢٧/٣ . بحار الأنوار : ٤٤ / ٢٦٣ ، الحديث ٢١ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ١٣٦ ، الحديث ٤ .

وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا ، وهم قوّام الأرض ، وبهم ينزل الغيث[١].

فقالت فاطمة الزهراء: يا أبه ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وبكت.

فقال لها: يا بنتاه ، إنّ أفضل أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا ، بذلوا أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقّاً ، فما عند الله خير من الدنيا ، وما فيها قتلة أهون من ميتة من كتب عليه القتل وخرج إلى مضجعه ، ومن لم يقتل فسوف يموت.

يا فاطمة بنت محمّد ، أما تحبّين أن تأمري غداً بأمر تطاعين في هذا الخلق عند الحساب ؟

أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش ؟

أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة ؟

أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش على الحوض فيسقي أولياءه ، ويذود عنه أعداءه ؟

أما ترضين أن يكون بعلك قيّم النار ، يأمر النار فتطيعه يُخرج منها ما يشاء ويترك ما يشاء ؟

أما ترضين أن تنظري إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به ، وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله ، فماترين الله صانعاً بقتل ولدك وقاتليه وقاتليك وقاتلي بعلك إذا أُفلجت حجّته على الخلائق ، وأمرت النار أن تطيعه ؟

أما ترضين أن تكون الملائكة تبكي لابنك ، ويأسف عليه كلّ شيء ؟

أما ترضين أن يكون من أتاه زائراً في ضمان الله ، ويكون من أتاه بمنزلة من حجّ بيت

(١) إلى هنا في كامل الزيارات.

الله واعتمر ، ولم يخل من الرحمة طرفة عين ، وإذا مات مات شهيداً ، وإن بقي لم تـزل الحفظة تدعو له ما بقي ، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتّى يفارق الدنيا ؟

قالت : يا أبه ، سلّمت ورضيت وتوكّلت على الله.

فمسح على قلبها ، ومسح عينيها ، وقال ﷺ : إنّي وبعلك وإيّاك وابنيّ وابـنيك فـي مكان تقرّ عيناك ، ويفرح قلبك »[١].

وروى الصدوق في « **الأمالي** » وغيره ، بأسانيد معتبرة عن ابن عبّاس ، قال : « كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفّين ، فلمّا نزل بنينوى ، وهو شطّ الفـرات ، قال بأعلى صوته : **يابن عبّاس ، أتعرف هذا الموضع ؟**

قلت له : ما أعرفه يا أمير المؤمنين ؟

فقال : **لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّى تبكي كبكائي.**

قال : فأبكاني.

قال : فبكى طويلاً حتّى اخضلّت لحيته ، وسالت الدموع على صدره ، وبكينا معاً وهو يقول : **اوّه اوّه ما لي ولآل حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر. صبراً يا أبا عبدالله ، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم.**

ثمّ دعا بماء فتوضّأ وضوء الصلاة ، فصلّى ما شاء الله أن يصلّي ، ثمّ ذكر نحو كلامه الأوّل ، إلّا أنّه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة ، ثمّ انتبه فقال : **يابن عبّاس.**

فقلت : ها أنا ذا.

فقال : **ألا أُحدّثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي ؟**

---

(١) لم نجده في تفسير القمّي ، بل في تفسير فرات بـن إبـراهـيم : ١٧١ ، الحـديث ٢١٩ . كـامل الزيارات : ١٤٤ ، الحـديث ١٧٠ . بـحار الأنـوار : ٤٤ / ٢٦٤ ، الحـديث ٢٢ . العـوالم ـ الإمـام الحسين عليه السلام : ١٣٩ ، الحديث ١١ .

فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين.

قال: **رأيت كأنّي برجال قد نزلوا من السماء ومعهم أعلامٌ بيض، قد تقلّدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطّوا حول هذه الأرض خطّة.**

ثمّ رأيت كأنّ هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط، وكأنّي بالحسين سخلي وفرخي وبضعتي ومخّي قد غرق فيه، يستغيث فلا يغاث، وكأنّ الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبراً آل الرسول، فإنّكم تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنّة إليك مشتاقة، ثمّ يعزّوني ويقولون: يا أبا الحسن، أبشر، فقد أقرّ الله عينيك يوم يقوم الناس لربّ العالمين، ثمّ انتبهت.

هكذا يابن عبّاس، والذي نفس عليّ بيده، لقد حدّثني الصادق المصدّق إنّي سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء يدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة، وإنّها لفي السماوات معروفة، تذكر أرض كرب وبلاء كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس.

ثمّ قال لي: **يابن عبّاس، اطلب في حولها بعر الظباء، فوالله ما كذبت ولا كذّبت، وهي مصفرّة لونها لون الزعفران.**

قال ابن عبّاس: فطلبتها فوجدتها مجتمعة، فناديته: يا أمير المؤمنين، قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي.

فقال لي عليّ عليه السلام: **صدق الله ورسوله.**

ثمّ قام يهرول إليها، فحملها وشمّها وقال: **هي هي بعينها. أتعلم يابن عبّاس، ما هذه الأبعار؟ هذه قد شمّها عيسى بن مريم عليه السلام ومعه الحواريّون، فبكى وبكى الحواريّون وهم لا يدرون لِمَ جلس ولِمَ بكى. فقالوا: يا روح الله وكلمته، ما يبكيك؟**

قال: أتعلمون أيّ أرض هذه؟

قالوا: لا.

قال: هذه أرض يُقتل فيها فرخ الرسول أحمد ﷺ ، وفرخ الحرّة الطاهرة البتول ، شبيهة أمّي ، ويلحد فيها ، طينة أطيب من المسك ؛ لأنّها طينة الفرخ المستشهد ، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء ، فهذه الظباء تكلّمني وتقول: إنّها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك ، وزعمت أنّها آمنة في هذه الأرض ، ثمّ ضرب بيده إلى هذه البعرات فشمّها ، فقال: هذه بعر الظباء على هذا الطيب لمكان حشيشها الطيّب ، اللّهمّ فأبقها أبداً حتّى يشمّها أبوه فتكون له عزاء وسلوة.

قال عليه السلام : **فبقيت إلى يومنا هذا وقد اصفرّت لطول زمنها ، وهذه أرض كرب وبلاء.**

ثمّ قال بأعلى صوته: **يا ربّ عيسى بن مريم ، لا تبارك في قتلته ، والمُعين عليه ، والخاذل له.**

ثمّ بكى بكاءً طويلاً وبكينا معه ، حتّى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً ، ثمّ أفاق ، فأخذ بعر الظباء فصرّه في ردائه ، وأمرني أن أصرّها كذلك.

ثمّ قال: **يابن عبّاس ، إذا رأيتها تتفجّر دماً عبيطاً ويسيل منها دمٌ عبيط فاعلم أنّ أبا عبدالله قد قُتل بها ودُفن.**

قال ابن عبّاس: فوالله لقد كنت أحفظها أشدّ من حفظي لبعض ما افترض الله عزّ وجلّ عليّ ، وأنا لا أحلّها من طرف كمّي ، فبينما أنا نائم في البيت إذ انتبهت ، فإذا هي تسيل دماً عبيطاً ، وكان كمّي قد امتلأ دماً ، فجلست وأنا باكٍ.

فقلت: قد قتل والله الحسين ، والله ما كذّبني عليّ قطّ في حديث حدّثني ولا أخبرني بشيء قطّ أنّه يكون إلّا كان كذلك ؛ لأنّ رسول الله كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره ، ففزعت وخرجت وذلك عند الفجر ، فرأيت والله المدينة كأنّها ضباب لا يستبين منها أثر ولا عين ، ثمّ طلعت الشمس ورأيت كأنّ حيطان المدينة عليها دم عبيط ، فجلست وأنا باكٍ ، فقلت: قد قُتل والله الحسين عليه السلام ، وسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول:

اصبروا آل الرسول　قُتل الفرخ النحول
نزل الروح الأمين　بــبكاء وعــويل

ثمّ بكى بأعلى صوته ، فبكيت وأثبت عندي تلك الساعة ، وكان شهر المحرّم يوم عاشوراء لعشر مضين منه ، فوجدته قُتل يوم ورد علينا خبره وتاريخه كذلك ، فحدّثت هذا الحديث أُولئك الذين كانوا معه فقالوا : والله لقد سمعنا ما سمعته ونحن في المعركة ولا ندري ما هو ، فكنّا نرى أنّه الخضر عليه السلام »[١].

وروي في بعض الكتب المعتبرة عن عبدالله بن قيس ، قال : «كنت مع من غزا مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين ، وقد أخذ أبو أيّوب الأعور السلمي الماء وحرزه عن الناس ، فشكى المسلمون العطش ، فأرسل فوارساً على كشفه ، فانحرفوا خائبين ، فضاق صدره فقال له ولده الحسين عليه السلام : **أمضي إليه يا أبتاه ؟**

فقال : **امضِ يا ولدي** ، فمضى مع فوارس فهزم أبا أيّوب عن الماء وبنى خيمته وخطّ فوارسه وأتى إلى أبيه وأخبره ، فبكى عليه السلام ، فقيل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين وهذا أوّل فتح ببركة الحسين عليه السلام ؟

فقال عليه السلام : **ذكرت أنّه سيُقتل عطشاناً بطفّ كربلاء حتّى ينفر فرسه ويحمحم ويقول : الظليمة الظليمة لأُمّة قتلت ابن بنت نبيّها**»[٢].

وروى الصدوق بإسناد معتبر عن الباقر عليه السلام ، قال : «**قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : لمّا اشتدّ الأمر بالحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام نظر إلى من كان معه ، فإذا هو**

---

(١) أمالي الصدوق : ٦٩٣ ، الحديث ٩٥١ . كمال الدين وتمام النعمة : ٥٣٢ ، الحديث ١ . مدينة المعاجز : ١٦٥/٢ ، الحديث ٤٧٢ . بحار الأنوار : ٢٥٢/٤٤ ، الحديث ٢ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ١٤٤ ، الحديث ٢ .

(٢) بحار الأنوار : ٢٦٥/٤٤ ، الحديث ٢٣ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ١٤٤ ، الحديث ١٠ .

بخلافهم؛ لأنّهم كلّما اشتدّ الأمر بهم تغيّرت ألوانهم ، وارتعدت فرائصهم ، ووجلت قلوبهم ، وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق وجوههم وألوانهم ، وتهتدي جوارحهم ، وتسكن نفوسهم ، فقال بعضهم لبعض: انظروا ، لا يبالي بالموت .

فقال لهم الحسين عليه السلام : صبراً بني الكرام ، فما الموت إلّا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة ، والنعيم الدائمة ، فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر ، وما هو لأعدائكم إلّا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب.

إنّ أبي حدّثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الدنيا سجن المؤمن ، وجنّة الكافر ، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم ، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم ، ما كذبت ولا كذّبت»[1] .

وفي «**الخصال**» و«**الأمالي**» عن الثمالي ، قال: «نظر عليّ بن الحسين عليهما السلام إلى عبيدالله بن العبّاس بن عليّ عليه السلام فاستعبر ، ثمّ قال: **ما من يوم أشدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أُحد ، قُتل فيه عمّه حمزة بن عبدالمطّلب أسد الله ، وأسد رسوله ، وبعده يوم مؤتة ، قُتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبي طالب.**

ثمّ قال: **ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنّهم من هذه الأمّة كلّ يتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بدمه ، ويذكّرهم الله فلا يتّعظون ، حتّى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً.**

ثمّ قال: **رحم الله العبّاس ، فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتّى قطعت يداه ، فأبدله الله عزّ وجلّ بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة ، كما جعل لجعفر بن أبي طالب ، وأنّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة»**[2].

وفي «**الكافي**» و«**الكامل**» عن داود الرقّي بإسناد معتبر ، قال: «كنت عند

---

(١) معاني الأخبار: ٢٨٨ ، الحديث ٣.

(٢) الخصال: ٦٨ ، الحديث ١٠١ ، قطعة منه . أمالي الصدوق: ٥٤٨ ، الحديث ٧٣١ .

الصادق عليه السلام إذ استسقى الماء فشربه ، فلمّا شربه رأيته استعبر واغرورقت عيناه بدموعه ، ثمّ قال لي : **يا داود ، لعن الله قاتل الحسين عليه السلام ، فما من عبد شرب الماء وذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله ، إلّا كتب الله له مائة ألف حسنة ، وحطّ عنه مائة ألف سيّئة ، ورفع له مائة ألف درجة ، وكأنّما أعتق مائة ألف نسمة ، وحشره الله يوم القيامة ثلج الفؤاد**»[١].

وروى الشيخ المفيد وغيره : «إنّ الحسين بن عليّ عليهما السلام لمّا عرف عزم أعدائه على قتله ، جمع أصحابه عند قرب المساء.

قال عليّ بن الحسين عليهما السلام : **فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم ، وأنا إذ ذاك مريض ، فسمعت أبي يقول لأصحابه : أثني على الله أحسن الثناء ، وأحمده على السرّاء والضرّاء. اللّهمّ إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة ، وعلّمتنا القرآن ، وفهّمتنا في الدين ، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً ، فاجعلنا لك من الشاكرين.**

أمّا بعد.. فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبرّ وأوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله عنّي خيراً.

ألا وإنّي لأظنّ يوماً لنا من هؤلاء ، ألا وإنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم حرج منّي ولا ذمام. هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً.

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وأبناء عبدالله بن جعفر : لِمَ نفعل ذلك ؟! لنبقى بعدك ! لا أرانا الله ذلك أبداً ، وبدأهم بهذا القول العبّاس بن عليّ ، وتبعه الجماعة عليه وتكلّموا بمثله.

فقال الحسين : يا بني عقيل ، حسبكم من القتل بمسلم بن عقيل ، فاذهبوا أنتم وقد أذنت لكم.

فقالوا : سبحان الله ! ما يقول الناس إذا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام

---

(١) الكافي : ٣٩١/٦ ، الحديث ٦ . كامل الزيارات : ٢١٢ ، الحديث ٣٠٤ .

ولم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، ولا ندري ما صنعوا ؟ لا والله ! ما نفعل ، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا ، ونقاتل معك حتّى نرد موردك ، فقبّح الله العيش بعدك.

وقام إليه **مسلم بن عوسجة** ، فقال : أنحن نخلّي عنك ! وبماذا نعتذر إلى الله في أداء حقّك ؟ لا والله حتّى أطعن في صدورهم برمحي ، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ، ولو لم يكن معي سلاح أُقاتلهم به ، لقذفتهم بالحجارة ، والله لا نخلّيك حتّى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك .

أما والله لو علمتُ أنّي أُقتل ثمّ أُحيى ، ثمّ أُحرق ، ثمّ أُذرّى ، ثمّ يفعل ذلك بي سبعين مرّة ، ما فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك ، فكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

وقام **زهير بن القين** رضي الله عنه فقال : والله لوددت أنّي قتلت ، ثمّ نشرت ، ثمّ قتلت حتّى أقتل هكذا ألف مرّة ، وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك ، وتكلّم جماعة من أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد ، فجزاهم الحسين عليه السلام خيراً.

وقال عليّ بن الحسين عليهما السلام : **«إنّي لجالس في تلك الليلة التي قُتل أبي في صبيحتها وعندي عمّتي زينب تمرّضني ، إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده فلان مولى أبي ذرّ الغفاري ، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:**

يَا دَهْرُ أُفٍّ لَكَ مِنْ خَلِيلِ — كَمْ لَكَ بِالْإِشْرَاقِ وَالْأَصِيلِ
مِنْ صَاحِبٍ وَطَالِبٍ قَتِيلِ — وَالدَّهْرُ لاَ يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ
وَإِنَّما الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ — وَكُلُّ حَيٍّ سَالِكٌ سَبِيلِ

فأعادها عليه السلام مرّتين أو ثلاثاً حتّى فهمتها وعلمت ما أراد ، فخنقتني العبرة فرددتها

ولزمت السكوت وعلمت أنّ البلاء قد نزل . وأمّا عمّتي فلمّا سمعت ما سمعتُ وهي امرأة ، ومن شأن النساء الرقّة والجزع ، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها وهي حاسرة حتّى انتهت إليه ، وقالت : واثكلاه ، ليت الموت أعدمني الحياة . اليوم ماتت أُمّي فاطمة ، وأبي علي ، وأخي الحسن ، يا خليفة الماضين وثمال الباقين .

فنظر إليها الحسين عليه السلام وقال : يا أُختاه ، لا يذهبنّ بحلمك الشيطان ، وترقرقت عيناه بالدموع ، فقالت : ردّنا إلى حرم جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال : هيهات ، لو ترك القطا لنام .

فقالت : يا وليتاه ، فتغتصب نفسك اغتصاباً ! فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي ، ثمّ لطمت وجهها وهوت إلى جيبها وشقّته ، وخرّت مغشيّة عليها .

فقام إليها الحسين عليه السلام فصبّ على وجهها الماء وقال لها : يا أُختاه ، اتّقي الله ، وتعزّي بعزاء الله ، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون ، وأهل السماء لا يبقون ، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجه الله تعالى الذي خلق كلّ شيء بقدرته ، ويبعث الخلق ويعودون ، وهو فرد وحده ، أبي خير منّي ، وأُمّي خير منّي ، وأخي خير منّي ، ولي ولكلّ مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أُسوة حسنة ، فعزّاها بهذا ونحوه ، وقال لها : يا أُختاه ، أقسمت عليك فأبرّي قسمي : لا تشقّي علَيَّ جيباً ، ولا تخمشي علَيَّ وجهاً ، ولا تدعي علَيَّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت ، ثمّ جاء بها حتّى أجلسها عندي »[1] .

ولله درّ الخليعي رحمه الله حيث يقول :

هاج حزني وزاد حرّ لهيبي	وشجاني ذكر القتيل الغريب
وقليل لمن يمثّل مولاه	لدى الطفّ ذا جبين تريب

(١) الإرشاد : ٢/ ٩٠ ـ ٩٣ . روضة الواعظين : ١٨٣ . إعلام الورى : ١/ ٤٥٥ . بحار الأنوار : ٤٤/ ٣٩٢ . المعالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٢٤٣ .

فـيض دمـعي عـلى خـدود و تسهاد جفوني قرحى وطول نحيبي
كـربلا كـم تـركتِ عـندي كـروباً بـرزايـا تـذيب حبّ القـلوب
كـم هـوى فـي ثـراك بـدر تـمٍّ وأضـرّ النـوى بـغصن رطيب
لهف نفسي على ابـن بـنت رسـو ل الله يـدعو ومـاله مـن مـجيب
قـائلاً ليس فـي الأنـام ابـن بـنت للـنبيّ غـيري فـلا تـعدلوا بـي
هـل عـلى بـدعة أبـحتم دمـي أم كنت قصّرت ساهياً عن وجوب
لهـف قـلبي لطـفله فـوق كـفّيه بـصدرٍ ضـامٍ ونـحرٍ خـضيب
وهـو يسـتقبل الدمـاء ويـلقيها ويـبدي شكـواه للـمستجيب
لهف نفسي لزيـنب تـلطم الوجـه فـتدمي خـدودها بـالنديب
وتـناديه يـا أخـي يـابن أمّـي يـا شـقيقي أسـلمتني للـخطوبِ
أيـن جـدّي أيـن البـتول ألا أيـن علـيّ واوَحْـدَتي وا لهـيبي
لهـف نـفسي لفـاطمة الصـغرى ولهـفي لقـلبها المـرعوبِ
لهف قلبي على سكينة من خوف الأعـادي تـبكي بـدمع صـبيب
لهف قلبي لأمّ كـلثوم مـن سـلب نـقاب ومـعجر مـنهوبِ
لستُ أنسى رأس الحسـين كـبدر التمّ يبدو فـي رأس رمـح كـعوبِ
يـالثارات أحـمد وعـليّ مـن شنيع جـرى وأمـر عـصيبِ
أيـرى ثـغر ابـن فـاطمة يـقرعه أرذل الورى بـالقضيبِ
يـابن بـنت النـبيّ يـابن الذي أودعـه الله سـرّ عـلم الغـيوبِ
ليت أنّ الوصـيّ وافـاك بـالطفّ فـلم تـخشَ مـن أذى وكـروبِ
يـا بـني أحـمد إليكـم تـطرّبت بـمدحي وأنـتم مـطلوبي
بكـم يـرتجي الخـليعي أمـاناً في الحشر من موبقات الذنـوبِ

المجلس الخامس

أيّها الإخوان المؤمنون ، والشيعة المخلصون ، والموالي المحبّون ، قاطعوا رقاد الجفون ، وواصلوا سهاد الجفون ، واتركوا اللذّات الفانية ، وليكن همّكم الآخرة الباقية .

وتفكّروا فيما جرى على سادات العباد ، وأنوار الله في البلاد ، وشفعاء يوم المعاد ، وحجج الله على الحاضر والباد ، شهداء الخلائق ، وكنوز المعارف والحقائق ، ولسان الله الناطق ، الذين أتى مدحهم في كتاب الله ظاهراً منيراً ، وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، كيف بدّد أعداء الله شملهم ، وشتّت خصماء الرحمان جمعهم ، وصيّروهم ما بين صريع في المحراب قد فلق السيف هامته ، وسميم فوق الجنازة قد شكّت بالسهام أكفانه ، وقتيل بالعراء قد رُفع فوق القناة منه الرأس ، وطريح قد سكنت منه الحواسّ ، وخمدت منه الأنفاس ، ومكبّل في السجون قد رضّضت بالحديد أعضاؤه ، ومسموم قد قطّعت بجرع السمّ أمعاؤه ، وكلّما تزايدت في مصابهم الأفكار ، توقد في القلوب النار ، فلا ملجأ ولا معوّل لبثّ الشكوى إلّا المنتقم القهّار .

ولله درّ من قال من الرجال في الآل ، وأجاد فيما قال :

أتخدعني الدنيا وقد شاب مفرقي … وأصبحت معقولاً لها بعقالِ

وأنسى مساويها وما طال عهدها … وأسعى لها بالجهل سعي خبالِ

ولي أُسوة فيها بآل محمّد بني خير مبعوث وأكرم آلِ
تقسّمهم ريب المنون فأصبحوا عباديد أشتاتاً بكل مجالِ
فبين شريد يرتمي غربة النوى به بين غيطان وبين جبالِ
وبين صليب فوق جذعة نخلة تهبّ عليه من صبا وشمالِ
وبين دفين وهو حيّ ومختفٍ يُراقبُ خوفاً من وقوعِ نكالِ
وبين سميم قد سَرى في عظامه من السم قتّال بغير قتال
فيا ليتَ شعري من أنوح ومن له أروح وما قلبي عليه بسال
أأبكى عليّاً حين عمّم رأسهُ بمنصلة ذي رونق وصقالِ
أم ابكي لبنت المصطفى بعدما قضى قضت لم تفز من إرثها بخلال
أم الحسن الزاكي بسمّ جعيدة قضى بين أنصار له ومَوالِ
وأنّ حنيني للشهيد بكربلا لباق فلا يقضى له بزوالِ
فديت فتىً قد خرّ عن سرج مهره كما خرّ طود من منيف جبالِ
فديت صريعاً قد علا الشمر فوقه لقطع وريد أو لحزّ قذالِ
فديت طريحاً أجمعوا بعد قتله على نهب نسوان له وعيالِ
فديت قتيلاً رأسه فوق ذابل كما البدر يزهو في أتمّ كمالِ
فديت إماماً بعد قتل حماته يُنادي بصوت في البريّة عالِ
يقول لهم: إن تتّقوا الله ربّكم فقتلي لكم والله غير حلالِ
فديت عليّاً في أُساراه يغتدى به في قيود للعدوّ ثقالِ

حكي: «أنّ العبّاس ابن أمير المؤمنين عليه السلام كان رجلاً وسيماً جميلاً، يركب الفرس المطهّم ورجلاه يخطّان في الأرض، وكان يقال له قمر بني هاشم لحسنه وجماله،

وكان لواء أخيه الحسين معه وفي يده »[١].

« ولمّا رأى أخاه الحسين عليه السلام قد بقي فريداً وحيداً، وقُتل أنصاره وأعوانه ومحبّوه وإخوانه، تقدّم إلى أخيه بنفسه يفديه، وقال: يا أخي، هل من رخصة ؟

فلمّا سمع الحسين عليه السلام كلامه بكى بكاءً شديداً روحي له الفداء، ونفسي لنفسه الوقاء، وقال: **يا أخي، أنت صاحب لوائي، وإذا مضيت تفرّق عسكري**.

فقال له العبّاس: قد ضاق صدري، وسئمت من الحياة، وأُريد أن أطلب ثأر هؤلاء ـ مشيراً إلى الذين فدوا أخاه الحسين عليه السلام بأرواحهم وأبدانهم ـ من هؤلاء المنافقين.

فقال له الحسين عليه السلام: **فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء**.

فذهب العبّاس إلى الأعداء ووعظهم فما اتّعظوا، وخوّفهم الله فما خافوا، وحذّرهم العذاب فما وجدوا ولم ينزجروا، فرجع العبّاس إلى أخيه وأخبره بالحال، فسمع العبّاس ضجّة الأطفال ينادون: العطش.. العطش، فالتهب في قلبه حرّ النار، ولم يأخذه قرار ولا اصطبار، وركب فرسه، وأخذ رمحه، وحمل القربة روحي له الفداء، وقصد نحو الفرات، فأحاط به أعداء الدين، وخصماء ربّ العالمين، وكانوا أربعة آلاف موكّلين بالفرات ليمنعوا منه أهل البيت الذين لأجلهم أُوجدت الموجودات، واستقرّت الأرضون، وقامت السماوات، ورموه بالنبال من كلّ جانب ومكان، فحمل عليهم روحي فداه، كالأسد الباسل، وكشفهم عن وجهه، وانهزموا بين يديه كالجراد المنتشر، وقتل منهم ثمانين رجلاً حتّى دخل الفرات، وكان عطشاناً ضامياً.

فلمّا أراد أن يشرب الماء ذكر عطش أخيه ونور عينيه وروحه التي بين جنبيه، وتذكّر عطش النساء والأطفال، وبقاءهم في أسوأ حال، فرمى الماء من يده

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٥٦. بحار الأنوار: ٤٥/ ٣٩. المعالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٢٨٢.

ولم يشرب منه مع عطشه، وملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن، وتوجّه نحو الخيمة، فقطعوا عليه الطريق، وأحاطوا به من كلّ جانب، فحاربهم حتّى ضربه نوفل الأزرق لعنه الله على يده اليمنى فقطعها، فحمل القربة على كتفه الأيسر، فضربه نوفل فقطع يده اليسرى من الزند، فحمل القربة روحي فداه بأسنانه لحرصه عليها لأجل أخيه وعياله، فجاءه سهم فأصاب القربة وأُريق ماؤها، ثمّ جاءه سهمٌ آخر فأصاب صدره، فانقلب عن فرسه، فصاح إلى أخيه الحسين عليه السلام: أدركني يا أخاه.

فلمّا أتى الحسين عليه السلام رأى أخاه العبّاس صريعاً، فبكى الحسين وحمله إلى الخيمة، وأتى به إلى النساء، وألقاه بينهنّ صريعاً، وقال عليه السلام: **الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي**»[1]، وبكى بكاءً شديداً على أخيه العبّاس، وأنشأ صلوات الله وسلامه عليه يقول:

«أحقّ النّاس أن يبكى عليه — فتى أبكى الحسين بكربلاء
أخوه وابن والده عليّ — أبو الفضل المضرّج بالدماء
ومن واساه لا يثنيه خوف — وجاد له على عطش بماء»[2]

وعن الصادق عليه السلام، قال: «**إنّ الله تعالى قد أعطى العبّاس بدلاً عن يديه جناحين يطير بهما في الجنّة**»[3].

ورثاه بعض المحبّين فقال:

أبا الفضل يا ساقي العطاشى ومن له — بكى من بكته الإنس والجنّ والوحش

(١) بحار الأنوار: ٤٥ / ٤٢. المعالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٢٨٤.

(٢) هذه الأبيات للفضل بن محمّد بن الحسن بن عبيدالله بن العبّاس بن عليّ عليهما السلام. انظر: مقاتل الطالبيّين: ٥٥. شرح الأخبار: ١٩٣/٣. اللهوف: ٧٠. لواعج الأشجان: ١٨٠.

(٣) الخصال: ٦٨، الحديث ١. أمالي الصدوق: ٥٤٨، الحديث ٧٣١، عن السجّاد عليه السلام.

قـتلت شـهيداً مسـتظاماً بكـربلا ولا كـفن أُدرجت فـيه ولا نـعش
أيـا نـجل مـولانا عـليّ لرزئكـم تـزلزلت السبع الشـداد والعـرش
فيا ليت من لم يبك شجواً لرزئكـم نـواظـره عـمي مسـامعه طُـرش

ثمّ لمّا قتل العبّاس تقدّم عليّ بن الحسين عليه السلام ـ وكـان عـمره ثـمانية عشـر سـنة ، وقيل : خمس وعشرون سنة[1] ـ إلى القتال ، فرفع الحسين سبّابته نحو السماء وقال : **اللّهمّ اشهد على هؤلاء القوم ، فقد خرج إليهم غلام أشبه النّاس خَـلقاً وخُـلقاً ومـنطقاً برسولك صلى الله عليه وآله كنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إلى وجهه. اللّـهمّ امـنعهم بـركات الأرض ، وفرّقهم تفريقاً ، ومزّقهم تمزيقاً ، واجعلهم طرائق قِدداً ، ولا ترضِ الولاةَ عـنهم أبـداً ، فإنّهم دعونا لينصرونا ، ثمّ عدوا علينا يقاتلونا .**

ثمّ صاح الحسين عليه السلام بعمر بن سعد ، فقال : **ما لك قطع الله رحمك ، ولا بارك لك الله في أمرك ، وسلّط عليك من يذبحك بعدي على فراشك ، كما قطعت رحـمي ، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله .**

ثمّ رفع الحسين عليه السلام صوته وتلا : **﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْـرَاهِـيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[2] .

ثمّ حمل عليّ بن الحسين على القوم وهو يقول :

أنا عليّ بن الحسين بـن عـليّ مـن عـصبة جـدّ أبـيهم النـبيّ
والله لا يحكم فينا ابـن الدعـيّ أطـعنكم بـالرمح حتّى يـنثني
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي ضرب غـلام هـاشميّ عـلوي

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣/٢٥٧ .

(٢) آل عمران ٣: ٣٣ و ٣٤ .

فلم يزل يقاتل حتّى ضجّ النّاس من كثرة من قتل منهم.

وقتل على عطشه مائة وعشرين رجلاً، ثمّ رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال: يا أبةِ، العطش قد قتلني، وثقل الحديد أجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل، أتقوّى بها على الأعداء؟

فبكى الحسين عليه السلام وقال: **يا بنيّ، يعزّ على محمّد وعلى عليّ بن أبي طالب وعليّ أن تدعوهم فلا يجيبوك، وتستغيث بهم فلا يغيثوك. يا بنيّ، هات لسانك**، فأخذ بلسانه فمصّه ودفع إليه خاتمه، وقال: **امسكه في فيك، وارجع إلى قتال عدوّك، فإنّي أرجو أنّك لا تمسي حتّى يسقيك جدّك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً**، فرجع عليه السلام إلى القتال وهو يقول:

الحرب قد بانت لها حقائق وظهرت من بعدها مصادق

والله ربّ العرش لا نفارق جموعكم أو تغمد البوارق

فلم يزل يقاتل حتّى قتل تمام الماءتين، ثمّ ضربه منقذ بن مرّة العبدي على مفرق رأسه ضربة صرعته، وضربه النّاس بأسيافهم، ثمّ اعتنق عليه السلام فرسه، فاحتمله الفرس إلى عسكر الأعداء فقطّعوه بسيوفهم إرباً إرباً.

فلمّا بلغت روحه التراقي، قال رافعاً صوته: يا أبتاه، هذا جدّي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً، وهو يقول: **العجل العجل، فإنّ لك كأساً مذخورة حتّى تشربها الساعة.**

فصاح الحسين عليه السلام وقال: **قتل الله قوماً قتلوك، ما أجرأهم على الرحمن وعلى رسوله وعلى انتهاك حرمة الرسول. على الدنيا بعدك العفاء.**

قال حميد بن مسلم: فكأنّي أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنّها الشمس الطالعة تنادي بالويل والثبور، وتقول: يا حبيباه، يا ثمرة فؤاداه، يا نور عيناه، فسألت عنها،

فقيل: هي زينب بنت عليّ، وجاءت وانكبّت عليه، فجاء الحسين عليه السلام فأخذ بيدها فردّها إلى الفسطاط، وأقبل عليه السلام بفتيانه وقال: **احملوا أخاكم**، فحملوه من مصرعه، فجاؤا به حتّى وضعوه عند الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.

ثمّ خرج غلام من تلك الأبنية وفي أُذنيه درّتان، وهو مذعور، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وقرطاه يتذبذبان، فحمل عليه هانئ بن بعيث (لعنه الله) فقتله، فصارت أُمّه شهربانو تنظر إليه ولا تتكلّم كالمدهوشة»[1].

وروى القطب الراوندي في «**الخرائج**»: عن سليمان بن مهران الأعمش، قال: «بينما أنا في الطواف في الموسم إذ رأيت رجلاً يدعو وهو يقول: اللّهمّ اغفر لي وأنا أعلم أنّك لا تغفر لي.

قال: فارتعدت لذلك ودنوت منه، وقلت: يا هذا، أنت في حرم الله وحرم رسوله، وهذه أيّام حُرم في شهر عظيم، فلِمَ تيأس من المغفرة؟

قال: يا هذا، ذنبي عظيم.

قلت: أعظم من جبال تهامة؟

قال: نعم.

قلت: أيوازن الجبال الرواسي؟

قال: نعم، فإن شئت أخبرتك.

قلت: أخبرني.

قال: أُخرج بنا عن الحرم، فخرجنا منه فقال لي: أنا أحد من كان في العسكر الميشوم عسكر عمر بن سعد (لعنه الله) حين قتل الحسين عليه السلام وكنت أحد الأربعين الذين حملوا الرأس إلى يزيد بن معاوية (لعنه الله) من الكوفة، فلمّا حملناه على طريق

(١) بحار الأنوار: ٤٥/ ٤٢. المعالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٢٨٥.

الشام نزلنا على دير النصارى ، وكان الرأس معنا مركوزاً على رمح ومعه الأحراس ، فوضعنا الطعام وجلسنا لنأكل ، فإذا بكفّ في حائط الدير تكتب :

أترجو أمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

قال : فجزعنا من ذلك جزعاً شديداً ، وأهوى بعضنا إلى الكفّ ليأخذها ، فغابت ، ثمّ عاد أصحابي إلى الطعام ، فإذا الكفّ قد عادت تكتب :

فلا والله ليس لهم شفيعٌ وهم يوم القيامة في العذاب

فقام بعض أصحابي إليها فغابت ، ثمّ عادوا إلى الطعام ، فعادت تكتب :

وقد قتلوا الحسين بحكم جور وخالف حكمهم حكم الكتاب

فامتنعت وما هنأني الأكل ، ثمّ أشرف علينا راهب من الدير ، فرأى نوراً ساطعاً من فوق الرأس ، فأشرف فرأى عسكراً .

فقال الراهب للحرّاس : من أين جئتم ؟

قالوا : من العراق ، حاربنا الحسين .

فقال الراهب : ابن فاطمة بنت نبيّكم ؟

قالوا : نعم .

قال تبّاً لكم والله ، لو كان لعيسى بن مريم ابن ، لجعلناه على أحداقنا ، ولكن لي إليكم حاجة ؟

قالوا : وما هي ؟

قال : قولوا لرئيسكم عندي عشرة آلاف درهم ورثتها من آبائي يأخذها منّي ويعطيني الرأس يكون عندي إلى وقت الرحيل ، فإذا رحل رددته إليه ، فأخبروا

عمر بن سعد (لعنه الله) بذلك ، فقال: خذوا منه الدراهم وأعطوه الرأس إلى وقت الرحيل ، فجاؤا إلى الراهب فقالوا: هات المال حتّى نعطيك الرأس ، فأدلى إليهم جرابين ، في كلّ جراب خمسة آلاف درهم ، فدعا عمر بالناقد والوزّان فنقدها ووزنها ودفعها إلى خازن له ، وأمر أن يعطى الرأس.

فأخذ الراهب الرأس فقبّله ونظّفه وحشّاه بمسك وكافور كان عنده ، ثمّ جعله في حريرة ووضعه في حجره ، ولم يزل ينوح ويبكي حتّى نادوه ، وطلبوا منه الرأس ، فقال: يا رأس ، والله لا أملك إلّا نفسي ، فإذا كان غداً فاشهد لي عند جدّك محمّد ﷺ أنّي أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، أسلمت على يديك وأنا مولاك ، وقال لهم: إنّي أحتاج أن أكلّم رئيسكم بكلمة وأعطيه الرأس . فدنا عمر بن سعد فقال: سألتك بالله وبحقّ محمّد أن لا تعود إلى ما كنت تفعله بهذا الرأس ، ولا تخرج هذا الرأس من هذا الصندوق . فقال له: أفعل ، فأعطاه الرأس ونزل من الدير ولحق ببعض الجبال يعبد الله.

ففعل ابن سعد بالرأس مثل ما كان يفعل في الأوّل ، فلمّا دنا من دمشق قال لأصحابه: انزلوا ، وطلب من الخازن الجرابين ، فأُحضرت بين يديه ، فنظر إلى خاتمه ثمّ أمر أن يفتح ، فإذا الدنانير قد تحوّلت خزفاً ، فنظروا في سكّتها فإذا على جانبها مكتوب: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ** ﴾[1] ، وعلى الجانب الآخر مكتوب: ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾[2].

فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، خسرت الدنيا والآخرة ، ثمّ قال لغلمانه: اطرحوها في النهر ، فطُرحت» ، الحديث[3].

---

(١) إبراهيم ١٤ : ٤٢.

(٢) الشعراء ٢٦: ٢٢٧.

(٣) الخرائج والجرائح: ٥٧٧/٢ ـ ٥٨٠ ، الحديث ٢.

وروى السيّد ابن طاووس وابن نما عن ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، قال : « لقيني رأس الجالوت فقال : والله ! إنّ بيني وبين داود لسبعين أباً ، وأنّ اليهود تلقاني فتعظّمني ، وأنتم ليس بينكم وبين ابن نبيّكم إلّا أب واحد ، قتلتموه »[١].

وروي عن السجّاد عليه السلام : « **إنّه لمّا أُتي برأس الحسين إلى يزيد كان يتّخذ مجالس الشراب ويأتي برأس الحسين عليه السلام ويضعه بين يديه ويشرب عليه ، فحضر في مجلسه ذات يوم رسول ملك الروم ، وكان من أشراف الروم وعظمائهم ، فقال : يا ملك العرب ، هذا رأس من ؟**

فقال له يزيد : ما لك ولهذا الرأس ؟

فقال : إنّي إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلّ شيء رأيته ، فأحببت أن أُخبره بقصّة هذا الرأس وصاحبه حتّى يشاركك في الفرح والسرور .

فقال له يزيد : هذا رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب .

فقال الروميّ : ومن أمّه ؟

فقال : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال النصرانيّ : أُفٍّ لك ولدينك ، لي دين أحسن من دينك ، إنّ أبي من حوافد داود عليه السلام وبيني وبينه آباء كثيرة ، والنصارى يعظّموني ويأخذون من تراب قدميّ تبرّكاً بأبي ، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما بينه وبين نبيّكم إلّا أمّ واحدة ، فأيّ دين دينكم !

ثمّ قال ليزيد : هل سمعت حديث كنيسة الحافر ؟

فقال له : قل لي حتّى أسمع .

فقال : بين عمان والصين بحر مسيرة سنة ليس فيها عمران إلّا بلدة واحدة في وسط

(١) مثير الأحزان : ٨١ .

الماء ، طولها ثمانون فرسخاً في ثمانين فرسخاً ، ما على وجه الأرض بلدة أكبر منها ، ومنها يحمل الكافور والياقوت ، أشجارهم العود والعنبر ، وهي في أيدي النصارى ، لا ملك فيها لأحد من الملوك سواهم ، وفي تلك البلدة كنائس كثيرة ، أعظمها كنيسة الحافر ، في محرابها حقّة ذهب معلّق فيها حافر يقولون إنّ هذا حافر حمار كان يركبه عيسى عليه السلام ، وقد زيّنوا حول الحقّة بالذهب والديباج ، يقصدها في كلّ عام عالم من النصارى ويطوفون حولها ويقبّلونها ، ويرفعون حوائجهم إلى الله تعالى ، هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون أنّه حافر حمار كان يركبه عيسى نبيّهم عليه السلام ، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيّكم صلى الله عليه وآله ، فلا بارك الله فيكم ولا في دينكم.

فقال يزيد (لعنه الله): اقتلوا هذا النصرانيّ لئلّا يفضحني في بلاده ، فلمّا أحسّ النصرانيّ بذلك قال له: أتريد أن تقتلني ؟

قال: نعم .

قال: إعلم أنّي رأيت البارحة نبيّكم في المنام يقول لي: يا نصرانيّ أنت من أهل الجنّة ، فتعجّبت من كلامه صلى الله عليه وآله ، وأنا أشهد أن لا إلـه إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ وثب إلى رأس الحسين عليه السلام فضمّه إلى صدره وجعل يقبّله ويبكي حتّى قُتل رحمه الله »[1] .

وروى ابن نما وغيره ، واللفظ لغيره : « إنّ سكينة عليها السلام قالت : يا يزيد ، رأيت البارحة رؤياً إن سمعتها منّي قصصتها عليك .

فقال يزيد : هاتي ما رأيت .

قالت : بينما أنا ساهرة وقد كللت من البكاء بعد أن صلّيت ودعوت الله بدعوات ، فلمّا رقدت عيني رأيت أبواب السماء قد فتحت ، وإذا أنا بوصائف من وصائف الجنّة ، وإذا أنا بروضة خضراء ، وفي تلك الروضة قصر ، وإذا أنا بخمس مشايخ

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام /أبو مخنف : ٢٢٨ ـ ٢٣٠ . اللهوف : ١١٠ ـ ١١٢ . مثير الأحزان : ٨٢ و ٨٣ .

يدخلون إلى ذلك القصر وعندهم وصيف.

فقلت: يا وصيف، أخبرني لمن هذا القصر؟

فقال: هذا لأبيك الحسين عليه السلام أعطاه الله ثواباً لصبره.

فقلت: ومن هؤلاء المشايخ؟

فقال: أمّا الأوّل فآدم أبو البشر، وأمّا الثاني فنوح نبيّ الله، وأمّا الثالث فإبراهيم خليل الرحمن، وأمّا الرابع فموسى كليم الله.

فقلت له: ومن الخامس الذي أراه قابضاً على لحيته باكياً حزيناً من بينهم يسقط مرّة ويقوم أُخرى؟

فقال لي: يا سكينة، أما تعرفيه؟

فقلت: لا.

فقال: هذا جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقلت له: أين يريدون؟

فقال: إلى أبيك الحسين عليه السلام.

فقلت: والله لألحقنّ جدّي وأُخبرنّه بما جرى علينا، فسبقني ولم ألحقه، فبينما أنا متفكّرة وإذا أنا بجدّي عليّ بن أبي طالب وبيده سيفه وهو واقف»[1].

وفي رواية أُخرى: «أنّها لمّا قال لها: هذا جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: فدنوت منه وقلت: يا جدّاه، قتلت والله رجالنا، وسفكت والله دماؤنا، وهتكت والله حريمنا، وحُملنا على الأقتاب من غير وطاء، نساق إلى يزيد، فأخذني إليه وضمّني إلى صدره ثمّ أقبل على آدم ونوح وإبراهيم وموسى، ثمّ قال لهم: أما ترون إلى ما صنعت أُمّتي

(١) بحار الأنوار: ٤٥ /١٩٤. العوالم: ٤٢٠.

بولدي من بعدي !

ثمّ قال الوصيف: يا سكينة ، اخفضي صوتك ، فقد أبكيت رسول الله ﷺ .

ثمّ أخذ الوصيف بيدي فأدخلني القصر ، فإذا بخمس نسوة قد عظّم الله خلقهنّ ، وزاد في نورهنّ ، وبينهنّ امرأة عظيمة الخلقة ، ناشرة شعرها ، وعليها ثياب سود ، بيدها قميص مضمّخ بالدم ، إذا قامت يقمن معها ، وإذا جلست يجلسن معها ، فقلت للوصيف: ما هؤلاء النسوة اللاتي قد عظّم الله خلقهنّ .

فقال: يا سكينة هذه حوّاء أُمّ البشر ، وهذه مريم ابنة عمران ، وهذه خديجة بنت خويلد ، وهذه هاجر ، وهذه سارة ، وهذه التي بيدها القميص المضمّخ ، وإذا قامت يقمن معها ، وإذا جلست يجلسن معها ، هي جدّتك فاطمة الزهراء .

فدنوت منها وقلت لها: يا جدّتاه ، قتل والله أبي ، وأُوتمت على صغر سنّي ، فضمّتني إلى صدرها ، وبكت بكاءً شديداً ، وبكين النساء كلّهنّ ، وقلن لها: يا فاطمة ، يحكم الله بينك وبين يزيد يوم فصل القضاء ، ثمّ إنّ يزيد تركها ولم يعبأ بقولها»[١].

ولله درّ من قال من الرجال[٢] في الآل شعراً:

بكى وليس على صبر بمعذور	**من قد أطلّ عليه شهر عاشور**
وإنّ يوماً رسول الله ساء به	**فأبعد الله عنه قلب مسرور**
إليه بالهجان القود حاملةً	**شعثاً تهادى على الأقتاب والكور**
من كلّ منخرق السربال مبتهل	**يكاد يملك تصريف المقادير**

(١) بحار الأنوار: ٤٥/ ١٩٥ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٤٢١ .

(٢) هو السيّد ماجد بن السيّد هاشم العريضي البحراني ، أوحد زمانه في العلوم ، وأحفظ أهل عصره ، نادرة في الذكاء والفطنة ، وأوّل من نشر علم الحديث في «دار العلم شيراز» ، وله مع علمائها مجالس عديدة ومقامات مشهورة ، تلمّذ عليه العلماء الأعيان مثل المولى محمّد محسن الكاشاني صاحب «الوافي» . توفّي سنة ١٠٢٨هـ بشيراز ودفن بمشهد شاه چراغ .

يوم بمكّة يبقى ربح متجره مواصلاً بين ترويح وتبكير
ما طاف لي طرب بعدالطفوف ولا لاحت سمات سرور في أسارير
ما للسرور وللقنّ الذي ذهبت ساداته بين مسموم ومنحور
يا غيرة الله والسادات من مضر أُولي البسالة والأُسد المغاوير
أسيّد هاشميّ بعد سيّدكم أحقّ منه بإبراز المذاخير
لهفي وما ينفع الباكي تلهّفه على أعزّ من الفتيان مغرور
أبدوا له زخرفاً من زبرج كذب يطوي على الخلف في الميثاق والزور
فحين خلف مأوى العزّ تقذفه أيدي السفار إلى الغيطان والقبور
أمسى بحيث يحلّ الضيم ساحته ويبلغ القصد منه كلّ موتور
يا حسرة قد أطالت في الحشا شغفي وقصرت في الأسى عنه معاذيري
وشجو قلب على الأحزان محتبس وتعس طرف على التسهاد مقصور
مراعياً لدراريّ النجوم كما وكّلن بالشيء أحداق النواظير
يقضي الحسين ولم تبرد جوانحه والماء يكرع فيه كلّ خنزير
ذو غلّة في هجير الصيف حامية وجانب من سحيق الدار مهجور
يا حسرة لصريع الموت محتضر قد قلّبته يد الجرد المحاضير
يا عقّر الله تلك الصافنات بما جنت فما كان أولاها بتعقير
كأنّه ما قراها في الطعان ولا أرخى الأعنّة منها في المضامير
ولا سماها بباع غير منقبض يوم الوغى وجنان غير مذعور
فاليوم تقدّم جيشاً غير خافقة أعلامه ولواء غير منصور
ها أنّه لم يكن عن سوء مقدرة لكنّه حادثٌ عن سوء مقدور
لو أنّ جمع نزار من كنانتها فداؤه ما افتدى إلّا بمنزور

مـــن مـبلغنّ قـرشياً أنّ سـيّدها تسدو على جسمه سافي الأعـاصير

مـن مـبلغنّ قـريشاً أنّ سـيّدها ثـوى ثـلاث ليـال غـير مـقبور

مـــن مـبلغنّ قـريشاً أنّ سـيّدها تـنعاهُ فـي القـفر زوّار اليـعافير

وأنّ لحـــم رســـول الله تـمضغه لهـي الكـلاب وأفـواه الخـنازير

وأنّ شِمراً عـلى ما فـيه مـن خـور يسعى له السعي فـي جـدّ وتشمير

ان امـرؤ ظـفرت فـيه يـدا شـمر لمـوعد الصـبر عـنه نـفخة الصـور

أمســى يـعلا سـنان مـن مـقاتله سـنان كـلّ أصـمّ الكـعب مـطرور

بـنت النـبيّ ألا قـومي الغـداة إلى بـازٍ تـنشّب فـي مـخلاب عـصفور

قومي إلى الصقر لم يظفر بسرب قطا بـل عـدن مـن دمـه حـمر المـناقير

قـومي إلى ميّت مـا لفّ فـي كـفن يـوماً ولا نـال مـن سـدر وكـافور

وجـــثّة أبــلت الأيّـام جـدّتها وغــيّرتها اللـــيالي أيّ تـــغيير

تلك الدماء الزواكي السائلات على سـمر اليـعاسيب والبـيض المـباتير

ما عسعس الليل حتّى بات سائلها ردعا يـضمّخ جـيب الخـرّد الحـور

تلك الرؤوس أبت إلّا العلى فسـمت على رفـيع مـن الخـرصان مشـهور

كـأنّه حـين يسـودّ الدجـى عـلمٌ ســـام تشبّ عـــليه نـار مـقرور

تلك الطواهر لم يـضرب لهـا كـلل ولا يـــمدّ لهـا أطـناب تـخدير

بـل ربّ مـقصورة الأسـتار طـاهرة بكـر مـن الفـاطميّات المـقاصير

أهــوت لسـتر مـحيّاها فـعاجلها سـلب القـناع فـأمسى غـير مستورِ

كم فيهم من بني المختار مـن غـرر مـــجلوّة ووجـــوه كـــالدنانير

أحـالها كـمد المـضنى فـغيّرها حـتّى كـأنّ عـليها صـبغة القـير

إذا تباكـين لم يـفصحن عـن كـمدٍ إلّا تـــصعّد أنـــفاس وتـــزفير

وإن تشــاكــين لم يسمعن واعيةً إلّا تــحذّر دمــع غــير مــنزور

يندبن يا جدّ يا جدّاه أحمد قد أبــاد ذكــرك رجس غــير مــذكور

همُ أبادوا رجالي واحتووا حرمي وأخمدوا قبسي بل هدّموا سوري

أليس فــي كــلّ هــذا كــان مغنية عن هتك ستري وإبرازي وتشهيري

يــا جــدّ كــانت قــناتي غير ليّنة لغــامز وجــناحي غــير مكســور

فاليوم أمشي عثير الخطو لا مرحاً يــطيل بــردي ولا ذيلي بمجرور

واليوم لا ساحتي تغشى ولا كنفي يخشى ولا يقرع الأسماع تخديري

كــأنّني ســائل فــي الحيّ منتهرٌ بــل ربّ ســائل قــوم غير منهور

يا فجعة أوسعت في قلب فاطمة الـ ـزهراء جرح مصاب غير مسبور

فــهل درَت أنّ فحلاً من سلالتها وهــو المــؤمّر مــنقاد لمــأمور

وأنّ مــن لم يــنله السبي تأسره يــدا طــليق بيوم الفتح مأسور

وأنّ ذات خــمار مــن ســلالتها تهدى إلى مستفرّ العقل مخمور

وأنّ رأساً ثوى في حجرها زمناً تشدو القيان عليه في المقاصير

يؤتى به ساطعاً في الطشت من ذهب ويســفك الراح بشراً في قوارير

بــني أُمــيّة قــد ضــلّت حلومكم ضلال منغمر في الجهل مغمور

أدوحــة قــد تــفيّأتم أظــلّتها نــلتم بــواســق أعــلاها بتكبير

أخــذتم مــن أيــاديهم سيوفهم قهراً وأغمدتموها في المناحير

سمعاً بني الحسب الوضّاح مرثية يــعنو لهــا كــلّ مــنطيق ونحرير

رتّبتها من قواف لو ولجن على سمع سميع بغير الوقر موقور

مــن ذا يــصوّر مــثل تــصويري ومن يحرّر وشي اللفظ تحريري

وأنّ مــا بــي يذود الشعر أيسره لكــنّه نفثة مــن فــيض مصدور

المجلس السادس

أفضل المقامات مقام يقام فيه مآتم أهل بيت النبوّة ، وأحسن العزاء عزاء يقام على معادن الولاية والفتوّة ، وأولى كلام يصغى إليه أُولو الأفهام والعقول ،كلام يذكر فيه ما جرى على أهل بيت الرسول ، معادن الوحي والتنزيل ، ومن تشرّف بخدمتهم جبرئيل ، وافتخرت بولائهم حملة العرش الجليل ، سادات السادات ، وقادة الهداة ، والذادة الحماة ، أهل الذكر الذين أمر الله بمسألتهم والقربى الذين أمر الله بمودّتهم ، وأُولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ، وأحد الثقلين الذين أمر الله بالرجوع إليهم ، والأخذ منهم ، والتعويل عليهم ،كيف سلكوا معهم أعداء الدين ، وخصماء ربّ العالمين ، ضيّقوا عليهم المسالك ، وجعلوهم أهون هالك ، والعجب كلّ العجب ممّن هو في غفلة عن هذا المصاب العظيم ، والأمر الجسيم .

فيا أهل المعارف والإيمان ، ويا أهل العقول والأذهان ، عليكم بإقامة العزاء وإثارة الأحزان على إمامكم الشهيد العطشان ، المدفون بلا غسل ولا أكفان ، وكيف الصبر لمن يمثّل مولاه الحسين عليه السلام واقفاً وهو ينادي في ميدان القتال :

ألا هل من معين يعين الآل ؟ ألا هل من نصير ينصر عترة المختار ، ويذبّ عن الذرّيّة الأطهار ؟

أين من أوجب حقّنا عليه الإسلام ؟

أين الوصيّة فينا من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حيث يقول : ﴿ قُل لَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾[1].

فأقيموا العزاء والعويل على هذا الرزء الجليل.

وإنّي لمطويّ الضلوع على جوى ... متى حلّ فوق الجمر يحترق الجمر
أحنّ إلى أنفاسكم ونسيمكم ... وأذكركم والصبّ يقلقه الذكر
فقربكم مع قلّة المال لي غنىً ... وبُعدكم مع كثرة المال لي فقر
وناس إذا الدنيا رحب أشرقت بهم ... وان أمحلت يوماً بهم نزل القطر
مشوا فوق ظهر الأرض فاخضرّ عودها ... وحلّوا ببطن الأرض فاستوحش الظهر
فعيناي كالخنساء تجري دموعها ... وقلبي شديد في محبّتهم صفر

وروى السيّد ابن طاووس عن زينب بنت عليّ عليها السلام: «أنّه لمّا وصل إلى يزيد لعنه الله رأس الحسين عليه السلام وجعل يتمثّل ويقول:

لَيْتَ أَشْياخي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلْ
لأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً ... ثُمَّ قالُوا: يا يَزِيدُ لَا تُشَلْ
لَسْتُ مِنْ خِنْدِفَ إِنْ لَمْ أَنْتَقِمْ ... مِنْ بَني أَحْمَدَ ما كانَ فَعَلْ
لَعِبَتْ هاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلَا ... خَبَرٌ جاءَ ولا وَحْيٌ نَزَلْ

إنّ زينب قامت فقالت:

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ.
صَدَقَ اللهُ كَذٰلِكَ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَىٰ أَن كَذَّبُوا

---

(١) الشورى ٤٢: ٢٣.

بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[١] ، أَظَنَنْتَ يا يَزِيدُ ـ حَيْثُ أَخَذْتَ عَلَيْنا أَقْطارَ الْأَرْضِ وَآفاقَ السَّماءِ فَأَصْبَحْنا نُساقُ كَما يُساقُ الْأُسارىٰ ـ أَنَّ بِنا عَلَى اللهِ هَواناً ، وَبِكَ عَلَيْهِ كَرامَةً ! وَأَنَّ ذٰلِكَ لِعَظَمِ خَطَرِكَ عِنْدَهُ ! ! فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ ، وَنَظَرْتَ في عِطْفِكَ جَذْلَانَ مَسْرُوراً ، حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً ، وَالْأُمُورَ مُتَّسِقَةً ، وَحِينَ صَفا لَكَ مُلْكُنا وَسُلْطانُنا ، مَهْلاً مَهْلاً ، أَنَسِيتَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[٢] .

أَمِنَ الْعَدْلِ يَابْنَ الطُّلَقاءِ تَخْدِيرُكَ حَرائِرَكَ وَإِماءَكَ وَسَوْقُكَ بَناتِ رَسُولِ اللهِ سَبايا ؟ ! قَدْ هَتَكْتَ سُتُورَهُنَّ ، وَأَبْدَيْتَ وُجُوهَهُنَّ ، تَنْقُلُهُمُ الْأَعْداءُ مِنْ بَلَدٍ إِلىٰ بَلَدٍ ، وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمَناهِلِ وَالْمَناقِلِ ، وَيَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ ، وَالدَّنِيُّ وَالشَّرِيفُ ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجالِهِنَّ وَلِيٌّ ، وَلَا مِنْ حُماتِهِنَّ حَمِيٌّ .

وَكَيْفَ تُرْتَجىٰ مُراقَبَةُ مَنْ مَضَغَ فُوهُ أَكْبادَ الْأَزْكِياءِ ، وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدِماءِ الشُّهَداءِ ؟ !

وَكَيْفَ يَسْتَبْطأُ في بُغْضِنا أَهْلَ الْبَيْتِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْنا بِالشَّنَفِ وَالشَّنَآنِ وَالْإِحَنِ وَالْأَضْغانِ ؟ !

ثُمَّ تَقُولُ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ وَلَا مُتَعَظِّمٍ :

لَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً ثُمَّ قالُوا يا يَزِيدُ لَا تُشَلْ

(١) الروم ٣٠ : ١٠ .

(٢) آل عمران ٣ : ١٧٨ .

مُنْحَنياً علىٰ ثَنايا أَبي عَبْدِ اللهِ سَيِّدِ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَنْكُتُها بِمِخْصَرَتِك.

وَكَيْفَ لَا تَقُولُ ذٰلِكَ، وَقَدْ نَكَأْتَ الْقَرْحَةَ، وَاسْتَأْصَلْتَ الشَّأْفَةَ، بِإِراقَتِكَ دِماءَ ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَنُجُومِ الْأَرْضِ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! وَتَهْتِفُ بِأَشْياخِكَ، وَلَتَوِدَنَّ أَنَّكَ شُلِلْتَ وَبُكِمْتَ وَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ ما قُلْتَ وَفَعَلْتَ ما فَعَلْتَ.

اللّٰهُمَّ خُذْ لَنا بِحَقِّنا، وَانْتَقِمْ مِمَّنْ ظَلَمَنا، وَأَحْلِلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دِماءَنا وَقَتَلَ حُماتَنا.

فَوَاللهِ ما فَرَيْتَ إِلَّا جِلْدَكَ، وَلَا جَزَزْتَ إِلَّا لَحْمَكَ، وَلَتَرِدَنَّ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِما تَحَمَّلْتَ مِنْ سَفْكِ دِماءِ ذُرِّيَّتِهِ، وَانْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ في عِتْرَتِهِ وَلُحْمَتِهِ، حَيْثُ يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُمْ، وَيَلُمُّ شَعْثَهُمْ، وَيَأْخُذُ بِحَقِّهِمْ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] وَحَسْبُكَ بِاللهِ حاكِماً، وَبِمُحَمَّدٍ خَصِيماً، وَبِجَبْرَئِيلَ ظَهِيراً، وَسَيَعْلَمُ مَنْ سَوّى لَكَ وَمَكَّنَكَ مِنْ رِقابِ الْمُسْلِمِينَ، بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً، وَأَيُّكُمْ شَرٌّ مَكاناً وَأَضْعَفُ جُنْداً. وَلَئِنْ جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّواهي مُخاطَبَتَكَ، إِنّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ، وَأَسْتَعْظِمُ تَقْرِيعَكَ، وَأَسْتَكْثِرُ تَوْبِيخَكَ، لٰكِنِ الْعُيُونُ عَبْرىٰ، وَالصُّدُورُ حَرّىٰ.

أَلَا فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِقَتْلِ حِزْبِ اللهِ النُّجَباءِ بِقَتْلِ حِزْبِ الشَّيْطَانِ الطُّلَقاءِ، فَهٰذِهِ الْأَيْدي تَنْطِفُ مِنْ دِمائِنا، وَالْأَفْواهُ تَتَحَلَّبُ مِنْ لُحُومِنا، وَتِلْكَ الْجُثَثُ الطَّواهِرُ الزَّواكي تَنْتابُهَا الْعَواسِلُ، وَتَعْفُوها أُمَّهاتُ الْفَراعِلِ، وَلَئِنِ اتَّخَذْتَنا مَغْنَماً لَتَجِدُنا وَشِيكاً مَغْرَماً، حِينَ لَا تَجِدُ إِلَّا ما قَدَّمَتْ يَداكَ، وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ،

---

(١) آل عمران ٣: ١٦٩.

فَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكىٰ ، وَعَلَيْهِ الْمُعَوَّلُ .

فَكِدْ كَيْدَكَ ، وَاسْعَ سَعْيَكَ ، وَناصِبْ جُهْدَكَ ، فَوَاللهِ لَا تَمْحُو ذِكْرَنا ، وَلَا تُمِيتُ وَحْيَنا ، وَلَا تُدْرِكُ أَمَدَنا ، وَلَا تَدْحَضُ عَنْكَ عارَها .

وَهَلْ رَأْيُكَ إِلَّا فَنَد ، وَأَيّامُكَ إِلَّا عَدَد ، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَد ، يَوْمَ يُنادِي الْمُنادي : أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمينَ .

فَالْحَمْدُ للهِ الَّذي خَتَمَ لِأَوَّلِنا بِالسَّعادَةِ ، وَلِآخِرِنا بِالشَّهادَةِ وَالرَّحْمَةِ .

وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُكْمِلَ لَهُمُ الثَّوابَ ، وَيُوجِبَ لَهُمُ الْمَزِيدَ ، وَيُحْسِنَ عَلَيْنَا الْخِلَافَةَ ، إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل[١] .

وروى السيّد وغيره ، قالوا : « خرج زين العابدين عليه السلام يوماً يمشي في أسواق دمشق ، فاستقبله المنهال بن عمرو ، فقال له : كيف أمسيت يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قال عليه السلام : **أمسينا كمثل بني إسرائيل ، يذبّحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم . يا منهال ، أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً منهم ، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله منها ، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مغصوبون مقتولون مشرّدون ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ممّا أمسينا فيه** »[٢] .

وروي عن هند زوجة يزيد ، قالت : « كنت أخذت مضجعي فرأيت باباً من السماء قد فتحت ، والملائكة ينزلون كتائب إلى رأس الحسين عليه السلام وهم يقولون : السلام عليك يا أبا عبدالله ، السلام عليك يابن رسول الله ، فبينما أنا كذلك إذ نظرت إلى سحابة قد نزلت من السماء وفيها رجال كثيرون ، وفيهم رجل درّيّ اللون ،

(١) اللهوف : ١٠٥ ـ ١٠٧ .

(٢) اللهوف : ١١٢ . مثير الأحزان : ٨٤ . بحار الأنوار : ٤٥ / ١٤٣ .

قمريّ الوجه ، فأقبل يسعى حتّى انكبّ على ثنايا الحسين عليه السلام يقبّلهما وهو يقول: **يا ولدي قتلوك ، أتراهم ما عرفوك ومن شرب الماء منعوك. يا ولدي ، أنا جدّك رسول الله ، وهذا أبوك عليّ المرتضى ، وهذا أخوك الحسن ، وهذا عمّك جعفر ، وهذا عقيل ، وهذا حمزة والعبّاس** ، ثمّ جعل يعدّد أهل بيته واحداً بعد واحد.

قالت هند: فانتبهت من نومي فزعة مرعوبة ، وإذا بنور قد انتشر على رأس الحسين عليه السلام ، فجعلت أطلب يزيد فإذا هو قد دخل إلى بيت مظلم ، وقد دار وجهه إلى الحائط وهو يقول: ما لي وللحسين ؟ وقد وقعت عليه الهموم ، فقصصت عليه المنام وهو منكّس الرأس »[١].

وروي: « إنّ يزيد لعنه الله نصب رأس الحسين على باب داره وأمر بأهل البيت أن يدخلوا داره ، فلمّا دخلت نساء رسول الله دار يزيد لم يبق من آل أبي سفيان وآل معاوية أحدٌ إلّا استقبلهنّ بالبكاء والصراخ والنياحة على الحسين عليه السلام ، وألقين ما عليهنّ من الثياب والحليّ ، وأقمن المآتم عليه ثلاثة أيّام ، وخرجت هند امرأة يزيد حتّى شقّت الستر ، وهي حاسرةٌ فوثبت إلى يزيد وهو في مجلس عامّ ، فقالت: يا يزيد ، أرأس ابن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مصلوب على فناء بابي ؟

فوثب إليها يزيد فغطّاها غيرة عليها ، ولم تكن له غيرة على حرم رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: نعم ، فاعولي عليه يا هند وابكي على ابن بنت رسول الله وصريخة قريش ، عجّل عليه ابن زياد فقتله ، قتله الله ، ثمّ إنّ يزيد أنزلهم في داره الخاصّة ، فما كان يتغدّى ولا يتعشّى حتّى يحضر عليّ بن الحسين »[٢].

وروي: « إنّه استدعى بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أيّما أحبّ إليكنّ ، المقام عندي

(١) مدينة المعاجز: ١٣٧/٤ ، الحديث ١١٣٩. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٤٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥/ ١٤٢. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٤٤٣.

أو الرجوع إلى المدينة ، ولكم الجائزة السنيّة ؟

قالوا : نحبّ أوّلاً أن ننوح على الحسين عليه السلام .

قال : إفعلوا ما بدا لكم ، ثمّ أخليت لهنّ الحجر والبيوت في دمشق ، ولم تبق هاشميّة ولا قرشيّة إلّا ولبست السواد على الحسين عليه السلام ، وندبوه ـ على ما نقل ـ سبعة أيّام .

فلمّا كان اليوم الثامن دعاهنّ يزيد وعرض عليهنّ المقام ، فأبين وأردن الرجوع إلى المدينة ، فأحضر لهنّ المحامل ، وزيّنها بالأنطاع والإبريسم ، وصبّ عليها الأموال ، وقال : يا أمّ كلثوم ، خذوا هذا المال عوض ما أصابكم .

فقالت أمّ كلثوم : يا يزيد ، ما أقلّ حياءك ، وأصلب وجهك ، تقتل أخي وأهل بيتي وتعطيني عوضهم مالاً »[1] .

ثمّ قال للنعمان بن بشير : جهّز هؤلاء بما يصلحهم ، إبعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً ، وابعث معهم خيلاً وأعواناً .

فأرسل معهم النعمان وكساهم وحباهم وفرض لهم الأرزاق ، ثمّ دعا بعليّ بن الحسين عليه السلام فقال له : لعن الله ابن مرجانة ، أما والله لو كنت صاحبه ما سألني خصلة إلّا أعطيته إيّاها ، ولدفعت عنه الحتف بكلّ ما قدرت عليه ، ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن قضى الله ما رأيت ، فكاتبني في كلّ حاجة تكون لك ، ثمّ أوصى بهم الرسول[2] .

قال السيّد ابن طاووس : « ولمّا رجعت نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا إلى العراق ، قالوا للدليل : مرّ بنا على طريق كربلاء ، فوصلوا إلى موضع المصرع ، فوجدوا جابر بن عبدالله الأنصاري رحمه الله وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥ / ١٩٦ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٤٢٢ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٥ / ١٤٥ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٤٤٥ .

رسول الله ﷺ وقد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام ، فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم ، وأقاموا المآتم المقرّحة للأكباد ، واجتمع إليهم نساء ذلك السواد وأقاموا على ذلك أيّاماً.

ولمّا قربوا من المدينة نزل عليّ بن الحسين عليهما السلام فحطّ رحله وضرب فسطاطه ، وأنزل نساءه ، وقال لبشر بن حذلم: **يا بشر ، رحم الله أباك ، لقد كان شاعراً ، فهل تقدر على شيء منه ؟**

قال: بلى يابن رسول الله ، إنّي لشاعر .

قال: **فادخل المدينة وانع أبا عبدالله** عليه السلام .

قال بشر: فركبت فرسي وركضت حتّى دخلت المدينة ، فلمّا بلغت مسجد رسول الله رفعت صوتي بالبكاء ، وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدرارُ
الجسم منه بكربلاء مضرّج والرأس منه على القناة يدارُ

ثمّ قال: هذا عليّ بن الحسين عليهما السلام مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ، ونزلوا بفنائكم ، وأنا رسوله إليكم أعرّفكم مكانه ، فما بقيت بالمدينة مخدّرة ولا محجّبة إلّا برزن من خدورهنّ مكشوفة شعورهنّ ، مخمّشة وجوههنّ ، ضاربات خدودهنّ ، يدعين بالويل والثبور ، فلم أرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه ، وسمعت جارية تنوح على الحسين عليه السلام فتقول:

نعى سيّدي ناع نعاه فأوجعا وأمرضني ناع نعاه فأفجعا
فعينيَّ جودا بالدموع واسكبا وجودا بدمع بل بدمعكما معا
على من دهى عرش الجليل فزعزعا فأصبح هذا المجد والدين أجدعا
على ابن نبيّ الله وابن وصيّه وإن كان عنّا شاحط الدار أشسعا

ثمّ قالت: جدّدت حزننا بأبي عبدالله عليه السلام، وخدشت منّا قروحاً لمّا تندمل، فمن أنت رحمك الله؟

فقلت: أنا بشر بن حذلم، وجّهني مولاي عليّ بن الحسين عليه السلام وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبدالله عليه السلام ونسائه.

قال: فتركوني في مكاني وبادروا، فضربت فرسي حتّى رجعت إليهم، فوجدت النّاس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطّيت رقاب النّاس حتّى قربت من باب الفسطاط، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام داخله، فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه خادم، ومعه كرسيّ فوضعه له وجلس عليه، وهو لا يتمالك من العبرة، وارتفعت أصوات النّساء بالبكاء، وحنين الجواري والناس من كلّ ناحية يعزّونه، فضجّت تلك البقعة ضجّة شديدة، فأومأ بيده أن اسكتوا، فسكنت فورتهم، فقال عليه السلام:

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمينَ، مالِكِ يَوْمِ الدّينِ، بارِئِ الْخَلائِقِ أَجْمَعينَ، الَّذي بَعُدَ فَارْتَفَعَ في السَّماواتِ الْعُلىٰ، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوىٰ، نَحْمَدُهُ عَلىٰ عَظائِمِ الْأُمُورِ، وَفَجائِعِ الدُّهُورِ، وَأَلَمِ الْفَجائِعِ، وَمَضاضَةِ اللَّواذِعِ، وَجَليلِ الرُّزْءِ، وَعَظيمِ الْمَصائِبِ الْفاظِعَةِ الْفادِحَةِ الْجائِمَةِ.

أَيُّهَا النّاسُ، إِنَّ اللهَ ـ وَلَهُ الْحَمْدُ ـ ابْتَلانا بِمَصائِبَ جَليلَةٍ، وَثُلْمَةٍ فِي الْإِسْلامِ عَظيمَةٍ، قُتِلَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام وَعِتْرَتُهُ، وَسُبِيَتْ نِساؤُهُ وَصِبْيَتُهُ، وَدارُوا بِرَأْسِهِ فِي الْبُلْدانِ مِنْ فَوْقِ عالِي السِّنانِ، وَهٰذِهِ الرَّزِيَّةُ الَّتي لا مِثْلَها رَزِيَّةٌ.

أَيُّهَا النّاسُ، فَأَيُّ رِجالاتٍ مِنْكُمْ تُسِرُّونَ بَعْدَ قَتْلِهِ؟! أَمْ أَيَّةُ عَيْنٍ مِنْكُمْ تَحْبِسُ دَمْعَها وَتَضِنُّ عَنْ انْهِمالِها؟! فَلَقَدْ بَكَتِ السَّبْعُ الشِّدادُ لِقَتْلِهِ، وَبَكَتِ الْبِحارُ بِأَمْواجِها، وَالسَّماواتُ بِأَرْكانِها، وَالْأَرْضُ بِأَرْجائِها، وَالْأَشْجارُ بِأَغْصانِها،

وَالْحِيتانُ في لُجَجِ الْبِحارِ ، وَالْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَأَهْلُ السَّماواتِ أَجْمَعُونَ.

أَيُّهَا النّاسُ ، أَيُّ قَلْبٍ لا يَتَصَدَّعُ لِقَتْلِهِ؟! أَمْ أَيُّ فُؤادٍ لا يَحِنُّ إِلَيْهِ ؟ ! أَمْ أَيُّ سَمْعٍ يَسْمَعُ هٰذِهِ الثُّلْمَةَ الَّتي ثُلِمَتْ فِي الْإِسْلامِ ؟ !

أَيُّهَا النّاسُ ، أَصْبَحْنا مَطْرُودينَ ، مُشَرَّدينَ ، مَذُودينَ ، شاسِعينَ عَنِ الْأَمْصارِ ، كَأَنّا أَوْلادُ تُرْكٍ وكابُلَ ، مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ اجْتَرَمْناهُ ، وَلا مَكْرُوهٍ ارْتَكَبْناهُ ، وَلا ثُلْمَةٍ فِي الْإِسْلامِ ثَلَمْناها ، ما سَمِعْنا بِهٰذا في آبائِنَا الْأَوَّلينَ ﴿إِنْ هٰذا إِلَّا اخْتِلاقٌ﴾[1].

وَاللهِ ! لَوْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ في قِتالِنا كَما تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي الْوِصايَةِ بِنا لَما ازدادُوا عَلىٰ ما فَعَلُوا بِنا ، فَإِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ مِنْ مُصيبَةٍ ما أَعْظَمَها ، وَأَوْجَعَها ، وَأَفْجَعَها ، وَأَكَظَّها ، وَأَفْظَعَها ، وَأَمَضَّها ، وَأَمَرَّها ، وَأَفْدَحَها ، وَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُ فيما أَصابَنا ، وَما بَلَغَ بِنا ، إِنَّهُ عَزيزٌ ذُو انْتِقامٍ.

قال : فقام صوحان بن صعصعة بن صوحان ، وكان زَمِناً فاعتذر إليه عليه السلام بما عنده من زمانة رجليه ، فأجابه عليه السلام بقبول معذرته ، وحسن الظنّ فيه ، وترحّم على أبيه[2].

فلمّا دخلوا المدينة ووقع نظرهم على الضريح الشريف ، علا الصياح والنياح : واجدّاه ، وامحمّداه ، قد قُتل الحسين ، وأُسر أهله وعياله ، فضجّوا بالبكاء والعويل والنحيب مرّة أُخرى[3].

وروى السيّد عن الصادق عليه السلام ، قال : «**إنّ زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة ، صائماً نهاره ، قائماً ليله ، فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين**

(١) ص ٣٨ : ٧ .

(٢) اللهوف : ١١٤ ـ ١١٧ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٤٤٩ .

(٣) جلاء العيون (فارسي) : ٤١٠ .

يديه ، فيقول : كل يا مولاي ، فيقول : قتل ابن رسول الله ﷺ جائعاً ، قُتل ابن رسول الله عطشاناً ، فلا يزال يكرّر ذلك ويبكي حتّى يبلّ طعامه من دموعه ، ثمّ يمزج شرابه بدموعه ، فلم يزل كذلك حتّى لحق بالله عزّ وجلّ »[١] .

وحدّث مولى له عليه السلام : «إنّه برز يوماً إلى الصحراء ، قال : فتبعته ، فوجدته قد سجد على حجارة خشنة ، فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه ، وأحصيت عليه ألف مرّة : **لا إلـه إلّا الله حقّاً حقّاً ، لا إلـه إلّا الله تعبّداً ورقّاً ، لا إلـه إلّا الله إيماناً وصدقاً** ، ثمّ رفع رأسه من السجود وأنّ لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه ، فقلت : يا سيّدي ، أما آن لحزنك أن ينقضي ، ولبكائك أن يقلّ ؟

فقال لي : **ويحك ! إنّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام كان نبيّاً ابن نبيّ ، وكان له اثنا عشر ابناً ، فغيّب الله سبحانه عنه واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن ، واحدودب ظهره من الغمّ ، وذهب بصره من البكاء ، وابنه حيّ في دار الدنيا ، وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين ، فكيف ينقضي حزني ويقلّ بكائي ؟»**[٢] .

ولله درّ العالم الفاضل الأديب الكامل الشيخ إبراهيم بن يحيى العاملي رحمه الله حيث قال :

إذا بها نفثة من صدر مصدور ... وهجرة للجفا من غير مهجور
وكيف ترتابُ في شأن يفسّره ... شأن وللنّار نور غير مستور
أوفت عليَّ وقالت وهي مجهشة ... ما بال صفوك ممزوج بتكدير
لا تضجرنّ لا مال أو أبرها ... ندّت فما زلن في قيد المقادير
فقلت هيهات مثلي غير منتجعٌ ... برق المنا وهيمرور على الزور
لكنّها لوعة تزداد جذوتها ... توقّداً عند إيضاح وتفسير

(١) و (٢) اللهوف : ١٢١ .

فأظهرت جلد الخالي وربّ فتى يبدي مسرّة قلب غير مسرور
ولو ألمّت بتامور الحشا وجدت عيناً تبضّ نواحيها بتامور
ولو رأت ما وراء السابريّ رأت داءً دويّاً وجرحاً غير مسبور
خطب أحمّ لو التاث النهار به لم ينفجر فجره إلّا بديجور
يطغى عليَّ بأنياب إذا سئمت أنحى عليَّ بمطرور الأظافير
حوادث ينزوي قلب الحزين بها إلى وطيس بنار الوجد مسجور
حكت على كلّ من أهوى كلاكلها فأصبحوا بين مصدوع ومكسور
قتلاً وأسراً وتشريداً كأنّهم عشيرة المصطفى في يوم عاشور
غداة جبّ سنام المجد من مضر وهاشم بالعوالي والمياقير
هو الحسين الذي لولاه ما نظرت عين إلى علم للمجد منشور
غضنفرٍ سنّ للحامين حوزتهم بذل النفوس وإلقاء المحاذير
سيم الهوان فطاب الموت في فمه وتلك شنشنة الأسد المغاوير
وحوله من بني الزهراء كلّ فتىً يغشى الوغى بجنان غير مذعور
بيض الوجوه إذا ما أسفروا خلعوا على الظلام جلابيباً من النور
وبينهم خير أصحاب لهم حسبٌ زاكٍ وممدودُ فضلٍ غير مقصور
وقد أظلّهمُ جيشٌ يسير به باغٍ يرى العدل ذنباً غير مغفور
يمضون أمر بن هند في ابن فاطمة تبّت يدا آمر منهم ومأمور
فصادفوا منه في غاب القنا أسداً سارو من حوله الأشبال كالسور
من كلّ معتصم بالحقّ ملتزمٌ بالصدق متّسم بالخير مذكور
ما أنس لا أنس مسراهم غداة غد إلى الكريهة في جدّ وتشمير

ثاروا وقد ثوّب الداعي كما حملت أُسد العرين على سرب اليعافير
فلا تعاين منهم غير مندفع كالسيل يخبط مثبوراً بمثبور
كلّ يرى العزّ كلّ العزّ مصرعه بالسيف كيلا يعاني ذلّ مأسور
وحين جاء الردّ ينعى القرى سقطوا على الثرى بين مذبوح ومنحور
طوبى لهم فلقد نالوا بصبرهم أجراً وأيّ صبور غير مأجور
كريهة شكر الباري مساعِيَهُم فيها ويارب سعي غير مشكور
مبرّئين من الآثام طهّرهم دم الشهادة منها أيّ تطهير
ولو شهدت غداة الطفّ مشهدهم بذلت نفسي وهذا جلّ مقدوري
ولست أدري أسوء الحظّ أقعدني عن ذلك اليوم أم عجزي وتقصيري
وأصبح السبط محزوناً لمصرعهم والليث يحزنه قلم الأظافير
فهبّ للحرب كالضرغام حين رأى أشباله بين أنياب الخنازير
فلو تراه على متن الجواد وقد عمّ العداة بماضي الغرب مطرور
رأيت غيثاً ركاماً فوق عاصفة يقطّ بالبرق أعناق الدياجير
قتلاً ذريعاً وقد كانت سجيّته توسّطاً بين إسراف وتقتير
وينثني عن حياض الموت نحو خباً على بنات رسول الله مزرور
فيبتدرن إلى تقبيل راحته وهو الجدير بتعظيم وتوقير
ولم يزل باذلاً في الله مهجته يجرّ نحو المنايا ذيل محبور
حتّى تجلّى عليه الحقّ من كثب فخرّ كالنجم يحكي صاحب الطور
وأقبل الشمر والهنديّ في يده وكان ما كان من تحليل مخطور
قضى وللدين شمل غير مجتمع وللمكارم ربع غير معمور

فـــأبعد الله عـــيناً غـير بـاكـية لرزئـــه وفـــؤاداً غـير مـفطور
يـــاللرجـــال لجـــرح غـير منـدمل عـــمر الزمـان وكسر غـير مجبور
فـــهل تـــطيب حياة وابـن فـاطمة فـــوق الـتراب طـريحاً غـير مقبور
ومـــا نسـيت فـما أنسـاه مـحتضراً تـــرضّه القـــوم بـالجرد المـخاصير
والفاطميّات فـوضى يـرتمين عـلى أشـــلائه بـــعد تـــضميخ وتـــعفير
لهـــنّ صـــوت لديـــه أيّ مـــرتفع لولا الحـــياء وذيـــل أيّ مـــجرور
إذا أضـــرّ بـــها حـــرّ الظـــماء ومـا في الأرض ماء عليها غير مـحضور
كـــرعن فـــي ذلكا لوجـه التـريب ومـــا هـــناك إلّا عـــقابيل الأسـارير
يـلهجن بالمرتضى يـاخير من رقصت به النجائب تـحت السـرج والكـور
عطفاً على حرم التقوى فقد فـجعت بـــصارم مـــن سـيوف الله مشـهور
جذعت أنف قريش بـالحسام ومـذ مـــضيت دبّت إليـــنا بـــالفواقـير
ألست يـــافارس الخـيلين تـنظرنا فـــريسةً فـــي يـــدي كلب وخـنزير
كان الحسين لنـا مـن بـعدكم سـنداً وســـيّداً مـــانعاً مـــن كـــلّ مـحذور
فـــخيّم الضـــيم فـــينا حين فـارقنا وأدرك الوتـــر مـــنّا كـــلّ مـــوتور
تباعد الصـقر عـن أفـراخـه فـعدت والبـــوم مـــن دمـها حـمر المـناقير
يـــا ليت عـــين رســـول الله نـــاظرة أيـــتامه بـــين مـقهور ومـــنهور
فـــيا لهـــا حســـرة والله مـــا تـركت مـــن الأنـــام تـــقيّاً غـير مـحسور
أمســـى لهـــا الديـن ديـناً لا أداء له وأصـبح الذكـر شيئاً غـير مـذكور
لكنّ يـومك يـابن المـرتضى فـلقد قـــضى عـــلينا بـــرقٍّ بـــعد تـحرير
إذا تـــذكّرته خـــرّ الحشـــا صـــعقاً كأنّما كان يـوم النفخ فـي الصـور

وليّ أمــر الورى طُــرّاً وســيّدهم تــفاقم الأمـر فـانهض غـير مـأمور

ضـاق الخـناق فـلاصبر ولا جـلد طـاح الزمـان بـميسور ومـعسور

يا ليت شعري أينزاح الدجـى وأرى وجــه الصـباح مـطلّاً غـير مسـتور

وانظر الشمس مـنكم والنـجوم مـعاً والبــدر مـابينهما نـور عـلى نـور

مــتى تـعسّر غـاديها ورائـحها إلّا إذا أنــعم البــاري بــتيسير

وهــاكـم يـا بـني الزهـراء مـرثية كـالروض تـبكي بـأحداق الأزاهـير

مشـغوفة بـقتيل الطـفّ مـا بـرحت تـهوي إليـه بـتغليس وتـبكير

حتّى إذا بـلغ المسـرى إلى جـدث في جنّة من جـنان الخـلد مـحضور

ألقت لديـه عـصاها وهـي صـابرة عـلى مـزاحـمة الولدان والحـور

نـالت مسـرّتها بـالسبق كـاملةً لمّا قضى لي بـطول الحـزن تـأخير

يرجو بها العـتق عـبد مـن عـبيدكم خـاست ضـريبته مـن سـوء تـدبير

وكيف أشقى وأهل الكـهف كـلبهم نـاج ولست لديكـم دون قـطمير

عـليكم صـلوات الله مـا لعـبت أيدي السرى بقداح الخـيل والعِـير

وما تـهلّل وجـه الصـبح واشـتغلت أهـل الصـلاح بـتهليل وتكـبير[1]



(1) الشاعر هو الشيخ إبراهيم بن الشيخ يحيى بن الشيخ محمّد العاملي الطيبي . ولد بقرية الطيبة من جبل عامل سنة ١١٥٤ هـ. توفي سنة ١٢١٤ هـ بدمشق .

المجلس السابع

أيّها الاخوان في الدين ، أقيموا العزاء على عترة خاتم النبيّين ، وذريّة أمير المؤمنين ، وسلالة فاطمة سيّدة نساء العالمين ، وأكثروا النوح على الكرام البررة ، وعترة النبيّ الخيرة ، ذوي المعجزات الباهرات ، والكرامات الظاهرات ، الذين شهد بفضلهم التوراة والإنجيل ، ومدحهم الله في محكم التنزيل ، عيون الله في البلاد ، وأدلّائه على طريق الرشاد ، والحجج على الحاضر والباد ، والهادين للعباد ، أصل العزّ والفخار ، وغرّة شمس النهار ، وشجرة أصلها النبيّ المختار ، وفرعها أولاده المعصومين الأطهار ، المخدومين بالملائكة الأبرار ، لقد غدر بهم أعداء الدين المبين ، وخصماء ربّ العالمين ، ولقد بكت عليهم السماوات والأرضون ، والملائكة الكرام المقرّبون ، والبحار والأنهار ، والأشجار والأثمار ، والوحوش والأطيار ، فكيف تخفى من محبّيهم زفرات الأحزان ؟ أم كيف تطفئ من مواليهم لهفات الأشجان ، وقد علموا ما جرى على سادات الزمان ، وسلالة خيرة بني عدنان ، قطّعوا منهم الأوصال ، وجدّلوهم على الرمال ، وجرّعوهم كؤوس الحتوف ، بأرض الطفوف ، وحملوا نساء نبيّهم سبايا على أقتاب المطايا .

فوا عجباً من القلوب كيف لا تنفطر لهذا المصاب العظيم ، وواعجباً من النفوس السليمة كيف لا تفنى من تصوّر هذا الأمر الجسيم .

فنوحوا أيّها المحبّون لآل الرسول على مصاب أبناء البتول ، وابكوا عليهم بالدموع

السجام لأنّهم أئمّة الإسلام ، وشفعاء الأنام ، ولا خير والله في البكاء على الأطلال الخالية ، ولا أجر والله في الحزن على الرمم البالية ، ولا فضيلة في البكاء على الآباء والأجداد ، والأبناء والأولاد ، ما لم يكن على العترة النبويّة ، والذريّة العلويّة ، والسلالة الفاطميّة ، كما ورد عنهم عليهم السلام قالوا : « **من ذكرنا عنده فبكى لمصابنا وحزن لما نابنا من نوب الدهر إلّا غفر الله له ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر** » .

وعنهم عليهم السلام : « **ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة أو دمعت عيناه فينا دمعة ، إلّا بوّأه الله بها في الجنّة حقباً** »[1].

ولله درّ من قال من الرجال :

فرى كبدي من حزن آل محمّد	**ومن زفرات ما لهنّ طبيب**
فمن مبلغ عنّي الحسين رسالة	**وإن كرهتها أنفس وقلوب**
قتيل بلا جرم كأنّ قميصه	**صبيغ بماء الأرجوان خضيب**
فللسيف إعوال وللرمح رنّة	**وللخيل من بعد الصهيل نحيبُ**
تزلزلت الدنيا لآل محمّد	**وكادت لهم صمّ الجبال تذوب**[2]

روى الصدوق في « **الأمالي** » و« **العلل** » بإسناد معتبر عن جبلة المكيّة ، قالت :

« سمعت ميثم التمّار رضي الله عنه يقول : والله لتقتل هذه الأُمّة ابن نبيّها في المحرّم لعشرة مضين منه ، وليتّخذنّ أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة ، وإنّ ذلك لكائن ، قد سبق في علم الله تعالى ذكره ، أعلم ذلك بعهد عهده إليَّ مولاي أمير المؤمنين عليه السلام ، ولقد

---

(١) أمالي المفيد : ٣٤١ ، الحديث ٦ . أمالي الطوسي : ١١٧ ، الحديث ١٨١ . بشارة المصطفى : ١٠٨ ، الحديث ٤٦ .

(٢) ينابيع المودّة : ٤٨/٣ ، الحديث ٦٤ ، عن معراج الوصول / الزرندي ، والأبيات للإمام الشافعي .

أخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات ، والحيتان في البحار ، والطير في السماء ، وتبكي عليه الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والسماء ، والأرض ، ومؤمنو الإنس والجنّ ، وجميع ملائكة السماوات والأرضين ، ورضوان ، ومالك ، وحملة العرش ، وتمطر السماء دماً ورماداً.

ثمّ قال : وجبت اللعنة على قتلة الحسين عليه السلام كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلـهاً آخر ، وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس.

قالت جبلة : فقلت له : يا ميثم ، فكيف تتّخذ النّاس ذلك اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام يوم بركة ؟

فبكى ميثم رضي الله عنه ثمّ قال : **يزعمون** ـ لحديث يضعونه ـ أنّه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام ، وإنّما قبل الله توبته في ذي الحجّة.

ويزعمون أنّه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود عليه السلام ، وإنّما قبل الله عزّ وجلّ توبته في ذي الحجّة.

ويزعمون أنّه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس عليه السلام من بطن الحوت ، وإنّما أخرج الله عزّ وجلّ يونس عليه السلام من بطن الحوت في ذي الحجّة.

ويزعمون أنّه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجوديّ ، وإنّما استوت على الجوديّ في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة.

ويزعمون أنّه اليوم الذي فلق الله عزّ وجلّ فيه البحر لموسى ، وإنّما كان ذلك في الربيع الأوّل.

ثمّ قال ميثم : يا جبلة ، اعلمي أنّ الحسين بن عليّ عليه السلام سيّد الشهداء يوم القيامة ، ولأصحابه على سائر الشهداء درجة.

يا جبلة ، إذا نظرتِ إلى الشمس حمراء كأنّها دم عبيط فاعلمي أنّ سيّد الشهداء الحسين عليه السلام قد قُتل.

قالت جبلة: فخرجت ذات يوم فرأيت الشمس على الحيطان كأنّها الملاحف المعصفرة، فصحت وبكيت وقلت: قد ـ والله ـ قتل سيّدنا الحسين عليه السلام»[١].

وروى ابن قولويه في «**الكامل**» بإسناده عن رجل من أهل بيت المقدس أنّه قال: «والله! لقد عرفنا ـ أهل بيت المقدس ونواحيها ـ عشيّة قتل الحسين بن عليّ عليه السلام.

قلت: وكيف ذلك؟

قال: ما رفعنا حجراً ولا مدراً ولا صخراً، إلّا ورأينا تحتها دماً عبيطاً يغلي، واحمرّت الحيطان كالعلق، ومطرنا ثلاثة أيّام دماً عبيطاً، وسمعنا منادياً ينادي في جوف الليل، يقول:

أترجو أُمّة قتلت حسيناً ... شفاعة جدّه يوم الحساب

معاذ الله لا نِلتُم يقيناً ... شفاعة أحمد وأبي تراب

قتلتم خير من ركب المطايا ... وخير الشيّب طرّاً والشباب

وانكسفت الشمس ثلاثاً، ثمّ تجلّت عنها، واشتبكت النجوم، فلمّا كان من الغد أرجفنا بقتله، فلم يأت علينا كثير شيء حتّى نُعي إلينا الحسين عليه السلام»[٢].

وقال الزهري: «لمّا قُتل الحسين بن عليّ عليه السلام لم يبق في بيت المقدس حصاة إلّا وجد تحتها دم عبيط»[٣].

وعن أبي بصير عن الصادق والباقر عليهما السلام، قال: «**بكت الإنس والجنّ، والطير**

(١) أمالي الصدوق: ١٨٩، الحديث ١٩٨. علل الشرائع: ٢٢٩/١، الحديث ٣.

(٢) كامل الزيارات: ١٦٠، الحديث ١٩٨.

(٣) كامل الزيارات: ١٦١، الحديث ١٩٩.

والوحش على الحسين بن عليّ عليهما السلام حتّى ذرفت دموعها»[١].

وعن الحارث الأعور، قال: «قال عليّ عليه السلام: **بأبي وأمّي الحسين المقتول بظهر الكوفة، والله كأنّي أنظر إلى الوحش مادّة أعناقها على قبره من أنواع الوحوش يبكونه ويرثونه ليلاً حتّى الصباح، فإذا كان كذلك فإيّاكم والجفاء»**[٢].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يوماً في المسجد وأصحابه حوله، فجاء الحسين عليه السلام حتّى قام بين يديه، فوضع يده على رأسه وقال: **يا بني، إنّ الله عيّر أقواماً في القرآن فقال: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾**[٣]**، وأيمُ الله ليقتلنّك ثمّ تبكيك السماء والأرض»**[٤].

وقال الصادق عليه السلام، قال: «**إنّ الحسين عليه السلام بكت لقتله السماء والأرض واحمرّتا، ولم يبكيا على أحد قطّ إلّا على يحيى بن زكريّا والحسين بن عليّ.**

قيل: وما بكاؤهما؟

قال عليه السلام: **مكثوا أربعين يوماً تطلع الشمس بحمرة وتغرب بحمرة.**

قلت: فذاك بكاؤها؟

قال: **نعم»**[٥].

ولله درّ الخليعي رحمه الله حيث يقول:

---

(١) كامل الزيارات: ١٦٥، الحديث ٢١٢. مدينة المعاجز: ١٦٤/٤، الحديث ١١٨٥. بحار الأنوار: ٤٥/ ٢٠٥، الحديث ٨، وفيها جميعاً: «عن أبي جعفر عليه السلام».

(٢) كامل الزيارات: ١٦٥، الحديث ٢١٤.

(٣) الدخان ٤٤: ٢٩.

(٤) كامل الزيارات: ١٨٠، الحديث ٢٤٣.

(٥) كامل الزيارات: ١٨١، الحديث ٢٤٤.

يــا عـــين لا لمــرابــع وخـيام — أودت بســـاكـــنها يـد الأيّـام
لا يـــنقع الغـــلل الدمـــوع بـــريّها — إلّا إذا نـــدب القـــتيل الظـامي
ما عـذر مـن لم يـبك يـوم مـصابه — مـــتأسّفاً بـــدم ودمـــع هــامي
سحّي الدموع على الحسين وحاذري — أن تســـتزلّك ألســـن اللـــوّام
وتـــمثّليه بكـــربلا يــا ظــامياً — يـرنو إلى مــاء الفــرات الطـامي
وابكي على الشيب التريب مخضّباً — وابكي على النحر الخضيب الدامي
وتـــمثّلي أخـــواتـــه وبـــناته — يـــندبنه بـــتفجّع ولطـــامِ
هــذي تـنوح وهــذه تـبكي لمـا — سـلب العـدا مـن بـرقع ولثامِ
وأبكـي اليـتامى للـطغاة خـواضـعاً — وارحـــمتاه لتـــخضّع الأيـــتام
وأبكـــي مـصارع فـتية عـلويّة — شـربوا عـلى ظـمأ كـؤوس حـمام
أحشـــاء فـاطمة لهـم مـقروحة — وعـــلى النـبيّ تـفجّع الأيـتام
وأبكـــي لزيـــنب تسـتغيث بـأُمّها — ذات المـفاخر والمـحلّ السـامي
يـا أُمّ قـومي مـن ثـراك وسـارعي — وتـــبيّني ذلّـــي وسـوء مـقامي
وقـفي عـلى المـقتول وانـفجعي له — وابكـــي له فـرداً بـغير مـحامي
وابكي على الطفل الصغير مضمّخاً — بـــدماه بـــعد تـحرّق وأوامـي
وابكي عزيزات الحسين حـواسـراً — يســـترن أوجـــههنّ بـالأكـمامِ
وابكـــي لزيـــن العـابدين مـقيّداً — فـي الأسـر يشكـو كـربة الأسـقام
وابكي لنا نسبى عـلى الأقـتاب مـا — بـين المـلا فـي مـهمه وأكـام
وابكي لرأس السبط يشهر فـي القـنا — كـالبدر يـجلو حـندس الأظـلام
يـا للرجـال لثـار عـترة أحـمدِ الـ — ـــهادي ويـا لحـميّة الإسـلام

أيكـون صـاحب شـرعة الأحكـام الداعـي الأنـام مـنكّس الأعـلام

وتـبيد آل زيـاد آلَ محمّد قـتلى بـحدّ صـوارم وسـهام

ويـبيت جسـم ابـن النبيّ مُـرمّلاً تـرباً يـوطى الخـيل والأقـدام

وإلى ابـن آكـلة الكـبود بـرأسه يسـرىٰ بـعين الواحـد العـلّام

ويـمكّن الرجس القـضيب بـجهله وبـضفنه مـن ثـغره البسّـام

لكـنّه أمـلى لهـم وتـمرّدوا فـي الكـفر وازدادوا مـن الآثـام

يا سـادة شـرف الكتاب بـما حـوا فـيهم مـن الإجـلال والإعـظام

يـا مـن إذا ذكـر اللـبيب مـصابهم هـانت عـليه مـصائب الأيّـام

قسماً بمن فرض الولاء على الورى لكـم وذلك أعـظم الأقسـام

مـا أطـمع الأرجـاس فـيما أبـدعوا فـيكم وجـرّأهـم عـلى الإقـدام

إلّا الذيـن تـعاقدوا أن يـنقضوا مـا أحكـم الهـادي مـن الإبـرام

يـا قـاسم النـيران يـا مـن حبّه فـرض عـليّ مـؤكّـد الإلزام

أنا عـبدك الخـلعيّ لا أخشـى لظىٰ وعـليك مـعتمدي وأنت عـصامي

فـلقد عـرفت بـغير نكـر خـالقي ونـبيَّيَ الهـادي مـعاً وإمـام

ولقد دللت على وجوب رياسة الـ ـمعصوم لا حـصر ولا متعامي

ولتـعطفنّ عـليَّ يـوم تـقول للـ أشـياع طـبتم فـادخلوا بسـلام

وتـذود أعـداء الرسـول عـن الرّوا عـصب الخـنا والرجس والآثـام

ويـعجّل الله العـذاب لمـعشر غـدروا فـأبلغ مـن عـداك مرامي

روى الشيخ الطوسي والصدوق والمفيد وغيرهم بـأسانيدهم عـن الصـادق عليه السلام ، قال: «**أصبحت يوماً أمّ سلمة رضي الله عنها تبكي ، فقيل لها: ممّا بكاؤك ؟**

فقالت: لقد قُتل ابني الحسين عليه السلام الليلة؛ وذلك أنّي ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله منذ مضى إلّا الليلة، فرأيته شاحباً كئيباً، فقالت: قلت: ما لي أراك يا رسول الله شاحباً كئيباً؟

قال: ما زلت الليلة أحفر القبور للحسين وأصحابه»[١].

وعن ابن عبّاس، قال: «بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عالياً من بيت أمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله، فخرجت يتوجّه بي قائدي إلى منزل أمّ سلمة، وأقبل أهل المدينة إليها، الرجال والنساء.

فلمّا انتهينا إليها، قلت: يا أمّ المؤمنين، ما لك تصرخين وتعولين؟ فلم تجبني، وأقبلت على النسوة الهاشميّات وقالت: يا بنات عبدالمطّلب، أسعدنني وابكين معي، فقد قُتل والله سيّد سيّدكنّ وسيّد شباب أهل الجنّة، قد والله قُتل سبط رسول الله وريحانته الحسين عليه السلام.

فقلت: يا أمّ المؤمنين، ومن أين علمت ذلك؟

قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام الساعة شعثاً مذعوراً، فسألته عن شأنه ذلك، فقال: **قُتل ابني الحسين عليه السلام وأهل بيته اليوم فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم**.

قالت: فقمت حتّى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا بتربة الحسين عليه السلام التي أتى بها جبرئيل من كربلاء، فقال: **إذا صارت هذه التربة دماً فقد قتل ابنك**، وأعطانيها النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: **اجعلي هذه التربة في زجاجة -أو في قارورة-، ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قُتل الحسين**، فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور.

قال: فأخذت أمّ سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً

(١) أمالي الطوسي: ٩٠، الحديث ١٤٠. أمالي الصدوق: ٢٠٢، الحديث ٢١٧. أمالي المفيد: ٣١٩، الحديث ٦. الثاقب في المناقب: ٣٣١. بحار الأنوار: ٤٥/ ٢٣، الحديث ١.

ومناحة على الحسين عليه السلام ، فجاءت الركبان بخبره وأنّه قُتل في ذلك اليوم »[١].

وروى السيّد وابن شهرآشوب وغيرهما عن عبدالله بن رياح ، قال : « لقيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين عليه السلام ، فسئل عن بصره ، فقال : قد كنت شهدت قتله ، وكنت عاشر عشرة ، غير أنّي لم أطعن برمح ، ولم أضرب بسيف ، ولم أرم بسهم .

فلمّا قُتل رجعت إلى منزلي وصلّيت العشاء الآخرة ، ونمت ، فأتاني آتٍ في منامي فقال : أجب رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقلت : ما لي وله ، فأخذ بتلبيبي وجرّني إليه ، فإذا النبيّ صلى الله عليه وآله جالس في صحراء ، حاسر عن ذراعيه ، آخذ بحربة ، وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار يقتل أصحابي التسعة ، فكلّما ضرب ضربة التهبت أنفسهم ناراً ، فدنوت منه وجثوت بين يديه وقلت : السلام عليك يا رسول الله ، فلم يردّ عليَّ ، ومكث طويلاً ثمّ رفع رأسه ، وقال : **يا عدوّ الله ! انتهكت حرمتي ، وقتلت عترتي ، ولم ترع حقّي** ، وفعلت وفعلت .

فقلت : يا رسول الله ، ما ضربت بسيف ، ولا طعنت برمح ، ولا رميت بسهم .

فقال صلى الله عليه وآله : **صدقت ، ولكنّك كثّرت السواد على ولدي ، وقرّة عيني ، وثمرة فؤادي ، ومهجة قلبي الحسين . أُدن منّي** ، فدنوت منه ، فإذا طشت مملوٌّ دماً ، فقال لي : **هذا دم ولدي الحسين فكحّلني من ذلك الدم** ، فانتبهت حتّى الساعة لا أبصر شيئاً »[٢].

وروي عن كعب الأحبار : « أنّه أسلم في أيّام خلافة عمر بن الخطّاب ، وجعل النّاس يسألونه عن الملاحم التي تظهر في آخر الزمان ، فصار كعب يخبرهم بأنواع الأخبار

(١) أمالي الطوسي : ٣١٤ ، الحديث ٦٤٠ . بحار الأنوار : ٤٥/ ٢٣١ ، الحديث ٢ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٥٠٨ ، الحديث ٣ .

(٢) اللهوف : ٨٠ . مناقب ابن شهرآشوب : ٣/٢١٦ . بحار الأنوار : ٤٥/ ٣٠٦ ، الحديث ٥ . مدينة المعاجز : ٤/٨٥ ، الحديث ١١٠٥ و : ١٠١ ، الحديث ١١١٥ .

والملاحم والفتن التي تظهر في العالم.

ثمّ قال: وأعظمها فتنة، وأشدّها مصيبة لا تنسى إلى أبد الآبدين، مصيبة الحسين، وهي الفساد الذي ذكره الله تعالى في كتابه المجيد، حيث قال: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾[١]، وإنّما فتح الفساد بقتل هابيل بن آدم، وختم بقتل الحسين عليه السلام، أولا تعلمون أنّه تفتح يوم قتله أبواب السماوات، ويؤذن للسماء بالبكاء فتبكي دماً، فإذا رأيتم الحمرة في السماء قد ارتفعت، فاعلموا أنّ السماء تبكي حسيناً.

فقيل: ياكعب، لِمَ تفعل السماء كذلك، ولا تبكي دماً لقتل الأنبياء ممّن كان أفضل من الحسين عليه السلام.

فقال: ويحكم! إنّ قتل الحسين عليه السلام أمر عظيم، وأنّه ابن سيّد المرسلين، وأنّه يقتل علانية مبارزة ظلماً وعدواناً، ولا تحفظ فيه وصيّة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو مزاج مائه وبضعة من لحمه، يذبح بعرصة كربلاء، فوالذي نفس كعب بيده لتبكينّه زمرة من الملائكة في السماوات السبع، لا يقطعون بكاءهم عليه إلى آخر الدهر، وأنّ البقعة التي يدفن فيها، خير البقاع، وما من نبيّ إلّا ويأتي إليها ويزورها ويبكي على مصابه، ولكربلاء في كلّ يوم زيارة من الملائكة والجنّ والإنس، فإذا كانت ليلة الجمعة ينزل إليها تسعون ألف ملك يبكون على الحسين عليه السلام، ويذكرون فضله، وأنّه يسمّى في السماء حسيناً المذبوح، وفي الأرض أبا عبدالله المقتول.

وفي «**البحار**»: الفرخ الأزهر المظلوم، وأنّه يوم قتله تنكسف الشمس بالنهار، ومن الليل ينخسف القمر، وتدوم الظلمة على النّاس ثلاثة أيّام، وتمطر السماء دماً، وتتدكدك الجبال، وتختبط البحار، ولولا بقيّة من ذرّيّته وطائفة من شيعته الذين يطلبون بدمه ويأخذون بثأره، لصبّ الله عليهم ناراً من السماء أحرقت

---

(١) الروم ٣٠: ٤١.

الأرض ومن عليها.

ثمّ قال كعب: يا قوم، كأنّكم تعجبون بما أُحدّثكم فيه من أمر الحسين عليه السلام، وأنّ الله تعالى لم يترك شيئاً كان أو يكون من أوّل الدهر إلى آخره إلّا وقد فسّره لموسى بن عمران عليه السلام، وما من نسمة خلقت إلّا وقد رفعت إلى آدم عليه السلام في عالم الذرّ، ولقد عرضت عليه هذه الأُمّة ونظر إليها وإلى اختلافها وتكالبها على هذه الدنيا الدنيّة، فقال آدم: يا ربّ، ما لهذه الأُمّة الزكيّة وبلاء الدنيا وهم أفضل الأمم؟

فقال له: يا آدم، إنّهم اختلفوا، فاختلفت قلوبهم، وسيظهرون الفساد في الأرض كفساد قابيل حين قتل هابيل، وأنّهم يقتلون فرخ حبيبي محمّد المصطفى، ثمّ مثّل لآدم مقتل الحسين عليه السلام ومصرعه، ووثوب أُمّة جدّه عليه، فنظر إليهم فرآهم مسودّة وجوههم.

فقال: يا ربّ، ابسط عليهم الانتقام كما قتلوا فرخ نبيّك الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، وصلّى الله على محمّد وآله»[1].



(١) بحار الأنوار: ٤٥/ ٣١٥. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٤٩٩، الحديث ١ و: ٥٩١، الحديث ١.

المجلس الثامن

أيّها الإخوان المؤمنون ، والأمناء المخلصون ، أطيلوا النوح والعويل ، وأكثروا البكاء والنحيب على هذا الرزء الجليل الذي اهتزّ له عرش الجليل ، وبكى له جبرئيل وميكائيل ، وتذكّروا هذا المصاب العظيم ، وتفكّروا في ذلك الرزء الجسيم ، فإنّه مصابٌ تصغر عنده عظائم المصائب ، وتهون لديه جميع الرزايا والنوائب ، وهو مصاب جمع بين قتل أبطال ، وسبي حريم ونهب أموال ، وذبح أطفال رضّع ، وقتل مشايخ ركّع .

فوالله ، لو أنّ النبيّ أوصى إليهم في قتالهم لما زادوا على ما فعلوا برجالهم وأطفالهم ، حملوا كرائمهم على متون النياق ، وروّوا من دمائهم السيوف الرقاق ، وتركوهم مجزّرين على الرمال ، تزورهم وحوش البرّ بين تلك التلال ، ما هو إلّا بشيء تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً .

فواحسرتاه على أجسامهم المرمّلة بالدماء ، ووالهفتاه لتلك المحترقة من الظماء ، وواحرّ قلباه لمولاي الحسين عليه السلام ينادي فلايُجاب ، ويستغيث وليس من يردّ له الخطاب ، ويطلب شربة من الماء فلا يسقى ولا يدارى ، وقد حرّموه عليه ، وحلّلوه على اليهود والنصارى ، ومنعوه من توديع الأهل والأحباب والأولاد ، وأبقوا في قلوب مواليه حزناً لا ينقضي إلى يوم المعاد ، فلا غرو أن بكت عليه محاجري أو قرّح السهاد ناظري ، أو تزايدت أوصابي ، أو أُضرمت نار وجدي واكتئابي ، وكيف يحسن

نوح النائحين ، وبكاء الباكين على أكفّ وخدّين ، ولا يحنّ على الحسين ابن أمير المؤمنين ، ونور عين سيّد المرسلين ، وثمرة فؤاد سيّدة نساء العالمين ، وأفضل الأنبياء والمرسلين.

ولله درّ من قال من الرجال شعراً:

أمحبّ آل محمّد جد بالبكاءِ — إن كنت من يهوى النبيّ المرسلا

واسكب شآبيب الدموع فإن تكن — فيه الأخير فقد تعبت الأوّلا

وابكِ الفروع الطيّبات تفرّعت — من دوحة لمحمّدٍ نسقت عُلا

وابكِ البدور الطالعات كواملاً — حاق المحاق بها فأمست أُفَّلا

وابكِ البحور الزاخرات ووردها — قد كان للورّاد عذباً سلسلا

وابكِ الجبال الراسيات ومن بنى — مجداً لسماء العلاء مؤمّلا

وابك العفير على الصعيد مضرّجاً — بدمائه ترب الجبين مرمّلا

فمصابه أبكى السماء كآبة — والشهب حُزناً والسماك الأعزلا

من أجل ذلك أنّ قلبي لم يزل — متفلّقاً لمصابه متقلقلا

فالعيش في الدنيا إذا ما نغّصوا — فيها وما يحلو وكيف وما حلا

عن سعيد بن المسيّب ، قال: «لمّا استشهد سيّدي ومولاي الحسين بن عليّ عليهما السلام وحجّ النّاس من قابل ، دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام فقلت له: يا مولاي ، قد قرب الحجّ ، فماذا تأمرني ؟

فقال: **امض على نيّتك ، وحجّ** ، فحججت ، فبينا أطوف بالكعبة وإذا أنا برجل مقطوع اليدين ، ووجهه كقطع الليل المظلم ، وهو متعلّق بأستار الكعبة ، وهو يقول: اللّهمّ ربّ هذا البيت الحرام ، اغفر لي ، وما أحسب أنّك تفعل ، ولو تشفّع فيّ سكّان سماواتك وأرضك وجميع ما خلقت ، لعظم جرمي.

قال سعيد بن المسيّب : فشغلت وشغل النّاس عن الطواف ، حتّى حفّ به النّاس واجتمعنا عليه ، فقلت : أيا ويلك ! لو كنت إبليس اللعين ماكان ينبغي لك أن تيأس من رحمة الله ، فمن أنت ، وما ذنبك ؟

فبكى ، وقال : يا قوم ، أنا أعرف بنفسي وذنبي ، وما جنيت .

فقلت له : تذكره لنا ؟

فقال : أنا كنت جمّالاً لأبي عبدالله الحسين عليه السلام لمّا خرج من المدينة إلى العراق ، وكنت أراه إذا أراد الوضوء للصلاة يضع سراويله عندي ، فأرى تكّته تغشي الأبصار بحسن إشراقها ، وقد كنت أتمنّاها تكون لي ، إلى أن صرنا بكربلاء ، وقتل الحسين عليه السلام وهي معه ، فدفنت نفسي في مكان من الأرض .

فلمّا جنّ الليل خرجت من مكاني ، فرأيت من تلك المعركة نوراً لا ظلمة ، ونهاراً لا ليلاً ، والقتلى مطرّحين على وجه الأرض ، فذكرت خبثي وشقائي في التكّة ، فقلت : والله لأطلبنّ الحسين عليه السلام ، وأرجو أن تكون التكّة في سراويله فآخذها ، ولم أزل أنظر في وجوه القتلى حتّى أتيت إلى الحسين عليه السلام فوجدته مكبوباً على وجهه وهو جثّة بلا رأس ، ونوره مشرق ، مرمّل بدمائه ، والرياح سافية عليه ، فقلت : هذا والله الحسين ، فنظرت إلى سراويله كما كنت أراها .

فدنوت منه وضربت بيدي إلى التكّة لآخذها ، فإذا هو قد عقدها عقداً كثيرة ، فلم أزل أحلّها حتّى حللت عقدة منها ، فمدّ يده اليمنى وقبض على التكّة ، فلم أقدر على رفع يده عنها ، ولا أصل إليها ، فدعتني النفس الملعونة إلى أن أطلب شيئاً أقطع به يده ، فوجدت قطعة سيف مطروحة ، فأخذتها وانكببت على يده ، ولم أزل أحزّها حتّى فصلتها عن زنده ، ثمّ نحيّتها عن التكّة ، ومددت يدي إلى التكّة لأحلّها ، فمدّ يده اليسرى ، فقبض عليها فلم أقدر على أخذها ، فأخذت قطعة السيف ولم أزل أحزّها حتّى فصلتها عن التكّة ، ومددت يدي إلى التكّة لآخذها ، فإذا الأرض ترجف ،

والسماء تهتزّ ، وإذا بجلبة عظيمة وبكاء ونداء وقائل يقول: **واابناه ، وامقتولاه ، واذبيحاه ، واحسيناه ، واغريباه. يا بنيّ قتلوك وما عرفوك ، ومن شرب الماء منعوك .**

فلمّا رأيت ذلك صعقت ورميت نفسي بين القتلى ، وإذا بثلاث نفر وامرأة وحولهم خلائق وقوف ، وقد امتلأت الأرض بصور النّاس وأجنحة الملائكة ، وإذا بواحد منهم يقول: **يا ابناه ، يا حسين ، فداك جدّك وأبوك وأمّك وأخوك ،**

وإذا بالحسين عليه السلام قد جلس ورأسه على بدنه ، وهو يقول: **لبيّك يا جدّاه ، يا رسول الله ، ويا أبتاه يا أمير المؤمنين ، ويا أمّاه يا فاطمة الزهراء ، ويا أخاه المقتول بالسمّ ، عليكم منّي السلام.**

ثمّ إنّه عليه السلام بكى وقال: **يا جدّاه ، ذبحوا والله أطفالنا ، يا جدّاه ، يعزّ والله عليك أن ترى حالنا ، وما فعل الكفّار بنا** ، وإذا هم جلسوا يبكون حوله على ما أصابه ، وفاطمة عليها السلام تقول: **يا أبتاه ، يا رسول الله ، أما ترى ما فعلت أمّتك بولدي ، أتأذن لي أن أخذ من دم شيبه وأخضّب به ناصيتي وألقى الله عزّ وجلّ وأنا مختضبة بدم ولدي الحسين عليه السلام ؟**

فقال لها: خذي ونأخذ يا فاطمة ، فرأيتهم يأخذون من دم شيبته وتمسح به فاطمة عليها السلام ناصيتها ، والنبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ والحسن عليهما السلام يمسحون به نحورهم وصدورهم وأيديهم إلى المرافق ، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **فديتك يا حسين ، يعزّ والله عليّ أن أراك مقطوع الرأس ، مرمّل الجنبين ، دامي النحر ، مكبوباً على وجهك ، قد كساك الذاري من الرمول ، وأنت طريح مقتول ، يا بنيّ من قطع يدك اليمنى وثنّى باليسرى ؟**

فقال: **يا جدّاه ، كان معي جمّال من المدينة ، وكان يراني إذا وضعت سراويلي للوضوء ، فيتمنّى أن تكون تكّتي له ، فما منعني أن أدفعها إليه إلّا لعلمي أنّه صاحب هذا الفعل ، فلمّا قُتلت خرج يطلبني بين القتلى ، فوجدني جثّة بلا رأس ، فتفقّد سراويلي ، فرأى التكّة وقد كنت عقدتها عقداً كثيرة ، فضرب بيده إلى التكّة فحلّ عقدة منها ، فمددت يدي اليمنى فقبضت على التكّة ، فطلب في المعركة فوجد قطعة سيف مكسور فقطع به**

يميني ، ثمّ حلّ عقدة أُخرى ، فقبضت على التكّة بيدي اليسرى كيلا يحلّها فتنكشف عورتي ، فحزّ يدي اليسرى ، فلمّا أراد حلّ التكّة أحسّ بك فرمى نفسه بين القتلى.

فلمّا سمع النبيّ ﷺ كلام الحسين عليه السلام بكى بكاءً شديداً ، وأتى إليَّ بين القتلى إلى أن وقف نحوي فقال: **ما لي وما لك يا جمّال ، تقطع يدين طالما قبّلهما جبرئيل وملائكة الله أجمعون ، وتبارك بهما أهل السماوات والأرضين ! أما كفاك ما صنع به الملاعين من الذلّ والهوان ، هتكوا نساءه من بعد الخدور وانسدال الستور ، سوّد الله وجهك يا جمّال في الدنيا والآخرة ، وقطع الله يديك ورجليك ، وجعلك في حزب من سفك دماءنا ، وتجرّأ على الله.**

فما استتمّ دعاءه ﷺ حتّى شلّت يداي ، وأحسست بوجهي كأنّه أُلبس قطعاً من الليل مظلماً ، وبقيت على هذه الحالة ، فجئت إلى هذا البيت استشفع ، وأنا أعلم أنّه لا يغفر لي أبداً ، فلم يبق في مكّة أحد إلّا وسمع حديثه وتقرّب إلى الله تعالى بلعنه ، وكلّ يقول: حسبك ما جنيت يالعين ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »[1].

وحكي عن رجل كوفيّ حدّاد قال: « لمّا خرج العسكر من الكوفة لحرب الحسين عليه السلام جمعت حديداً عندي ، وأخذت آلتي وسرت معهم ، فلمّا وصلوا وطنّبوا خيمهم ، بنيت خيمة وصرت أعمل أوتاداً للخيم وسككاً ومرابط للخيل وأسنّة للرماح ، وما اعوجّ من سنان أو خنجر أو سيف ، كنت بكلّ ذلك بصيراً ، فصار رزقي كثيراً ، وشاع ذكري بينهم ، حتّى أتى الحسين عليه السلام مع معسكره فارتحلنا إلى كربلاء ، وخيّمنا على شاطئ العلقمي ، وقام القتال فيما بينهم ، وحموا الماء عنه ، وقتلوه وأنصاره وبنيه ، وكان مدّة إقامتنا وارتحالنا تسعة عشر يوماً ، فرجعت غنيّاً إلى منزلي ، والسبايا معنا ، فعرضت على عبيدالله (لعنه الله) فأمر أن يشهروهم إلى يزيد إلى الشام.

فلبثت في منزلي أيّاماً قلائل ، وإذا أنا ذات ليلة راقد على فراشي فرأيت طيفاً كأنّ

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥/ ٣١٦. العوالم: ٦٢٩، الحديث ٨.

القيامة قد قامت والنّاس يموجون على الأرض كالجراد إذا فقدت دليلها ، وكلّهم دالع لسانه على صدره من شدّة الظمأ ، وأنا أعتقد بأنّ ما فيهم أعظم منّي عطشاً ؛ لأنّه كَلَّ سمعي وبصري من شدّته ، هذا غير حرارة الشمس يغلي منها دماغي ، والأرض تغلي كأنّها القير إذا اشتعلت تحته نار ، فخلت أنّ رجليّ قد تقلّعت قدماها ، فوالله العظيم لو أنّي خيّرت بين عطشي وتقطيع لحمي حتّى يسيل دمي لأشربه لرأيت شربه خيراً من عطشي .

فبينا أنا في العذاب الأليم ، والبلاء العميم ، إذا أنا برجل قد عمّ الموقف نوره ، وابتهج الكون بصدوره ، راكب على فرس ، وهو ذو شيبة ، قد حفّت به اُلوف ، من كلّ نبيّ ووصيّ وصدّيق وشهيد وصالح ، فمرّ كأنّه ريح أو سريان فلك .

فمرّت ساعة وإذا أنا بفارس على جواد أغرّ ، له وجه كتمام القمر ، تحت ركابه اُلوف ، إن أمر ائتمروا ، وإن زجر انزجروا ، فاقشعرّت الأجسام من لفتاته ، وارتعدت الفرائص من خطراته ، فتأسّفت على الأوّل ما سألت عنه خيفة من هذا ، وإذا به قد قام في ركابه وأشار إلى أصحابه ؟ وسمعت قوله : **خذوه** ، وإذا أنا بأحدهم قاهر بعضدي كلبة حديدة خارجة من النّار ، فمضى بي إليه ، فخلت كتفي اليمنى قد انقلعت ، فسألته الخفّة ، فزادني ثقلاً ، فقلت له : سألتك بمن أمّرك عليَّ مَن تكون ؟ قال : ملك من ملائكة الجبّار .

قلت : ومَن هذا ؟

قال : عليّ الكرّار .

قلت : والذي قبله ؟

قال : محمّد المختار ﷺ .

قلت : والذين حوله ؟

قال : النبيّون والصدّيقون والشهداء والصالحون والمؤمنون .

قلت: أنا ما فعلت حتّى أمّرك عليّ ؟

قال: إليه يرجع الأمر، وحالك حال هؤلاء، فحقّقت النظر وإذا بعمر بن سعد أمير العسكر وقوم لم أعرفهم، وأرى بعنقه سلسلة من حديد، والنّار خارجة من عينيه وأُذنيه، فأيقنت بالهلاك، وباقي القوم منهم مغلّل، ومنهم مقيّد، ومنهم مقهور بعضده مثلي.

فبينا نحن نسير وإذا برسول الله ﷺ الذي وصفه الملك جالس على كرسيّ عالٍ يزهو، أظنّه من اللؤلؤ، ورجلين ذوي شيبتين بهيّتين عن يمينه، فسألت الملك عنهما، فقال: نوح وإبراهيم، وإذا برسول الله ﷺ يقول: **ما صنعت يا عليّ ؟**

قال: **ما تركت أحداً من قاتلي الحسين عليه السلام إلّا وأتيت به**، فحمدت الله تعالى على أنّي لم أكن منهم، وردّ إليّ عقلي، فإذا برسول الله ﷺ يقول: **قدّموهم**، فقدّموهم إليه، وجعل يسألهم ويبكي، ويبكي كلّ من في الموقف لبكائه؛ لأنّه يقول للرجل: **ما صنعت بطفّ كربلاء بولدي الحسين ؟**

فيجيب: يا رسول الله، أنا حبست الماء عنه، وهذا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول: أنا وطئت صدره بفرسي، ومنهم من يقول: أنا ضربت ولده العليل.

فصاح رسول الله ﷺ: **وا ولداه، وا قلّة ناصراه، واحسيناه، واعليّاه، هكذا جرى عليكم بعدي. يا أهل بيتي، انظر يا أبي آدم، انظر يا أخي نوح كيف خلّفوني في ذرّيّتي**، فبكوا حتّى ارتجّ المحشر، فأمر بهم زبانية جهنّم يجرّونهم أوّلاً فأوّلاً إلى النّار، وإذا هم قد أتوا برجل، فسأله فقال: **ما صنعت شيئاً**.

فقال: **أما كنت نجّاراً ؟**

قال: صدقت يا سيّدي، لكن ما عملت شيئاً إلّا عمود الخيمة لحصين بن نمير؛ لأنّه انكسر من ريح عاصف فوصلته، فبكى، فقال: **كثّرت السواد على ولدي، خذوه إلى النّار**، وصاحوا: لا حكم إلّا لله الواحد القهّار ولرسوله ووصيّه.

قال الحدّاد: فأيقنت بالهلاك، فأمر بي، فقدّموني فاستخبرني فأخبرته فأمر بي إلى النّار، فما سحبوني إلّا وانتبهت، وحكيت لكلّ من لقيته.

وقد يبس لسانه، ومات نصفه، وتبرّأ منه كلّ من يحبّه»[١].

ولله درّ الخليعي ﵀ وحشره مع الأئمّة حيث قال:

هاج حزني وغليلي	ذكر عطشان قتيل
وشجاني ما جنا الثكل	على قلب البتول
وتذكّرت بأرض	الطفّ أبناء الرسول
صُرّعاً في الترب قتلى	من شباب وكهول
يتلألأ نور أجسا	مهم تحت الخيول
من طريح وجريح	وذبيح ورميل
وتمثّلت السبايا	في زفير وعويل
حاسرات متعبات	في حزون وسهول
صارخات نادبات	عاثرات بالذيول
لست أنسى فاطم	الصغرى بذلّ وخمول
تندب السبط وتذري	الدمع في الخدّ الأسيل
فإذا ما رأت السجّاد	في قيد ثقيل
صرخت وا نور عيني	واأسيري واعليلي
يا أخي حاشاك بعد	العزّ من كسر الذليل
ثمّ تدعو عمّتا يا عمّتا	ويك اندبي لي

(١) بحار الأنوار: ٤٥/ ٣١٩. العوالم: ٦٣٢، الحديث ٩.

واستري وجهي ونوحي لي على حزني الطويل
هل لذلّي من نصير هل ليتمي من كفيل
واسبائي واشقائي واعنائي وا غليلي
عمّنا قومي إلى التود يع من قبل الرحيل
ولقد زمّت مطايا هم وثارت بالرحيل
يا لها من محنة عمّت ومن خطب جليل
وبنات المصطفى تهدى لأرجاس نغول
يا بني الزهراء جفني بالبكا غير بخيل
لو بكت عيني دماءً كان منّي بالقليل
فانقلوا العبد الخليعيّ إلى ظلّ ظليل
ولقد نالَ المنى من فاز منكم بالقبول
والذي يعرف ما أُوتيتموه بالدليل
من ذوي الأبصار و اللبّ وأرباب العقول



المجلس التاسع

تفكّروا أيّها المؤمنون الأخيار ، والأتقياء الأبرار ، فيما جرى على عترة النبيّ المختار ، والذريّة العلويّة الأطهار ، والسلالة الفاطميّة الأبرار ، كيف أذاقهم الفسقة الفجّار القتل والحتوف بأرض الطفوف ، فكم من جسد مرمّل بالدماء ؟

وكم من كبد محرّق بالظماء ؟ والماء حوله قد طمى .

وكم من رأس شريف على السنان ؟

وكم من ربّة خدر بارزة كالهلال ؟ مبذولة الوجه على أقتاب الجمال .

وكم من قلب يحنّ ؟

وكم من أسير يئنّ ؟

وكم من طفل مذبوح ؟

وكم من دم لرسول الله مسفوح ؟

فيا حرّ قلبي لما جرى على الآل من الكفرة الأرذال الأنذال ، حسدوهم على معاليهم ، حيث عجزوا عن الوصول إلى ما أودعه الله فيهم ، فحملتهم تلك الأحقاد على التعصّب والعناد ، والزيغ عن طريق الرشاد والسداد .

فما لي لا أندب تلك الأوطان ؟ ولا أسكب دموعي على سادات الزمان ، الذين أثنى الله عليهم في محكم القرآن ، وفضّلهم على كلّ مخلوق يكون أو كان ؟

كيف أصبحوا مجدّلين على الرمال ؟ مطرّحين في معرك القتال ، وأصبحت نساؤهم أيامى من الرجال ، يُسرى بهم سبايا على أقتاب الجمال ، يُطاف بهم في البلاد ، مقرّنين في الأصفاد ، على أيدي أشرار العباد .

ولله درّ من قال من الرجال[1] شعراً:

يا أهلَ عاشورَ يالهفي على الدينِ ... خذوا حدادَكمُ يا آلَ ياسينِ
اليوم شُقِّقَ جيبُ الدين وانتُهبتْ ... بناتُ أحمدَ نهبَ الروم والصينِ
اليومَ قامَ بأعلى الطفِّ نادبُهم ... يقولُ من لِيتيمٍ أو لمسكينِ
اليوم خرَّت نجوم الفخر من مضرٍ ... علىٰ مناخرِ تذليلٍ وتوهينِ
اليوم هُتِّكَ أستار الهدىٰ مزقاً ... وبُرقِعتْ عزّةُ الإسلامِ بالهونِ
اليوم زُعزِعَ قدسٌ من جوانبِهِ ... وطاحَ بالخيلِ ساحاتُ الميادينِ
اليوم شقّوا على الزهراء كلّتها ... وساوروها بتنكيب وتوهين
اليومَ نالَ بنو حربٍ طوائلهم ... ممّا صلَوهُ ببدرٍ ثمّ صفِّينِ
اليوم جُدِّلَ سبطُ المصطفىٰ شرقاً ... من نفسه بنجيعٍ غيرِ مسنونِ
نالوا أزمّةَ دنياهم ببغيهمُ ... فليتهمْ سمحوا منها بماعونِ
آلُ الرسول عباديد السيوف فمن ... هامٍ علىٰ وجهِهِ خوفاً ومسجونِ

(١) هو أبو الحسن عليّ بن أحمد الجرجاني ، ويعرف بالجوهري ، كما ذكر ذلك في غير مورد من شعره . مقياس من مقاييس الأدب ، وأحد أعضاد العربيّة ، ومن المفلقين في صناعة القريض . من ندماء وشعراء الوزير الصاحب بن عبّاد ، وكان الصاحب يعجب به أشدّ الإعجاب ويروقه مستحسن شعره ، وقد اصطنعه لنفسه واختاره للسفارة بينه وبين العمّال والأمراء ، فكان يمثّله في ذلك أحسن تمثيل .

توفّي بجرجان حوالي سنة ٣٨٠هـ .

يـا عـينُ لا تـدعي شيئاً لغـاديةٍ تهمي ولا تـدعي دمـعاً لمـحزونِ
قومي علىٰ جدثٍ بالطف فانتفضي بكــلِّ لؤلؤِ دمــعٍ فــيكِ مكـنونِ

روى السيّد ابن طاووس وغيره : «إنّ عمر بن سعد لمّا سار ببقيّة عترة رسول الله ﷺ وقاربوا الكوفة ، اجتمع أهلها لينظروا إليهنّ .

قال : فأشرفت امرأة من الكوفيّات فقالت : من أيّ الأُسارى أنتنّ ؟

فقلن : نحن أُسارى آل محمّد ﷺ .

فنزلت من سطحها وجمعت مُلأً وأُزراً ومقانع فأعطتهنّ ، وجعل أهل الكوفة ينوحون ويبكون ، وكان مع النساء عليّ بن الحسين عليه‌السلام قد نحلته العلّة ، فقال عليه‌السلام بصوت ضعيف : **أتنوحون وتبكون من أجلنا ؟ فمن ذا الذي قتلنا ؟**

قال بشير بن حزيم الأسدي : ونظرت إلى زينب بنت عليّ عليها‌السلام يومئذٍ ولم أرَ والله خفرة قطّ أنطق منها ، كأنّما تُفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، وقد أومأت إلى النّاس بأن انصتوا ، فارتدّت الأنفاس ، وسكنت الحواسّ ، ثمّ قالت :

الْحَمْدُ للهِ ، وَالصَّلاةُ عَلىٰ أَبي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيارِ .

أَمَّا بَعْدُ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، يَا أَهْلَ الْخَتْلِ وَالْغَدْرِ ، أَتَبْكُونَ ؟! فَلاَ رَقَأَتِ الدَّمْعَةُ ، وَلاَ هَدَأَتِ الرَّنَّةُ ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً ، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ .

أَلاَ وَهَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّلَفُ وَالنَّطَفُ ، وَمَلَقُ الْإِمَاءِ ، وَغَمْزُ الْأَعْدَاءِ ؟! أَوْ كَمَرْعىً عَلىٰ دِمْنَةٍ ، أَوْ كَفِضَّةٍ عَلىٰ مَلْحُودَةٍ ، أَلاَ سَاءَ مَا قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْكُمْ وَفي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خالِدُونَ .

أَتَبْكُونَ وَتَنْتَحِبُونَ ؟! إِيْ وَاللهِ فَابْكُوا كَثِيراً ، وَاضْحَكُوا قَلِيلاً ، فَلَقَدْ ذَهَبْتُمْ

بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا ، وَلَنْ تَرْحَضُوهَا بِغَسْلٍ بَعْدَهَا أَبَداً ، وَأَنَّى تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَلاَذِ خِيَرَتِكُمْ ، وَمَفْزَعِ نَازِلَتِكُمْ ، وَمَنَارِ حُجَّتِكُمْ ، وَمِدْرَةِ سُنَّتِكُمْ.

أَلَا سَاءَ مَا تَزِرُونَ ، وَبُعْداً لَكُمْ وَسُحْقاً ، فَلَقَدْ خَابَ السَّعْيُ ، وَتَبَّتِ الْأَيْدِي ، وَخَسِرَتِ الصَّفْقَةُ ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ.

وَيْلَكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! أَتَدْرُونَ أَيَّ كَبِدٍ لِرَسُولِ اللهِ فَرَيْتُمْ ؟! وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ ؟! وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ ؟! وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ انْتَهَكْتُمْ ؟! لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا صَلْعَاءَ عَنْقَاءَ سَوْدَاءَ فَقْمَاءَ.

وَفِي بَعْضِهَا: خَرْقَاءَ ، شَوْهَاءَ ، كَطِلَاعِ الْأَرْضِ وَمِلَاءِ السَّمَاءِ.

أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ مَطَرَتِ السَّمَاءُ دَماً ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَأَنْتُمْ لَا تُنْصَرُونَ ، فَلَا يَسْتَخِفَّنَّكُمُ الْمَهْلُ ، فَإِنَّهُ لَا يَحْفُزُهُ الْبِدَارُ وَلَا يَخَافُ فَوْتَ الثَّارِ ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَبِالْمِرْصَادِ».

قال: فوالله لقد رأيت النّاس يومئذٍ حيارى يبكون ، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم ، ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتّى اخضلّت لحيته وهو يقول: بأبي أنتم وأمّي ، كهولكم خير الكهول ، وشبابكم خير الشباب ، ونساؤكم خير النساء ، ونسلكم خير نسل ، لا يجارى ولا يبارى»[1].

قال السيّد: «وروى زيد بن موسى ، قال: حدّثني أبي ، عن جدّي ، قال: وخطبت

(١) اللهوف: ٨٥ . بحار الأنوار: ٤٥ / ١١٠ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه‌السلام: ٣٧٩ ، وفيها: «لايخزى ولا يبزى» بدل «لا يجارى ولا يبارى».

فاطمة الصغرى بعد أن وردت من كربلاء، فقالت:

الْحَمْدُ للهِ عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصىٰ، وَزِنَةَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرىٰ، أَحْمَدُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَأَنَّ وُلْدَهُ ذُبِحُوا بِشَطِّ الْفُراتِ بِغَيْرِ ذَحْلٍ وَلَا تِراتٍ.

اللّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَرِيَ عَلَيْكَ الْكَذِبَ، وَأَنْ أَقُولَ عَلَيْكَ خِلافَ ما أَنْزَلْتَ مِنْ أَخْذِ الْعُهُودِ لِوَصِيِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ، الْمَسْلُوبِ حَقُّهُ، الْمَقْتُولِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، كَما قُتِلَ وَلَدُهُ بِالْأَمْسِ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، فيهِ مَعْشَرٌ مُسْلِمَةٌ بِأَلْسِنَتِهِمْ، تَعْساً لِرُؤُوسِهِمْ! ما دَفَعَتْ عَنْهُ ضَيْماً في حَياتِهِ وَلَا عِنْدَ مَماتِهِ، حَتّىٰ قَبَضْتَهُ إِلَيْكَ مَحْمُودَ النَّقيبَةِ، طَيِّبَ الْعَريكَةِ، مَعْرُوفَ الْمَناقِبِ، مَشْهُورَ الْمَذاهِبِ، لَمْ تَأْخُذْهُ اللّهُمّ فيكَ لَوْمَةُ لائِمٍ وَلاٰ عَذْلُ عاذِلٍ. هَدَيْتَهُ يا رَبِّ لِلْإِسْلامِ صَغيراً، وَحَمَدْتَ مَناقِبَهُ كَبيراً، وَلَم يَزَلْ ناصِحاً لَكَ وَلِرَسُولِكَ ﷺ حَتّىٰ قَبَضْتَهُ إِلَيْكَ، زاهِداً في الدُّنْيا، غَيْرَ حَريصٍ عَلَيْها، راغِباً فِي الْآخِرَةِ، مُجاهِداً لَكَ في سَبيلِكَ، رَضيتَهُ فَاخْتَرْتَهُ، وَهَدَيْتَهُ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيمٍ.

أَمّا بَعْدُ يا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يا أَهْلَ الْمَكْرِ وَالْغَدْرِ وَالْخُيَلاءِ! فَإِنّا أَهْلُ بَيْتٍ إِبْتَلانَا اللهُ بِكُمْ، وَابْتَلاكُمْ بِنا، فَجَعَلَ بَلاءَنا حَسَناً، وَجَعَلَ عِلْمَهُ عِنْدَنا، وَفَهْمَهُ لَدَيْنا. فَنَحْنُ عَيْبَةُ عِلْمِهِ، وَوِعاءُ فَهْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَحُجَّتُهُ فِي الْأَرْضِ في بِلادِهِ لِعِبادِهِ.

أَكْرَمَنَا اللهُ بِكَرامَتِهِ، وَفَضَّلَنا بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلىٰ كَثيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضيلاً بَيِّناً، فَكَذَّبْتُمُونا، وَكَفَّرْتُمُونا، وَرَأَيْتُمْ قِتالَنا حَلالاً، وَأَمْوالَنا نَهْباً، كَأَنّا أَوْلادُ تُرْكٍ أَوْ كابُلَ، كَما قَتَلْتُمْ جَدَّنا بِالْأَمْسِ، وَسُيُوفُكُمْ تَقْطُرُ مِنْ دِمائِنا أَهْلَ الْبَيْتِ، لِحِقْدٍ مُقَدَّمٍ. قَرَّتْ لِذٰلِكَ عُيُونُكُمْ، وَفَرِحَتْ قُلُوبُكُمْ إِفْتِراءً مِنْكُمْ عَلَى اللهِ، وَمَكْراً

مَكَرْتُمْ ، وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرينَ ، فَلَا تَدْعُوَنَّكُمْ أَنْفُسُكُمْ إِلَى الْجَذَلِ بِما أَصَبْتُمْ مِنْ دِمائِنا ، وَنالَتْ أَيْدِيكُمْ مِنْ أَمْوالِنا ، فَإِنَّ ما أَصابَنا مِنَ الْمَصائِبِ الْجَليلَةِ وَالرَّزايَا الْعَظيمَةِ في كِتابٍ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَها ، إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسيرٌ. لِكَيْلا تَأْسُوا عَلىٰ ما فاتَكُمْ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ.

تَبّاً لَكُمْ ، فَانْتَظِرُوا اللَّعْنَةَ وَالْعَذابَ ، وَكَأَنْ قَدْ حَلَّ بِكُمْ ، وَتَواتَرَتْ مِنَ السَّماءِ نَقِماتٌ ، فَتُسْحِتُكُمْ بِما كَسَبْتُمْ ، وَيُذيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، ثُمَّ تُخَلَّدُونَ فِي الْعَذابِ الْأَليمِ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِما ظَلَمْتُمُونا ، أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمينَ.

وَيْلَكُمْ ! أَتَدْرُونَ أَيَّةُ يَدٍ طاعَنَتْنا مِنْكُمْ ؟ ! وَأَيَّةُ نَفْسٍ نَزَعَتْ إِلىٰ قِتالِنا ؟ ! أَمْ بِأَيَّةِ رِجْلٍ مَشَيْتُمْ إِلَيْنا تَبْغُونَ مُحارَبَتَنا ؟ ! قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ، وَغَلُظَتْ أَكْبادُكُمْ ، وَطُبِعَ عَلىٰ أَفْئِدَتِكُمْ ، وَخُتِمَ عَلىٰ سَمْعِكُمْ وَبَصَرِكُمْ ، وَسَوَّلَ لَكُمُ الشَّيْطانُ وَأَمْلىٰ لَكُمْ ، وَجَعَلَ عَلىٰ بَصَرِكُمْ غِشاوَةً فَأَنْتُمْ لا تَهْتَدُونَ.

تَبّاً لَكُمْ يا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! أَيُّ تِراتٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قِبلَكُمْ وَذُحُولٍ لَهُ لَدَيْكُمْ بِما غَدَرْتُمْ بِأَخيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ جَدّي ، وَبَنيهِ عِتْرَةِ النَّبِيِّ ، الطَّيِّبينَ الْأَخْيارِ ، وَافْتَخَرَ بِذٰلِكَ مُفْتَخِرُكُمْ شِعْراً فَقالَ :

نَحْنُ قَتَلْنا عَلِيّاً وَبَني عَلِيٍّ ... بِسُيُوفٍ هِنْدِيَّةٍ وَرِماحِ
وَسَبَيْنا نِساءَهُمْ سَبْيَ تُرْكٍ ... وَنَطَحْناهُمُ فَأَيُّ نِطاحِ

بِفيكَ أَيُّها الْقائِلُ الْكَثْكَثُ[1] والْأَثْلَبُ[2] ، إِفْتَخَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمٍ زَكّاهُمُ اللهُ

(١) الكثكث : فتات الحجارة والتراب ، مثل : الأثلب .

(٢) الأثلب : هو بكسر الهمزة وفتحها ، وهو أكثر الحجر .

وَطَهَّرَهُمْ وَأَذْهَبَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ ، فَاكْظِمْ وَاقْعِ كَما أَقْعىٰ أَبُوكَ ، فَإِنَّما لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا قَدَّمَتْ يَداهُ. أَحَسَدْتُمُونا ـ وَيْلاً لَكُمْ ـ عَلىٰ ما فَضَّلَنَا اللهُ عَلَيْكُمْ .

﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[١]

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[٢].

قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء ، وقالوا: حسبك يابنت الطيّبين ، فقد أحرقت قلوبنا ، وأنضجت نحورنا ، وأضرمت أجوافنا ، فسكتت عليها السلام[٣].

قال السيّد أيضاً: وخطبت أمّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام في ذلك اليوم من وراء كلّتها رافعة صوتها بالبكاء ، فقالت:

يا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، سُوْءَةً لَكُمْ ، ما لَكُمْ خَذَلْتُمْ حُسَيْناً وَقَتَلْتُمُوهُ ، وَانْتَهَبْتُمْ أَمْوالَهُ وَوَرِثْتُمُوهُ ، وَسَبَيْتُمْ نِساءَهُ وَنَكَبْتُمُوهُ ؟! فَتَبّاً لَكُمْ وَسُحْقاً .

وَيْلَكُمْ ، أَتَدْرُونَ أَيَّ دَواهٍ دَهَتْكُمْ؟ وَأَيَّ وِزْرٍ عَلىٰ ظُهُورِكُمْ حَمَلْتُمْ ؟ وَأَيَّ دِماءٍ سَفَكْتُمُوها ؟ وَأَيَّ كَرِيمَةٍ أَصَبْتُمُوها ؟ وَأَيَّ صَبِيَّةٍ سَلَبْتُمُوها ؟ وَأَيَّ أَمْوالٍ انْتَهَبْتُمُوها ؟ قَتَلْتُمْ خَيْرَ رِجالٍ بَعْدَ النَّبِيِّ ، وَنُزِعَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ قُلُوبِكُمْ ، أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ وَحِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ

ثمّ قالت:

قَتَلْتُمْ أَخِي صَبْراً فَوَيْلٌ لِأُمِّكُمْ سَتُجْزَوْنَ ناراً حَرُّها يَتَوَقَّدُ

(١) الحديد ٥٧ : ٢١ و الجمعة ٦٢: ٤ .

(٢) النور ٢٤ : ٤٠ .

(٣) اللهوف: ٨٨ . بحار الأنوار: ٤٥ / ١١٠ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٣٧٩ .

سَفَكْتُمْ دِماءً حَرَّمَ اللهُ سَفْكَها وَحَرَّمَهَا الْقُرْآنُ ثُمَّ مُحَمَّدُ
أَلا فَابْشِرُوا بِالنّارِ إِنَّكُمْ غَداً لَفي سَقَرٍ حَقّاً يقيناً تُخَلَّدُوا
وَإِنّي لَأَبْكي في حَياتي عَلىٰ أخي عَلىٰ خَيْرِ مَنْ بَعْدَ النَّبِيِّ سَيُولَدُ
بِدَمْعٍ غَزيرٍ مُسْتَهِلٍّ مُكَفْكَفٍ عَلَى الْخَدِّ مِنّي ذائباً لَيْسَ يَجْمُدُ

قال: فضجّ النّاس بالبكاء والحنين والنوح، ونشرت النساء شعورهنّ ووضعن التراب على رؤوسهنّ، وخمشن وجوههنّ، وضربن خدودهنّ، ودعين بالويل والثبور، وبكى الرجال، فلم يرَ باكياً وباكية أكثر من ذلك اليوم.

ثمّ إنّ **زين العابدين** عليه السلام أومأ إلى النّاس أن اسكتوا، فسكتوا، فقام قائماً فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبيّ فصلّى عليه ثمّ قال:

أَيُّهَا النّاسُ، مَنْ عَرَفَني فَقَدْ عَرَفَني، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْني فَأَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ابْنُ عَلِيِّ بْنُ أَبي طالِبٍ، أنا ابْنُ الْمَذْبُوحِ بِشَطِّ الْفُراتِ مِنْ غَيْرِ ذَحْلٍ[1] وَلا تِراتٍ. أَنَا ابْنُ مَنِ انْتُهِكَ حَريمُهُ، وَسُلِبَ نَعيمُهُ، وَانْتُهِبَ مالُهُ، وَسُبِيَ عِيالُهُ. أَنَا ابْنُ مَنْ قُتِلَ صَبْراً وَكَفىٰ بِذٰلِكَ فَخْراً.

أَيُّهَا النّاسُ، ناشَدْتُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ كَتَبْتُمْ إِلىٰ أَبي وَخَدَعْتُمُوهُ وَأَعْطَيْتُمُوهُ مِنْ أَنْفُسِكُمُ الْعَهْدَ وَالْميثاقَ وَالْبَيْعَةَ، وَقاتَلْتُمُوهُ وَخَذَلْتُمُوهُ؟!

فَتَبّاً لِما قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، وَسَوْءً لِرَأْيِكُمْ، بِأَيَّةِ عَيْنٍ تَنْظُرُونَ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إِذْ يَقُولُ لَكُمْ: قَتَلْتُمْ عِتْرَتي، وَانْتَهَكْتُمْ حُرْمَتي، فَلَسْتُمْ مِنْ أُمَّتي؟!

---

(١) الذحل: الحقد والعداوة. يقال: طلب بذحله، أي بثأره، والجمع: ذحول. الصحاح: ١٧٠١/٤.

قال: فارتفعت أصوات النّاس بالبكاء من كلّ ناحية، ويقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون.

فقال عليه السلام: **رَحِمَ اللهُ امْرءاً قَبِلَ نَصيحَتي، وَحَفِظَ وَصِيَّتي في اللهِ وَرَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَإِنَّ لَنا في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةً حَسَنَةً.**

فقالوا بأجمعهم: كلّنا يابن رسول الله سامعون، مطيعون، حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنّا حرب لحربك، وسلم لسلمك، لنأخذنّ يزيد ونبرأ ممّن ظلمك وظلمنا.

فقال عليه السلام: **هَيْهاتَ، هَيْهاتَ، أَيُّهَا الْغَدَرَةُ الْمَكَرَةُ، حيلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ شَهَواتِ أَنْفُسِكُمْ، أَتُريدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ كَما أَتَيْتُمْ إِلىٰ أَبي مِنْ قَبْلُ؟! كَلّا وَرَبِّ الرّاقِصاتِ، فَإِنَّ الْجُرْحَ لَمّا يَنْدَمِلْ، قُتِلَ أَبي عليه السلام بِالْأَمْسِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مَعَهُ، وَلَمْ يُنْسِني ثَكْلَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَثَكْلَ أَبي وَبَني أَبي، وَوَجْدُهُ بَيْنَ لَهاتي، وَمَرارَتُهُ بَيْنَ حَناجِري وَحَلْقي، وَغُصَصُهُ تَجْري في فَراشِ صَدْري، وَمَسْأَلَتي أَنْ لا تَكُونُوا لَنا وَلا عَلَيْنا.**

ثمّ قال شعراً:

لَا غَـرْوَ أَنْ قُـتِلَ الْـحُسَيْنُ فَشَـيْخُهُ قَـدْ كـانَ خَـيْراً مِـنْ حُسَـيْنٍ وَأَكْـرَما
فَـلا تَـفْرَحُوا يـا أَهْـلَ كُـوفانَ بِـالَّذي أُصـيبَ حُسَـيْناً كـانَ ذٰلِكَ أَعْـظَما
قَـتيلٌ بِشَـطِّ النَّـهْرِ رُوحـي فِـداؤُهُ وأَنَّ الَّـذي أَرْداهُ يُـجْزى جَـهَنَّما»[1].

(١) اللهوف: ٩١. بحار الأنوار: ٤٥/ ١١٢. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٣٨١، وفيها جميعاً في البيت الأخير: «جزاء الذي أرداه نار جهنّما».

وروى السيّد والمفيد وابن نما وغيرهم: «أنّه لمّا وضع رأس الحسين عليه السلام بين يدي ابن زياد لعنه الله، جعل ينظر إليه ويتبسّم، وبيده قضيب يضرب به ثناياه ويقول: ما أحسن ثغرك يا أبا عبدالله، إنّه كان حسن الثغر، وكان إلى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو شيخ كبير، فلمّا رآه يضرب بالقضيب ثناياه، قال له: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله إلّا هو لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّل موضع قضيبك من فيه، ثمّ انتحب باكياً.

فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك يا عدوّ الله، لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك[١].

فقال زيد: لأحدّثنّك حديثاً هو أغلظ عليك من هذا، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أقعد حسناً على فخذه اليمنى، وحسيناً على فخذه اليسرى، فوضع يده على يافوخ كلّ منهما وقال: **اللّهمّ إنّي استودعك إيّاهما وصالح المؤمنين**، فكيف كان وديعتك لرسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

ثمّ رفع زيد صوته يبكي وخرج وهو يقول: مَلَكَ عبدٌ حرّاً، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمّرتم ابن مرجانة، حتّى يقتل خياركم، ويستعبد أشراركم، رضيتم بالذلّ، فبعداً لمن رضي».

قال السيّد: «ثمّ أمر ابن زياد لعنه الله برأس الحسين عليه السلام فطيف به في سكك الكوفة، ويحقّ لي أن أتمثّل هنا بأبيات لبعض ذوي العقول:

رأس ابن بنت محمّد ووصيّه	**للناظرين على قناة يرفعُ**
والمسلمون بمنظرٍ وبمسمعٍ	**لا منكر منهم ولا متفجّعُ**

(١) إلى هنا في الإرشاد: ٢/١١٤.

(٢) إلى هنا في مثير الأحزان: ٧٢، وبحار الأنوار: ٤٥/١١٨.

كحلت بمنظرك العيون عماية وأصمّ رزؤك كلّ أُذن تسمعُ

ما روضة إلّا تمنّت أنّها لك حفرة ولخطّ قبرك مضجع

أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى وأنمت عيناً لم تكن بك تهجعُ»[١]

وروى المفيد عن زيد بن أرقم ، قال : «لمّا مرّوا بالرأس عليَّ وهو على رمح وأنا في غرفة لي ، فلمّا حاذاني سمعته يقرأ : ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**﴾[٢] ، فقفّ والله شعري عليَّ ، وناديت : رأسك يابن رسول الله أعجب وأعجب»[٣].

وعن الثعلبي : «أنّه لمّا نصب رأس الحسين عليه السلام بالصيارف في الكوفة ، تنحنح الرأس وقرأ سورة الكهف إلى قوله : ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً**﴾[٤] ، فلم يزدهم ذلك إلّا ضلالاً».

وفي الأثر : «أنّهم لمّا صلبوا رأسه على الشجرة سمعوا منه : ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾[٥] ، وسمع منه غير مرّة يقول : **لا قوّة إلّا بالله**»[٦].

ولله درّ من قال من الرجال[٧] شعراً :

---

(١) اللهوف : ٩٥ . مثير الأحزان : ٨٦ . بحار الأنوار : ٤٥/ ١١٨ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٣٨٥ .

(٢) الكهف ١٨ : ٩ .

(٣) الإرشاد : ٢/١١٧ .

(٤) الكهف ١٨ : ١٣ .

(٥) الشعراء ٢٦ : ٢٢٧ .

(٦) مناقب ابن شهرآشوب : ٣/٢١٨ . بحار الأنوار : ٤٥/ ٣٠٤ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٣٨٦ .

(٧) هو أبوالحسن علاء الدين الشيخ عليّ بن الحسين الحلّي الشهيفي ، وقد تقدّمت ترجمته في المجلس الرابع .

أمخاطبَ الأذيابِ في فلواتِها ومكلِّمَ الأمواتِ في رمس البلىٰ
ياليت في الأحياءِ شخصَكَ حاضرٌ وحسينٌ مطروحٌ بعرصةِ كربلا
عريانَ يكسوه الصعيدُ ملابساً أفديه مسلوبَ اللباسِ مُسربلا
متوسّداً حرَّ الصخورِ معفّراً بدمائِهِ تربَ الجبينِ مُرمّلا
ظمآنَ مجروحَ الجوارحِ لم يجد ممّا سوىٰ دمِهِ المبدَّدِ منهلا
ولصدره تطأ الخيولُ وطالما بسريره جبريلُ كان موكّلا
عُقرتْ أما علمت لأيِّ معظّمٍ وطأتْ وصدرٍ غادرته مفصّلا
ولثغرِهِ يعلو القضيبُ وطالما شغفاً به كان النبيُّ مُقبّلا
وبنوه في أسرِ الطغاةِ صوارخٌ ولهاءُ معولةٌ تجاوبُ معولا
ونساؤه من حولِه يندبنَهُ بأبي النساءَ النادبات الثكّلا
يندبنَ أكرمَ سيّدٍ من سادةٍ هجروا القصورَ وآنسوا وحشَ الفلا
بأبي بدوراً في المدينة طُلّعاً أمست بأرضِ الغاضريّةِ أُفّلا
آسادُ حربٍ لا يمسُّ عفاتَها ضرُّ الطوىٰ ونزيلها لن يخذلا
من تلقَ منهم تلقَ غيثاً مُسبلاً كرماً وإن قابلت ليثاً مُشبلا
نزحتْ بهم عن عقرِهمْ أيدي العدا بأبي الغريب الظاعنَ المترحّلا
صاروا حثيثاً والمنايا حولَهمْ تسري ولا يجدون عنها معزلا
ضاقت بهم أوطانُهمْ فتبوّأوا شاطي الفراتِ عن المواطنِ موئلا
ظفرت بهم أيدي البغاةِ فلم أَخَلْ وأبيك تقتنص البغاثُ الأجدَلا
هجرت رؤوسُهمُ الجسومَ فواصلتْ زرقَ الأسنّةِ والوشيجَ الذبّلا
يبكي أسيرُهمُ لفقدِ قتيلهمْ أسفاً وكلٌّ في الحقيقةِ مبتلىٰ

هــذا يـميلُ عـلى اليـمينِ مُـعفرّاً بــدمِ الوريــدِ وذا يُســاق مـغلّلا

لهـفي لزيـنِ العـابدين يُـقاد فـي ثــقلِ الحــديدِ مـقيّداً ومكـبّلا

أفدي الأسيرَ وليت خـدّي مـوطئاً كـانت له بـين المـحامل مـحملا

ومـن العـجائبِ أن تـقاد أُسـودها أسرى وتفترسُ الكـلابُ الأشـبلا

صــلّىٰ عـليك اللهُ مـا سـحَّ الحـيا وتــبسّمت لبكـائِهِ ثـغُر الكـلا[1]



(١) الغدير: ٣٨٨/٦.

المجلس العاشر

أيّها الاخوان ، كيف تخفى زفرات الأحـزان ؟ وكـيف تـطفى لهـبات الأشـجان ؟ وقد علمنا ما جرى على سادات الزمان ، أفضل مخلوق يكون وكان ، ومن افـتخرت بخدمتهم مـلائكة المـنعم المـنّان ، كـيف غـدروا بـهم خـصماء الديـن وأعـداء ربّ العالمين ، قطّعوا مـنهم الأوصـال ، وجـدّلوهـم عـلى الرمـال ، وجـرّعوهم كـؤوس الحتوف بأرض الطفوف ، وحملوا نساءهم سبايا على أقتاب المطايا ، وكيف يـصبر من يمثّل مولاه الحسين عليه السلام قد أصبح فريداً ، وأصحابه حوله مجدّلون في الفلوات ، تبكي عليهم الوحوش والطيور وملائكة الأرض والسماوات ، وهو فريد وحيد يدعو فلا يجاب ، وينادي ولا يردّ له جواب .

فتأمّلوا يا أهل الإسلام ، وتفكّروا في مصاب هذا الإمام ، الذي هو أفضل الأنـام ، وانظروا إلى ما صنع به القوم اللئام ، وإلى صبره على تجرّع الغصص والآلام ، وتجرّع كؤوس الحمام ، وأعظم من ذلك اضطرابه على الأهل والعـيال ، والولد والأطـفال ، حيث يتركون بين المردة المنافقين ، والكفرة الملاعين ، بلا وليّ ولا ناصر ولا معين .

فهذا مصاب لم يبتل به أحـد مـن الأنـبياء والمـرسلين ، والأولـيـاء والصـالحين ، ولقد فاق على جدّه إبراهيم في هذا المقام ، حيث إنّ إبراهيم ابتلي في نفسه حين أُلقي في النار ، والحسين صرّع حوله بنوه وبنو أبيه الأطهار ، وأصـحابه الأخـيار الأبـرار ، وأقدم على نار القتال ، وصبر على قضاء الملك المتعال .

فيا ذلّة الإسلام من بعد عزّه ويا لك رزء في الأنام خطير
فيا عين سحّي من [دموعك وازددي] ويا نفس ذوبي فالمصاب كبير

***

كيف صبر المحبّ وهو يرى الأ حباب من بعد عزّة وجلال
واحبّا الحبيب بين قتيل وجريح موثّق في الحبال
ووجوه لا تنظر الشمس إلّا حذراً أن يفوت وقت الزوال
مسفرات من بعد ستر حجاب مبديات من بعد سجف خيال

وروي: «أنّ الحسين عليه السلام لمّا فجع بأهل بيته وولده، ولم يبق غيره وغير النساء والذراري نادى: **هل من ذابّ يذبُّ عن حرم رسول الله، هل من موحّد يخاف الله فينا، هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا**، ارتفعت أصوات النساء بالعويل، فتقدّم عليه السلام إلى باب الخيمة فقال: **ناولوني عليّاً ابني الطفل حتّى أُودّعه**، فناولوه الصبيّ، وقيل: اسمه عبدالله»[(١)].

وقال المفيد رحمه الله: «دعا بابنه عبدالله، قالوا: فجعل يقبّله وهو يقول: **ويل لهؤلاء القوم إذا كان جدّك محمّد المصطفى خصمهم**، فبينما الصبيّ في حجره إذ رماه حرملة بن كاهل الأسدي (لعنه الله) بسهم فذبحه وهو في حجر الحسين عليه السلام، فتلقّى الحسين دمه حتّى امتلأت كفّه دماً، ثمّ رمى به إلى السماء وقال: **هوّن عليَّ ما نزل بي فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض** وقال: **يا ربّ، لا يكن أهون عليك من فصيل. اللّهمّ إن كنت حبست عنّا النصر فاجعل ذلك لما هو خير لنا**»[(٢)].

(١) اللهوف: ٦٩. بحار الأنوار: ٤٥/ ٤٦. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٢٨٩.

(٢) الإرشاد: ١٠٨/٢ (نحوه). اللهوف: ٦٩. بحار الأنوار: ٤٥/ ٤٦. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٢٨٩.

وروي: «أنّ الحسين عليه السلام لمّا نظر إلى اثنين وسبعين رجلاً من أصحابه وأهل بيته صرعى، التفت إلى الخيمة ونادى: **يا سكينة، يا فاطمة، يا زينب، يا أمّ كلثوم، عليكنّ منّي السلام**، فنادته سكينة: يا أبةِ، استسلمت للموت؟

فقال عليه السلام: **كيف لا يستسلم من لا ناصر له ولا معين**.

فقالت: يا أبةِ، ردّنا إلى حرم جدّنا؟

فقال: **هيهات لو ترك القطا لنام**، فتصارخن النساء، فسكّتهنّ الحسين عليه السلام وصاح النساء: الوداع الوداع، الفراق الفراق، فألقت سكينة مقنعتها من رأسها وقالت: يا أبة، استسلمت للموت، فإلى من تكلنا؟!

فلمّا سمع ذلك بكى وقال: **يا نور عيني، رحمة الله ونصرته لا تفارقكم في الدنيا ولا في الآخرة، فاصبري لقضاء الله ولا تشكي، فإنّ الدنيا فانية والآخرة باقية**[1].

ثمّ استدعى بزين العابدين عليه السلام وأودعه أسرار الإمامة والخلافة وأوصى إليه.

ثمّ ركب عليه السلام فرسه وتقدّم إلى القتال، ثمّ وقف قبال القوم وسيفه مصلت بيده، آيساً من الحياة، عازماً على الموت، وهو يقول:

«أنا ابنُ عليّ الطهرُ من آلِ هاشمٍ	**كفاني بهذا مَفخراً حين أفخرُ**
وجدّي رسولُ الله أكرم من مشى	**ونحنُ سراج الله في الأرض نزهرُ**
وفاطمُ أمّي من سلالةِ أحمدٍ	**وعمّي يُدعى ذا الجناحين جعفرُ**
وفينا كتابُ الله أُنزلَ صادقاً	**وفينا الهدى والوحي والخير يذكرُ**
ونحنُ أمانُ الله للنّاسِ كلّهم	**نسرُّ بهذا في الأنام ونجهرُ**
ونحنُ ولاةُ الحوض نسقي ولاتنا	**بكأس رسول الله ما ليس يُنكرُ**

(١) المنتخب /الطريحي: ٤٤٠.

وشيعتنا في الناسِ أكرمُ شيعةٍ ومُبغضنا يوم القيامة يخسرُ»[(١)]

وذكر أبو علي السلامي في تأريخه أنّ هذه الأبيات من إنشائه عليه السلام :

«فإن تكن الدنيا تعدُّ نفيسةً فإن ثوابَ الله أعلا وأنبلُ
وإن تكن الأبدان للموت أُنشِئت فقتل امرئٍ بالسيف في الله أفضلُ
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدّراً فقلّة حرص المرء في الكسب أجملُ
وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخلُ»

ثمّ إنّه دعا النّاس إلى البراز ، فلم يزل يقتل كلّ مَن دنا منه من عيون الرجال ، حتّى قتل منهم مقتلة عظيمة ، ثمّ حمل على الميمنة وقال :

«الموتُ خيرٌ من رُكوبِ العار»

وعلى الميسرة قائلاً:

«أنا الحسين بن عليّ آليت أن لا أنثني
أحمي عيالات أبي أمضي على دين النبيّ»[(٢)]

قال بعض الرواة : «فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ قد قُتل ولده وأهل بيته وأصحابه ، أربط جأشاً منه ، وإنّه كانت الرجال تشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب ، ولقد كان يحمل فيهم وقد تكمّلوا ثلاثين ألفاً ، فينهزمون من بين يديه كأنّهم الجراد المنتشر ، ثمّ يرجع إلى مركزه وهو يقول: **لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم**».

(١) الاحتجاج : ٢/٢٦ . بحار الأنوار : ٤٥/ ٤٩ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٢٩١ .
(٢) بحار الأنوار : ٤٥/ ٤٩ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٢٩٢ .

ولم يزل يقاتل حتّى قتل ألف رجل وتسعمائة رجلاً وخمسين رجلاً ، سوى المجروحين ، فقال عمر بن سعد (لعنه الله) لقومه : الويل لكم ! أتدرون لمن تقاتلون ؟ هذا ابن الأنزع البطين ، هذا ابن قتّال العرب ، فاحملوا عليه من كلّ جانب ، وكانت الرماة أربعة آلاف ، فرموه بالسهام فحالوا بينه وبين رحله .

فصاح بهم : **ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان ! إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم أعراباً .**

فناداه شمر (لعنه الله) ، فقال : ما تقول يابن فاطمة ؟

قال عليه السلام : **أقول أنا الذي أُقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهنّ جناح ، فامنعوا عتاتكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً .**

فقال شمر (لعنه الله) : لك هذا ، ثمّ صاح شمر : إليكم عن حرم الرجل واقصدوه في نفسه ، فلعمري لهو كفؤ كريم .

قال : فقصده القوم ، وهو مع ذلك يطلب شربة من ماء ، فكلّما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه بأجمعهم حتّى أرحلوه عنه .

ثمّ إنّه حمل على الأعور السلمي وعمرو بن الحجّاج الزبيدي ، وكانا في أربعة آلاف رجل على الشريعة ، فهزمهم وأقحم الفرس على الفرات .

فلمّا أولغ الفرس برأسه ليشرب قال عليه السلام : **أنت عطشان وأنا عطشان ، والله لا ذقت الماء حتّى تشرب** ، فلمّا سمع الفرس كلامه رفع رأسه ولم يشرب ، كأنّه فهم كلامه .

فقال له الحسين عليه السلام : **اشرب فأنا أشرب** ، فمدّ يده عليه السلام فغرف من الماء ، فقال له فارس من الأعداء : يا أبا عبدالله ، تتلذّذ بشرب الماء وقد هتك حرمك ! فنفض الماء من يده وحمل على القوم فكشفهم ، فإذا الخيمة سالمة ، وعرف أنّها خدعة منهم ليحرموه من شرب الماء ، ثمّ ودّع حرمه مرّة أُخرى ، وأمرهم بالصبر ، ووعدهم الثواب والأجر ، وأمرهم بلبس أُزرهم ويستعدّوا للبلاء ، وقال : **إعلموا أنّ الله حافظكم**

وحاميكم، وسينجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذّب أعاديكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم الله عن هذه البلية أنواع التنعّم والكرامة، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم.

ثمّ توجّه عليه السلام إلى قتال أعدائه، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وجدّل أبطالاً، ونكّس فرساناً، وقتل منهم في ذلك اليوم ألفاً وثمانمائة وخمسين نفراً، فأمر ابن سعد أن يرموه بالنبل والسهام دفعة واحدة، ثمّ حمل عليهم كالليث المغضب، وجعل لا يلحق منهم أحداً إلّا بعجه بسيفه ويقتله، والسهام تأخذه من كلّ ناحية وهو يتّقيها بنحره وصدره ويقول: **يا أُمّة السوء، بئسما خلّفتم محمّداً صلى الله عليه وآله في عترته، أما أنّكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله فتهابوا من قتله، بل يهون عليكم عند قتلكم إيّاي. وأيم الله! إنّي لأرجو أن يكرمني ربّي بهوانكم، ثمّ ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون.**

فصاح الحصين بن مالك وقال: يابن فاطمة، وبماذا ينتقم لك منّا؟

فقال عليه السلام: **يلقي بأسكم بينكم، ويسفك دماءكم، ويصبّ عليكم العذاب الأليم،** ثمّ لم يزل يقاتل حتّى أصابته جراحات كثيرة[1].

وعن الباقر عليه السلام: «**أُصيب الحسين عليه السلام ووجد به ثلاثمائة وبضعة وعشرون طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم**»[2].

وروي: «ثلاثمائة وستّون جراحة، وقيل: ألف وتسعمائة جراحة، وكانت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ وكانت كلّها في مقدّمه عليه السلام»[3].

ثمّ رماه رجل من القوم يكنّى أبا الحتوف الجعفي (لعنه الله) بسهم، وقع في

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥ / ٥٠. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٢٩٣.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٢٨، الحديث ٢٤٠. بحار الأنوار: ٤٥ / ٥٢. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٢٩٥.

(٣) بحار الأنوار: ٤٥ / ٥٢. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٢٩٥.

جبهته ، فنزعه من جبهته فسالت الدماء على وجهه ولحيته ، فقال عليه السلام : **اللّهمّ إنّك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة. اللّهمّ أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تذر منهم على وجه الأرض أحداً ، ولا تغفر لهم أبداً**[1] .

فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه فأتاه سهم محدّد مسموم له ثلاث شعب فوقع السهم في صدره[2] ، وفي رواية : على قلبه[3].

فقال الحسين عليه السلام : **بسم الله ، وبالله ، وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله** ، ورفع رأسه إلى السماء وقال : **إلـهي إنّك تعلم أنّهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيره** ، ثمّ أخذ السهم فأخرجه من خلفه ، فانبعث الدم كالميزاب ، فوضع يده على الجرح ، فلمّا امتلأت رمى به إلى السماء ، فما رجع من ذلك الدم قطرة ، وما عرفت الحمرة في السماء حتّى رمى الحسين بدمه إلى السماء .

ثمّ وضع يده ثانياً ، فلمّا امتلأت لطّخ بها رأسه ولحيته وقال : **هكذا أكون حتّى ألقى جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مخضوب بدمي ، وأقول : يا رسول الله ، قتلني فلان وفلان** ، ثمّ ضعف عليه السلام عن القتال فوقف ، فكلّما أتاه رجل وانتهى إليه انصرف عنه ، حتّى جاءه رجل من كندة يقال له مالك بن النسر (لعنه الله) فشتم الحسين وضربه بالسيف وعليه برنس فامتلأ دماً .

فقال له الحسين : **لا أكلت بيمينك ولا شربت بها ، وحشرك الله مع الظالمين** ، ثمّ ألقى البرنس ولبس قلنسوة واعتمّ بها وقد أعيى ، وجاء الكندي (لعنه الله) وأخذ البرنس ، وكان من خزّ .

فلمّا قدم (لعنه الله) بعد الوقعة على امرأته جعل يغسل الدم عنه ، فقالت له امرأته :

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥ /٥٢ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٢٩٤ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٥ /٥٣ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٢٩٥ .

(٣) اللهوف : ٧١ . بحار الأنوار : ٤٥ /٥٣ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٢٩٥ .

أتدخل بيتي سلب ابن رسول الله ، اخرج عنّي حشا الله قبرك ناراً ، فلم يزل بعد ذلك فقيراً بأسوء حال ، ويبست يداه ، وكانتا في الشتاء ينضحان دماً وفي الصيف تصيران يابستين كأنّهما عودتان .

فلبثوا هنيئة ثمّ عادوا إليه وأحاطوا به ، فخرج عبدالله بن الحسن بن عليّ عليه السلام ـ وهو غلام لم يراهق ـ من عند النساء ، حتّى وقف إلى جنب الحسين عليه السلام ، فلحقته زينب بنت عليّ لتحبسه ، والحسين عليه السلام يقول لها : **إحبسيه يا أُختي** .

فأبى الغلام وامتنع امتناعاً شديداً ، وقال : لا والله ، لا أُفارق عمّي ، وأهوى أبجر بن كعب ، وقيل : حرملة بن كاهل (لعنه الله) إلى الحسين بالسيف فقال له الغلام : ويلك يابن الخبيثة ، أتقتل عمّي بالسيف ، فاتّقاه الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد ، فإذا هي معلّقة .

فنادى الغلام : يا عمّاه ، فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إليه وقال : **يابن أخي ، اصبر على ما نزل بك ، واحتسب في ذلك الخير ، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين** .

فرماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر الحسين (١) .

وطعن الحسين عليه السلام صالح بن وهب المزني (لعنه الله) على خاصرته طعنة فسقط عليه السلام عن فرسه إلى الأرض على خدّه الأيمن ، وخرجت زينب من الفسطاط وهي تنادي : وا أخاه ، وا سيّداه ، وا أهل بيتاه ، ليت السماء أُطبقت على الأرض ، وليت الجبال تدكدكت على السهل .

ثمّ التفتت إلى ابن سعد وقالت : أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه ؟ ودموع عمر تسيل على لحيته وخدّيه ، وهو يصرف وجهه عنها ، وجلس الحسين عليه السلام فنزع السهم من نحره وقرن كفّيه جميعاً ، وكلّما امتلأتا من دمائه خضّب بهما رأسه ولحيته

---

(١) اللهوف : ٧١ . بحار الأنوار : ٤٥ / ٥٣ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٢٩٥ .

وهو يقول: **هكذا حتّى ألقى الله مخضوباً بدمي ، مغصوباً عليَّ حقّي** .

وصاح الشمر (لعنه الله): ما تنتظرون بالرجل ، فحملوا عليه من كلّ جانب ، فرماه الحصين بن نمير (لعنه الله) في فيه ، وأبو أيّوب الغنوي في صدره ، وضربه زرعة بن شريك التميمي ، وكان قد طعنه سنان بن أنس النخعي في صدره ، وطعنه صالح بن وهب في خاصرته .

وقال ابن سعد لرجل عن يمينه: انزل ـ ويحك ـ إلى الحسين فأرحه ، فحمل عليه سنان في تلك الحالة فطعنه بالرمح فصرعه ، وقال لخولي بن يزيد الأصبحي: احتزّ رأسه ، فضعف وارتعدت يداه .

وروي أنّه جاء إليه شمر وسنان والحسين عليه السلام به رمق يلوك لسانه من العطش ، وطلب الماء ، فرفسه شمر لعنه الله برجله وقال: يابن أبي تراب ، ألست تزعم أنّ أباك على حوض النبيّ يسقي من أحبّه ، فاصبر حتّى تأخذ الماء من يده .

ثمّ قال لسنان: احتز رأسه ، فقال سنان: والله لا أفعل فيكون جدّه محمّد خصمي ، فغضب شمر (لعنه الله) وجلس على صدره ، وقبض على لحيته ، وهمّ بقتله ، فضحك الحسين عليه السلام وقال: **أتقتلني ولا تعرفني من أنا** .

فقال أعرفك حقّ المعرفة: أمّك فاطمة الزهراء ، وأبوك عليّ المرتضى ، وجدّك محمّد المصطفى ، وخصمك العليّ الأعلى ، أقتلك ولا أبالي ، فضربه بسيفه اثنتي عشرة ضربة ، ثمّ حزّ رأسه الشريف[١] .

وروي: «أنّه لمّا صرع جعل فرسه يحامي عنه ويثب على الفارس فيخبطه عن سرجه ويدوسه حتّى قتل أربعين رجلاً ، ثمّ تمرّغ في دم الحسين عليه السلام وقصد نحو الخيمة وله صهيل عال ، ويضرب بيديه الأرض[٢] .

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥ /٥٥ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٢٩٩ .

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٢١٥/٣ . بحار الأنوار: ٤٥ /٥٧ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٣٠٠ .

فسمع بنات النبيّ ﷺ صهيله ، فخرجن ، فإذا الفرس بلا راكب ، فعرفن أنّ الحسين عليه السلام قد قُتل ، وخرجت أُمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين واضعة يدها على صدرها تندب وتقول: وا محمّداه ، هذا الحسين بالعراء ، قد سلب العمامة والرداء(١).

وخرجت زينب عليها السلام وهي تندب الحسين عليه السلام وتنادي بصوت حزين ، وقلب كئيب: وا محمّداه ، صلّى عليك مليك السماء ، هذا حسين مرمّل بالدماء ، مقطّع الأعضاء ، وبناتك سبايا ، إلى الله المشتكى ، وإلى محمّد المصطفى ، وإلى عليّ المرتضى ، وإلى حمزة سيّد الشهداء.

وا محمّداه ، هذا حسين بالعراء تسفي عليه الصبا ، قتيل أولاد البغايا ، يا حزناه ، ياكرباه ، اليوم مات جدّي رسول الله ﷺ ، يا أصحاب محمّداه ، هؤلاء ذرّيّة المصطفى يساقون سوق السبايا(٢).

وارتفعت في السماء في ذلك الوقت غبرة شديدة ، سوداء مظلمة ، فيها ريح حمراء ، لا ترى فيها عين ولا أثر ، حتّى ظنّ القوم أنّ العذاب قد جاءهم ، فلبثوا كذلك ساعة ثمّ انجلت عنهم(٣).

ولله درّ الشريف الرضيّ(٤):

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٢٢. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ١٧١.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥/ ٥٨. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٣٠٣.

(٣) اللهوف: ٧٥. بحار الأنوار: ٤٥/ ٥٧. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ٣٠٠.

(٤) هو أبو الحسن محمّد بن الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر عليهما السلام ، المعروف بـ(الشريف الرضيّ). عالم ، أديب ، شاعر. ولد ببغداد سنة ٣٥٩هـ ، تولّى نقابة الطالبيّين بها ، وتوفّي بها في السادس من محرّم الحرام سنة ٤٠٦هـ. ودفن في داره بمسجد الأنباريّين.

من آثاره: ديوان شعر كبير في أربع مجلّدات ، طيف الخيال ، خصائص الأئمّة ، الآثار النبويّة ، وتلخيص البيان في مجازات القرآن.

كــربلا لا زلتِ كــرباً وبــلا ما لقي عـندك آل المـصطفى
كم على تربك لمّـا صرّعوا من دم سال ومن دمـع جـرى
كم حصان الذيل تروي خدّها عــبرة عــند قــتيل بــالظما
تمسح الترب عـلى أعـجالها عن طـلا نـحر زمـيل بـالدما
وضــــيوف لفــــلاة قــفرة نـزلوا فـيها عـلى غـير قـرى
لم يذوقوا الماء حتّى اجتمعوا بحدى السيف على ورد الردى
تكسف الشمس شموساً منهم لا تــدانــيها ضـــياء وعــلا
وتنوش الوحش من أجسادهم أرجـل السـبق وإيـمان النـدا
ووجــوه كــالمصابيح فـمن قـمر غـار ومـن نـجم هـوى
غــــيّرتهنّ اللــــيالي وغــدا جــائر الحكـم عـليهنّ البـلا
يــا رســول الله لو عــاينتهم وهــم مــا بـين قـتل وسـبا
من رميض يمنع الظـلّ ومـن عـاطش يسـقى أنـابيب القـنا
ومســوق عــاثر يســعى بـه خلف محمول على غير وطـا
متعب يشكو أذى السير على نقب المـنسم مـهزول المـطا
لرأت عــيناك مـنهم مـنظراً للـحشا شـجو وللـعين قـذى
ليس هــذا لرســول الله يــا أُمّــة الطـغيان والغـيّ جـزا
غارسٌ لم يأل في الغرس لهم فــأذاقــوا أهــله مــرّ الجـنا
جزروا جزر الأضاحي نسـله ثمّ سـاقوا أهـله سـوق الإمـا
معجلات لا يواريـن ضـحىً سنن الأوجه أو بـيض الطـلا
هــاتفات بــرسول الله فــي بـهر السـير وعـثرات الخـطا
يــوم لا كسـر حـجاب مـانع بــذلّة العــين ولا ظـلّ خـبا

أدرك الكفر بهم ثاراته ... فأديل الغيّ منهم فاشتفى

يا قتيلاً قوّض الدهر به ... عُمَد الدين وأعلام الهدى

قتلوه بعد علم منهم ... أنّه خامس أصحاب الكسا

وصريع عالج الموت بلا ... شدّ لحيين ولا مدّ ردا

غسّلوه بدم الطعن وما ... كفّنوه غير بوغاء الثرى

مرهقاً يدعو ولا غوث له ... بأبٍ برٍّ وجَدٍّ مصطفى

وبأُمّ رفع الله لها ... علماً ما بين نسوان الورى

أي جدّ وأب يدعوهما ... جدّ يا جدّ أغثني يا أبا

يا رسول الله يا فاطمة ... يا أمير المؤمنين المرتضى

كيف لا يستعجل الله لهم ... بانقلاب الأرض أو رجم السما

لو بسبطي هرقل أو قيصر ... فعلوا فعل يزيد ما عدا

كم رقاب من بني فاطمة ... عرقت بينهم عرق المدا

واختلاها السيف حتّى خلتها ... سلّم الأبرق أو طلح العرى

حملوا رأساً يصلّون على ... جدّه الأكرم طوعاً وإبا

يتهادى بينهم لم ينقضوا ... عمّم الهام ولا حلو الحبا

ميّت تبكي له فاطمة ... وأبوها وعليّ ذو العلا

لو رسول الله يحيى بعده ... قعد اليوم عليه للعزا

معشر منهم رسول الله و ... الكاشف الكرب إذ الكرب عرا

صهره الباذل عنه نفسه ... وحسام الله في يوم الوغى

أول الناس إلى الداعي الذي ... لم يقدّم غيره لمّا دعى

ثمّ سبطاه الشهيدان فذا ... بحشا السمّ وهذا بالظما

وعـلـيّ وابـنه الباقر والصـا — دق القـول ومـوسى والرضـا
وعـــلـيّ وأبـــوه وابـــنه — والذي يـنتظر القـوم غـدا
يا جبال المـجد عـزّاً وعُـلا — وبـدور الأرض نـوراً وسـنا
جـــعل الله الذي نـــالكم — سبب الوجـد طـويلاً والبكـا
لا أرى حـــزنكم يـــنسى ولا — رُزئكم يسلى أوان طال المدا
قد مضى الدهر ويمضي بعدكم — لا الجوى باح ولا الدمع رقى
أنتم الشافون مـن داء العـمى — وغداً ساقون من حوض الروا
أيــن عــنكم يـضل طـالب — واضح السبل وأقمار الدجـى
أين عنكم للذي يرجـو بكـم — مـع رسـول الله فـوزاً ونـجا
يوم يغدو وجـهه مـن مـعشرٍ — مـعرضاً مـمتنعاً عـند اللـقا
شـاكـياً مـنهم إلى الله وهـل — يفلج الجبل الذي منه شكـى
ربّ مـا أووا ولا حـاموا ولا — نصروا أهـلي ولا أغـنوا غـنا
بـدّلوا ديـني ونـالوا أسـرتي — بـالعظيمات ولم يـرعوا إلى
لو ولى ما قد ولوا من عترتي — قـائم الشـرك لا بـقى ورعـى
نـقضوا عـهدي وقـد أبـرمته — وعرى الدين فما أبقوا عـرى
حـرمي مسـترفدات وبـنو — بـنتي الأدنـون ذبـح للـعدا
أتـرى لست لديـهم كـامرءٍ — خـلّفوه بـجميل إذ مـضى
ربّ إنّـي اليـوم خـصم لهـم — جئت مظلوماً وذا يوم القضا [1]

---

(١) ديوان الشريف الرضيّ: ١/٤٤ ـ ٤٨.

المجلس الحادي عشر

أيّها الإخوان والخلّان ، دعوا التشاغل بالأموال والولدان ، والديار والأوطان ، وتفكّروا فيما أصاب سادات الزمان ، وخلفاء الملك الديّان ، وحجج المنعم المنّان ، الذين استحققتم بموالاتهم دخول الجنان ، وبمحبّتهم الخلاص من عذاب النيران ، ولو أنصف المحبّ الولهان ، لأضرمت في جسمه نيران الأحزان ، واشتعلت في قلبه حرارة الأشجان .

ولو صدق في المحبّة العُشّاق ، لما شحّوا بالدمع المهراق ، ولعجّلوا السماح بالأرواح يوم التلاق ، ولو تلفت نفس من شدّة الأحزان ، لتلفت نفس محبّيهم عليهم ، ولو تفتّت كبد من شدّة الأشجان ، لتفتّتت أكباد مواليهم بالنسبة إليهم .

وهيهات هيهات لا وفاء للأحياء بعد الممات ، أو ما بلغكم أنّ مولاكم الحسين جعل نفسه فداءكم ، وقبل الشهادة لتكون وقاءكم ، حتّى إنّ الباكي عليه لا يبقى عليه ذنب صغيراً كان أو كبيراً ، جليلاً كان أو حقيراً .

أما بلغكم أنّ كلّ جزع في المصائب قبيح إلّا على ساداتكم ، والأسف على الفائت مذموم عند العقلاء إلّا على هداتكم ، وكلّ هلع شنيع عند أرباب العقول ، إلّا على أئمّتكم آل الرسول .

فيا ليت لفاطم وأبيها الرسول ، وبعلها عليّ الليث الصؤول ، عيناً تنظر إلى ما صنع بمهج قلوبهم ، وأنوار أبصارهم ، وثمر فؤادهم ، ما بين مسلوب وجريح ، ومسموم

وذبيح ، وقتيل وطريح ، ومشقّقات للجيوب ، ومفجوعات لقتل المحبوب ، شاكيات بين يدي علّام الغيوب ، ناشرات للشعور ، بارزات من الخدور ، لاطمات للخدود ، فاقدات الآباء والأبناء والجدود .

فيا لها حسرة لا تنقضي أبداً ، وحزناً مجدّداً على طول المدى .

فليت تراباً حال دونك لم يحل ... وساتر وجهٍ منك ليس بساتر
لتنظر ما لاقى الحسين وما جنت ... عليه العدا من مفظعات الزواجر
من ابن زياد وابن هند وامرة ... ابن سعد وأبناء الإماء العواهر
رموه بيحموم الأديم غطامط ... تعيد الحصا رفغاً بوقع الحوافر
لهام فلا فرع النجوم بمسبل ... عليه ولا وجه الصباح بسافر
فيالك مقتولاً تهدّمت العلى ... وثلّث به أركان عرش المفاخر
ويا ليتني إذ لم أكن في أوائل ... من الناس يتلى ذكرهم في الأواخر
فأنصر قوماً إن يكن فات نصرهم ... لدى الروع خطّاري فما فات خاطري
عجبت لأطواد الأخاشيب لم تمد ... ولا أصبحت غوراً مياه الكوافر
وللشمس لم تكسف وللبدر لم يحل ... وللشهب لم تقذف بأشأم طائر
أما كان في رزء ابن فاطم مقتضٍ ... هبوط رواس أو كسوف زواهر
ولكنّما غدر النفوس سجيّة لها ... وعزيز صاحبه غير غادر
بني الوحي هل أبقى الكتاب لناظم ... مقالة مدح فيكم أو لناشر
إذا كان مولى الشاعرين وربّهم ... لكم بانياً مجداً فما قدر شاعر
فأُقسم لولا أنّكم سُبل الهدى ... لضلّ الورى عن لاحب النهج عابر
ولو لم تكونوا في البسيطة زلزلت ... وخرّب من أرجائها كلّ عامر

سـامنحكم مـنّي مـودّة وامـق يغضّ قليّ عن غيركم طرف هاجر[1]

روى ابن قولويه في «الكامل» بإسناد معتبرعن زائدة عن عليّ بـن الحسـين زيـن العابدين عليه السلام ، قال: «إنّه لمّا أصابنا بالطفّ ما أصابنا ، وقُتل أبي عليه السلام ، وقُتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله ، وحُملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يـراد بـنا الكـوفة ، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا فيعظم ذلك في صدري ، ويشتدّ لمـا أرى مـنهم قلقي ، فكادت نفسي تخرج ، وتبيّنت ذلك منّي عمّتي زينب بنت عليّ الكبرى ، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة الأبرار ، يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي ؟

فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد رأيت سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مصرّعين بدمائهم ، مرمّلين بالعراء ، مسلّبين ، لا يكفّنون ولا يوارون ، ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر ، كأنّهم أهل بيت من الديلم والخزر.

فقالت: لا يجزعنّك ما ترى ، فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدّك وأبيك وعمّك ، ولقد أخذ الله ميثاق أُناس من هذه الأمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض ، وهـم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المـتفرّقة فـيوارونـها ، وهـذه الجسوم المضرّجة فيدفنونها ، وينصبون بـهذا الطـفّ عـلماً لقـبر أبـيك سـيّد الشـهداء لا يُدرس أثره ، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيّام ، وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً ، وأمره إلّا علوّاً.

فقلت: وما هذا العهد ، وما هذا الخبر ؟

فقالت: حدّثتني أمّ أيمن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيّام ، فعملت له عليها السلام حريرة ، وأتاه عليّ عليه السلام بطبق فيه تمر .

ثمّ قالت أمّ أيمن: فأتيتهم بعسّ فيه لبن وزبد ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفـاطمة

---

(١) الروضة المختارة (شرح العلويّات السبع) /ابن أبي الحديد المعتزلي: ١٢٩ .

والحسن والحسين: من تلك الحريرة ، وشرب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وشربوا من ذلك اللبن ، ثمّ أكل وأكلوا من ذلك التمر والزبد ، ثمّ غسل رسول الله صلى الله عليه وآله يده وعليّ عليه السلام يصبّ عليه الماء .

فلمّا فرغ من غسل يده ، مسح وجهه ثمّ نظر إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام نظراً عرفنا فيه السرور في وجهه . ثمّ رمى(١) بطرفه نحو السماء مليّاً ، ثمّ وجّه وجهه نحو القبلة وبسط يديه يدعو ، ثمّ خرّ ساجداً وهو ينشج(٢) فأطال النشيج وعلا نحيبه ، وجرت دموعه .

ثمّ رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنّها صوب المطر ، فحزنت فاطمة وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام وحزنت معهم لمّا رأينا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وهبناه أن نسأله .

حتّى إذا طال ذلك ، قال له عليّ عليه السلام وقالت فاطمة عليها السلام : ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك ! فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك ؟

فقال: يا أخي ، سررت بكم سروراً ما سررت مثله قطّ ، وأنّي لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته علَيَّ فيكم ؛ إذ هبط علَيَّ جبرئيل فقال: يا محمّد ، إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع على ما في نفسك ، وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك ، فأكمل لك النعمة ، وهنّأك العطيّة ، بأن جعلهم وذرّيّاتهم ومحبّيهم وشيعتهم معك في الجنّة ، لا يفرّق بينك وبينهم ، يحبون كما تحبى ، ويعطون كما تعطى حتّى ترضى وفوق الرضا ، على بلوىً كثيرة تنالهم في الدنيا ، ومكاره تصيبهم بأيدي أُناس ينتحلون ملّتك ، ويزعمون أنّهم من أُمّتك ، براء من الله ومنك ، خبطاً خبطاً(٣) ، وقتلاً قتلاً ، شتّى مصارعهم ، نائية قبورهم ، خيرة من الله

(١) رمى ببصره : أي نظر . (منه) .

(٢) نشج الباكي ينشج ـ بالكسر ـ نشجاً : إذا غصّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب . (منه) .

(٣) خبطه يخبطه : ضربه شديداً .

لهم ولك فيهم ، فاحمد الله جلّ وعزّ على خيرته ، وارض بقضائه ، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم .

ثمّ قال جبرئيل : يا محمّد ، إنّ أخاك مضطهد بعدك ، مغلوب على أُمّتك ، متعوب من أعدائك ، ثمّ مقتول من بعدك ، يقتله شرّ الخلق والخليقة ، أشقى البريّة ، نظير عاقر الناقة ، ببلد تكون إليه هجرته ، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده ، وفيه على كلّ حال تكثر بلواهم ، وتعظم مصائبهم .

وأنّ سبطك هذا ـ وأومى بيده إلى الحسين عليه السلام ـ مقتول في عصابة من ذرّيّتك وأهل بيتك ، وأخيار من أُمّتك بضفة[1] الفرات ، بأرض تدعى كربلاء ، من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذرّيّتك في اليوم الذي لا ينقضي كربه ، ولا تفنى حسرته ، وهي أطهر بقاع الأرض ، وأعظمها حرمة ، وأنّها لمن بطحاء[2] الجنّة .

فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله ، وأحاطت بهم كتائب أهل الكفر واللعنة ، تزعزعت[3] الأرض من أقطارها ، ومادت الجبال ، وكثر اضطرابها ، واصطفقت[4] البحار بأمواجها ، وماجت السماء بأهلها ، غضباً لك يا محمّد ولذرّيّتك ، واستعظاماً لما ينتهك من حرمتك ، ولشرّ ما تكافأ به في ذرّيّتك وعترتك ، ولا يبقى شيء من ذلك إلّا استأذن الله عزّ وجلّ في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجّة الله على خلقه بعدك ، فيوحي الله إلى السماوات والأرض ، والجبال والبحار ، ومن فيهنّ أنّي أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب ، ولا يعجزه ممتنع ، وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام .

---

(١) ضفة النهر ـ بالكسر ـ : جانبه .

(٢) البطحاء : الأرض المستوية ، والمراد أنّ أرض كربلاء زيدت شرفاً من أراضي الجنّة .

(٣) التزعزع : التحرّك ، وكذا الميد . (منه) .

(٤) الاصطفاق : الاضطراب . (منه) .

وعزّتي وجلالي ، لأعذّبنّ من وتر[١] رسولي وصفيّي ، وانتهك حرمته ، وقتل عترته ، ونبذ عهده ، وظلم أهله ، عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين ، فعند ذلك يضجّ كلّ شيء في السماوات والأرضين بلعن من ظلم عترتك ، واستحلّ حرمتك ، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولّى الله جلّ وعزّ قبض أرواحها بيده ، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من الياقوت والزمرد مملوّة من ماء الحياة ، وحلل من حلل الجنّة ، وطيب من طيب الجنّة ، فغسّلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها[٢] الحلل ، وحنّطوها بذلك الطيب ، وصلّى الملائكة عليهم صفّاً صفّاً ، ثمّ يبعث الله قوماً من أمّتك لا يعرفهم الكفّار ، لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نيّة ، فيوارون أجسامهم ، ويقيمون رسماً على قبر سيّد الشهداء بتلك البطحاء ، يكون علماً لأهل الحقّ وسبباً للمؤمنين إلى الفوز ، وتحفّه ملائكة ، من كلّ سماء مائة ألف ملك في كلّ يوم وليلة يصلّون عليه ، ويسبّحون الله عنده ، ويستغفرون الله لزوّاره ، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمّتك متقرّباً إلى الله وإليك بذلك ، وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم ، ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله: هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء.

فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار ، يدلّ عليهم ويعرفون به ، وكأنّي بك يا محمّد بيني وبين ميكائيل وعليّ أمامنا ، ومعنا من ملائكة الله ما لا يحصى عددهم ، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتّى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده ، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمّد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك لا يريد به غير الله عزّ وجلّ ، وسيجدّ أناس ممّن حقّت عليهم من الله اللعنة والسخط أن يعفوا رسم ذلك القبر ويمحوا أثره ، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً.

---

(١) الموتور: الذي قُتل له قتيل فلم يدرك بدمه . (منه) .

(٢) الضمير في «ألبسوها» يرجع إلى العصابة .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : فهذا أبكاني وأحزنني.

قالت زينب: فلمّا ضرب ابن ملجم (لعنه الله) أبي عليه السلام ورأيت أثر الموت منه ، قلت له: يا أبه ، حدّثتني أمّ أيمن بكذا وكذا ، وقد أحببت أن أسمعه منك ؟

فقال: يا بنيّة ، الحديث كمّا حدّثتك أمّ أيمن ، وكأنّي بك وبنيّات أهلك سبايا بهذا البلد ، أذلّاء خاشعين ، تخافون أن يتخطّفكم النّاس ، فصبراً صبراً ، فوالذي فلق الحبّة ، وبرء النسمة ، ما على ظهر الأرض يومئذٍ وليّ غيركم وغير محبّيكم وشيعتكم ، ولقد قال لنا رسول الله ﷺ حين أخبرنا بهذا الخبر أنّ إبليس في ذلك اليوم يطير فرحاً ، فيجول الأرض كلّها في شياطينه وعفاريته فيقول: يا معشر الشياطين ، قد أدركنا في ذرّيّة آدم الطلبة ، وبلغنا في هلاكهم الغاية ، وأورثناهم النّار ، إلّا من اعتصم بهذه العصابة ، فاجعلوا شغلكم بتشكيك النّاس فيهم ، وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وبأوليائهم ، حتّى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم ، ولا ينجو منهم ناج ، ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه ، وهو كذوب ، إنّه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح ، ولا يضرّ مع محبّتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر.

قال زائدة: ثمّ قال عليّ بن الحسين عليه السلام بعد أن حدّثني بهذا الحديث: **خذه إليك ، أما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً**»[١].

وروى الصدوق وابن شهرآشوب ، عن الحسن البصري وأمّ سلمة: «إنّ الحسن والحسين عليهما السلام دخلا على رسول الله ﷺ وبين يديه جبرئيل ، فجعلا يدوران حوله يشبّهانه بدحية الكلبي ، فجعل جبرئيل يومئ بيده كالمتناول شيئاً ، فإذا في يده تفاحة وسفرجلة ورمّانة ، فناولهما ، فتهلّلت وجوههما وسعيا إلى جدّهما ، فأخذها منهما فشمّهما ، ثمّ قال: **صيرا إلى أمّكما بما معكما ، وبدؤكما بأبيكما أعجب** ، فصارا

(١) كامل الزيارات: ٤٤٥ ـ ٤٤٨ ، الحديث ٦٧٤ .

كما أمرهما ، فلم يأكلوا حتّى صار النبيّ صلى الله عليه وآله إليهم ، فأكلوا جميعاً ، فلم يزل كلّما أكل منه عاد إلى ما كان ، حتّى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الحسين عليه السلام : **فلم يلحقه التغيير والنقصان أيّام فاطمة بنت رسول الله عليها السلام حتّى توفّيت ، فلمّا توفّيت فقدنا الرمان وبقي التفاح والسفرجل أيّام أبي ، فلمّا استشهد أمير المؤمنين فُقِدَ السفرجل وبقي التفّاح على هيئته عند الحسن حتّى مات في سمّه ، وبقيت التفاحة إلى الوقت الذي حوصرت عن الماء ، فكنت أشمّها إذا عطشت فيسكن لهب عطشي ، فلمّا اشتدّ عليَّ العطش عضضتها وأيقنت بالفناء.**

قال عليّ بن الحسين عليه السلام : **سمعته يقول ذلك قبل مقتله بساعة ، فلمّا قضى نحبه** عليه السلام **وُجد ريحها في مصرعه ، فالتمست فلم يُر لها أثر ، فبقي ريحها بعد الحسين** عليه السلام **، ولقد زرت قبره فوجدت ريحها يفوح من قبره ، فمن أراد ذلك من شيعتنا الزائرين للقبر فليلتمس ذلك في أوقات السحر ، فإنّه يجده إذا كان مخلصاً»**(١) .

وروى ابن شهرآشوب عن برّة ابنة أُميّة الخزاعي ، قالت : لمّا حملت فاطمة عليها السلام بالحسن عليه السلام خرج النبيّ صلى الله عليه وآله في بعض وجوهه ، فقال لها : «**إنّك ستلدين غلاماً قد هنّأني به جبرئيل ، فلا ترضعيه حتّى أصير إليك**» .

قالت : فدخلت على فاطمة عليها السلام حين ولدت الحسن عليه السلام وله ثلاث ما أرضعته ، فقلت لها : أعطينيه حتّى أرضعه ؟

قالت : كلّا ، ثمّ أدركتها رقّة الأمّهات فأرضعته .

فلمّا جاء النبيّ صلى الله عليه وآله قال لها : «**ماذا صنعت ؟**» .

قالت : «**أدركتني عليه رقّة الأمّهات فأرضعته**» .

---

(١) لم نجده في كتب الصدوق التي بين أيدينا . مناقب ابن شهرآشوب : ١٦١/٣ . روضة الواعظين : ١٥٩ . مدينة المعاجز : ٤٩/٤ ، الحديث ١٠٧٩ . بحار الأنوار : ٤٥/ ٩١ ، الحديث ٣ .

فقال: «**أبى الله عزّ وجلّ إلّا ما أراد**».

فلمّا حملت بالحسين عليه السلام قال لها: «**يا فاطمة، إنّك ستلدين غلاماً قد هنّأني به جبرئيل، فلا ترضعيه حتّى أجيء إليك، ولو أقمت شهراً**».

قالت: «**أفعل ذلك**»، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض وجوهه فولدت فاطمة الحسين، فما أرضعته حتّى جاء رسول الله فقال لها: «**ماذا صنعت؟**».

قالت: «**ما أرضعته**».

فأخذه فجعل لسانه في فمه، فجعل الحسين عليه السلام يمصّه حتّى قال له النبيّ: «**إيهاً حسين إيهاً حسين**» ثمّ قال: «**أبى الله إلّا ما يريد، هي فيك وفي ولدك**»، يعني الإمامة»[1].

ولله درّ السيّد السند، العالم العلّامة، والفاضل الفهّامة، السيّد محسن رحمه الله:

دموع بدا فوق الخدود خدودها	ونار غدا بين الضلوع وقودها
أتملك سادات الأنام عبيدها	وتخضع في أسر الكلاب أُسودها
وتبتزّ أولاد النبيّ حقوقها	جهاراً وتدمى بعد ذاك خدودها
ويمسي حسين شاحط الدار دامياً	يعفّره في كربلاء صعيدها
وأُسرته صرعى على الترب حوله	يطوف بهم نسر الفلاة وسيدها
قضوا عطشاً يا للرجال ودونهم	شرائع لكن ما أُبيح ورودها
غدوا نحوهم من كلّ فجّ يقودهم	على حنق جبّارها وعنيدها
يجرّون أطراف العواسل والضبا	فما كان إلّا في الصدور ورودها
يعزّ على المختار أحمد أن يرى	عداها عن الورد المباح تذودها

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢٠٩/٣. بحار الأنوار: ٢٥٤/٤٣. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٢٢.

تموت ظماً شبّانها وكهولها ويفحص من حرّ الأوام وليدها

تمزّق ضرباً بالسيوف جسومها وتسلب عنها بعد ذاك برودها

وتترك في حرّ الهجير على الثرى ثلاث ليال لا تشقّ لحودها

وتهدى إلى نحو الشئام رؤوسها وينكثها بالخيزران يزيدها

أتضربها شلّت يمينك أنّها وجوه لوجه الله طال سجودها

وتسبى على عجف النياق نساؤها وتسلبُ من تلك النحور عقودها

ويُسرى بزين العابدين مكبّلاً تحاذيه بالسير العنيف قيودها

بنفسي أغصان ذوت بعد بهجة وأقمار تمّ قد تولّت سعودها

وفتيان صدق لا يضام نزيلها وأسياف هند لا تفلّ حدودها

حدا بهم الحادي فتلك ديارهم طوامس ما بين الديار عهودها

كأن لم يكن فيها أنيس ولم تكن تروح لها من كلّ أوب وفودها

أبا حسن يا خير من وطئ الثرى وسارت به قبّ المهادي وقودها

أتدفع يامولى الورى عن مناصب الـ ـخلافة عدواناً وأنت عميدها

وتمنع من ميراث أحمد فاطم ويضربها الطاغي وأنت شهيدها

وكيف تمادى الأمر حتّى رقا لها من ابن صهاك فضّها وكنوزها

وصيّرها شورى خداعاً وغيلة فيا لك شورى ما أُطيع رشيدها

وما لابنة التيميّ والبيض والقنا وقطع الفيافي والجيوش تقودها

وأين بنو سفيان من ملك أحمد وقد تعست في الغابرين جدودها

ألا يابن هند لاسقى الله تربةً ثويت بمثواها ولا اخضرّ عودها

أتغصب جلباب الخلافة هاشماً وتطردها عنها وأنت طريدها

وتقضي بها ويل لأمّك قسوةً إلى فاجر قامت عليه شهودها

فوا عجباً حتّى يزيد ينالها … وهل دأبه إلّا المدام وعودها

وواحزنا ممّا جرى لمحمّد … وعترته من كلّ أمر يكيدها

يسوّدها الرحمان جلّ جلاله … وتأبى شرار الخلق ثمّ تسودها

فما عرفت تالله يوماً حقوقها … ولا رعيت في الناس يوماً عهودها

وما قتل السبط الشهيد ابن فاطم … لعمرك إلّا يوم ردّت شهودها

يميناً بربّ النهي والأمر ما أتت … بما قد أتوه عادها وثمودها

أيستحلون الدين دين محمّد … وإن هم لعمر الله إلّا يهودها

وما أن أرى يطفى الجوى غير دولة … تدين لها في الشرق والغرب سيدها

أما والذي لا يعلم الغيب غيره … لئن ذهبت يوماً فسوف يعيدها

وتقدم من أرض الحجاز جنودها … وتخفق في أرض العراق بنودها

فعجّل فدتك النفس إنّ قلوبنا … يزيد على مرّ الليالي وقودها

فتلك حدود الله في كلّ وجهة … معطّلة ما أن تقام حدودها

عليكم سلام الله ما انسكب الحيا … وأبقلت الأرضون واخضرّ عودها



المجلس الثاني عشر

أيّها الإخوان المؤمنون ، والأُمناء المخلصون ، ألم تسمعوا بمصاب آل الرسـول ، وأولاد الزهـراء البتول ، أم سـمعتم وأنـتم غـافلون ، وبـإهراق الدمـوع مـتباخلون ، وبـاللذّات الفـانية مشـغولون ، وبـالأهل والأولاد مشـتغلون ، ليس هـذا مـن فـعل المحبّين ، ولا من دأب المريدين .

كيف لا وهم أُمناء الرحمن ، ومن شهد بفضلهم القرآن ، وبكى عليهم كلّ مخلوق كان ، والمخدومون بالملائكة الكرام ، والمـباهي بـفضلهم النـبيّ عـليه وآله الصـلاة والسلام ، وقد تركوا بين مقتول بالسمّ ، وشهيد مضرّج بالدم ، وفقيد لا يُعرف قبره ، وإلى أي شيء آل أمره ، وبين رأس على سنان ، وبدن بغير رأس بـين الأبـدان ، وبـين شيبة بالدماء مخضوبة ، وبـنت لرسـول الله مسـلوبة ، وحـرمة لرسـول الله مـهتوكة ، وطريدة بالعلل منهوكة .

فيا شوهاً لطوائف الأدعياء ، ويا قبحاً لأُولئك الأشقياء .

كيف ترونهم ينظر إليهم النبيّ ؟ أو يسقيهم من الحوض الوصي ؟

وكيف بهم إذا أتت بنت خير الثقلين ؟ مصبوغة ثـيابها بـدم الحسـين ، وتـعلّقت بقائمة العرش وهي تقول : يا عدل يا حكيم ، احكم بيني وبين قـاتل ولدي ، هـنالك حقّت عليهم كلمة العذاب .

ولله درّ من قال[١]:

أمخاطب الأذياب في فلواتها	**ومكلّم الأموات في رمس البلى**
يا ليت في الأحياء شخصك لائحٌ	**وحسين مطروح بعرصة كربلا**
عُريان يكسوه الصعيد ملابساً	**أفديه مسلوب اللباس مسربلا**
مُتوسّداً حرّ الصخور معفّراً	**بدمائه ترب الجبين مرمّلا**
ظمآن مجروح الجوارح لم يجد	**ممّا سوى دمه المبدّد منهلا**
أفدي الأسير وليت خدّي موطئاً	**كانت له بين المحامل محملا**
ومن العجائب أن تقاد أُسودها	**أسرى وتفترس الكلاب الأشبلا**

وروى ثقة الإسلام في «**الكافي**» بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «**لم يرضع الحسين من فاطمة ولا من أُنثى، كان يؤتى به النبيّ صلى الله عليه وآله فيضع إبهامه في فيه فيمصّ منها ما يكفيه اليومين والثلاثة، فنبت لحم الحسين من لحم رسول الله ودمه، ولم يولد لستّة أشهر إلّا عيسى بن مريم عليه السلام والحسين بن عليّ عليه السلام**»[٢].

وفي رواية أُخرى عن الرضا عليه السلام: «**إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يؤتى بالحسين عليه السلام إليه فيلقمه لسانه، فيمصّه، فيجتزي به ولم يرضع من أُنثى**»[٣].

وروى الصدوق بإسناد معتبر عن ابن عبّاس، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إنّ الله تبارك وتعالى ملكاً يقال له دردائيل كان له ستّة عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى**

---

(١) هو أبو الحسن علاء الدين الشيخ عليّ بن الحسين الحلّي الشهيفي، وقد تقدّمت ترجمته مع قصيدته هذه، فلاحظ هناك.

(٢) الكافي: ١/٤٦٤، الحديث ٤.

(٣) الكافي: ١/٤٦٤، ذيل الحديث ٤.

الجناح هواء ، والهواء كما بين السماء والأرض ، فجعل يوماً يقول في نفسه : أفوق ربّنا جلّ جلاله شيء ، فعلم الله تبارك وتعالى ما قال ، فزاده أجنحة مثلها ، فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح .

ثمّ أوحى الله عزّ وجلّ إليه : أن طِرْ ، فطار مقدار خمسمائة عام ، فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش ، فلمّا علم الله عزّ وجلّ أتعابه ، أوحى إليه : أيّها المَلك ، عد إلى مكانك ، فأنا عظيم فوق كلّ عظيم ، وليس فوقي شيء ، ولا أُوصف بمكان ، فسلبه الله أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة .

فلمّا ولد الحسين بن عليّ صلوات الله عليهما ، وكان مولده عشيّة الخميس ليلة الجمعة أوحى الله إلى مالك خازن النّار : أن أخمد النيران على أهلها لكرامة مولود ولد لمحمّد صلى الله عليه وآله .

وأوحى الله إلى رضوان خازن الجنان : أن زخرف الجنان وطيّبها لكرامة مولود ولد لمحمّد صلى الله عليه وآله في دار الدنيا .

وأوحى إلى الحور العين : تزيّنّ وتزاورن لكرامة مولود ولد لمحمّد صلى الله عليه وآله في دار الدنيا .

وأوحى الله إلى الملائكة : أن قوموا صفوفاً بالتسبيح والتحميد والتمجيد والتكبير لكرامة مولود ولد لمحمّد صلى الله عليه وآله في دار الدنيا .

وأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل : أن اهبط إلى نبيّي محمّد صلى الله عليه وآله في ألف قبيل ، في القبيل ألف ألف ملك من الملائكة ، على خيول بلق مسرجة ملجمة ، عليها قباب الدرّ والياقوت ، معهم ملائكة يقال لهم : الروحانيّون ، بأيديهم أطباق من نور أن هنّوا محمّداً بمولوده ، وأخبره يا جبرئيل إنّي قد سمّيته الحسين ، وعزّه وقل له : يا محمّد ، تقتله شرار أُمّتك على شرار الدوابّ ، فويل للقاتل ، وويل للسائق ، وويل للقائد ، قاتل الحسين عليه السلام أنا منه بريء وهو منّي بريء ؛ لأنّه لا يأتي أحد يوم القيامة إلّا وقاتل الحسين أعظم جرماً منه . قاتل الحسين يدخل النّار يوم القيامة مع الذين يزعمون أنّ مع الله إلـهاً آخر ،

والنّار أشوق إلى قاتل الحسين ممّن أطاع الله إلى الجنّة .

قال: فبينا جبرئيل يهبط من السماء إلى الأرض إذ مرّ بدردائيل ، فقال له دردائيل: يا جبرئيل ، ما هذه الليلة في السماء ، هل قامت القيامة على أهل الدنيا ؟

قال: لا ، ولكن ولد لمحمّد ﷺ مولود في دار الدنيا ، وقد بعثني الله عزّ وجلّ إليه لأهنّيه بمولوده .

فقال الملك له: يا جبرئيل ، بالذي خلقك وخلقني إن هبطت إلى محمّد فاقرأه منّي السلام وقل له: بحقّ هذا المولود عليك إلّا ما سألت الله ربّك أن يرضى عنّي ، ويردّ عليَّ أجنحتي ومقامي من صفوف الملائكة ، فهبط جبرئيل على النبيّ ﷺ وهنّأه كما أمره الله عزّ وجلّ ، وعزّاه.

فقال النبيّ ﷺ : تقتله أُمّتي ؟ !

قال: نعم .

فقال النبيّ ﷺ : ما هؤلاء بأُمّتي ، أنا بريء منهم ، والله بريء منهم ، قال جبرئيل: وأنا منهم بريء يا محمّد.

فدخل النبيّ ﷺ على فاطمة عليها السلام وهنّأها وعزّاها ، فبكت فاطمة وقالت: يا ليتني لم ألده ، قاتل الحسين في النّار ، قال النبيّ: وأنا أشهد بذلك يا فاطمة ، ولكنّه لا يقتل حتّى يكون منه إمام تكون منه الأئمّة الهادية بعده .

ثمّ قال ﷺ : الأئمّة بعدي الهادي عليّ ، المهتدي الحسن ، الناصر الحسين ، المنصور عليّ بن الحسين ، الشافع محمّد بن علي ، النفّاع جعفر بن محمّد ، الأمين موسى بن جعفر ، الرضا عليّ بن موسى ، الفعّال محمّد بن عليّ ، المؤتمن عليّ بن محمّد ، العلّام الحسن بن عليّ ، ومن يصلّي خلفه عيسى بن مريم ، فسكنت فاطمة عليها السلام عن البكاء ، ثمّ أخبر جبرئيل النبيّ ﷺ بقضيّة الملك وما أُصيب به »

قال ابن عبّاس: فأخذ النبيّ ﷺ الحسين عليه السلام وهو ملفوف في خرق من صوف ،

فأشار به إلى السماء، ثمّ قال: **«اللّهمّ بحقّ هذا المولود عليك، لا بل بحقّك عليه، وعلى أجداده محمّد وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب إن كان للحسين بن فاطمة عندك قدر فارض عن دردائيل، وردّ عليه أجنحته ومقامه في صفوف الملائكة»**، فاستجاب الله دعاءه، وغفر للملك، والملك لا يعرف في الجنّة إلّا بأن يقال: هذا مولى الحسين بن عليّ ابن رسول الله ﷺ(١).

وروى الصدوق في **«الأمالي»** عن زيد الشحّام، عن الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه، قال: **«مرض النبيّ ﷺ المرضة التي عوفي منها، فعادته فاطمة عليها السلام ومعها الحسن والحسين عليهما السلام، قد أخذت الحسن بيدها اليمنى، وأخذت الحسين بيدها اليسرى، وهما يمشيان وفاطمة بينهما حتّى دخلوا منزل عائشة، فقعد الحسن عن جانب رسول الله الأيمن، والحسين على جانبه الأيسر، وأقبلا يغمزان ما بينهما من بدن رسول الله ﷺ، فما أفاق رسول الله من نومه.**

فقالت فاطمة للحسن والحسين: حبيبيّ، إنّ جدّكما قد غفا فانصرفا ساعتكما هذه ودعاه حتّى يفيق فترجعان إليه.

فقالا: لسنا ببارحين في وقتنا، فاضطجع الحسن على عضد النبي الأيمن، والحسين على عضده الأيسر، فغفيا وانتبها قبل أن ينتبه النبيّ ﷺ، وقد كانت فاطمة لمّا ناما انصرفت إلى منزلها، فقالا لعائشة: ما فعلت أمّنا؟

قالت: لمّا نمتما رجعت إلى منزلها، فخرجا في ليلة مظلمة مدلهمّة ذات رعد وبرق، وقد أرخت السماء عزاليها، فسطع لهما نورٌ فلم يزالا يمشيان في ذلك النور والحسن قابض بيده اليمنى على يد الحسين اليسرى، وهما يتماشيان ويتحادثان حتّى أتيا حديقة بني النجّار، فلمّا بلغا الحديقة حارا فبقيا لا يعلمان أين يأخذان.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٨٢، الحديث ٣٦.

فقال الحسن للحسين: إنّا قد حرنا وبقينا على حالتنا هذه، وما ندري أين نسلك، فلاعليك أن ننام في وقتنا حتّى نصبح.

فقال له الحسين: دونك يا أخي، فافعل ما ترى، فاضطجعا جميعاً، واعتنق كلّ واحد منهما صاحبه وناما، وانتبه النبيّ ﷺ من نومته التي نامها فطلبهما في منزل فاطمة، فلم يكونا فيه، وافتقدهما فقام على رجليه قائماً وهو يقول: إلٰهي هذان شبلاي خرجا من المخمصة والمجاعة، اللّهمّ أنت وكيلي عليهما.

وفي رواية: [اللّهمّ إن كانا أخذا في البرّ فاحفظهما، وإن كانا أخذا في البحر فسلّمهما، فهبط جبرئيل فقال: يا أحمد، لا تغتمّ ولا تحزن، هما فاضلان في الدنيا فاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما، وهما في حديقة بني النجّار][1]، فسطع للنبيّ ﷺ نور، فلم يزل يمضي في ذلك النور حتّى أتى حديقة بني النجّار، فإذا هما نائمان قد اعتنق كلّ منهما صاحبه، وقد تقشّعت السماء فوقهما كطبق فهي تمطر كأشدّ مطر، مطراً ما رآه الناس قطّ، وقد منع الله عزّ وجلّ عنهما المطر في البقعة التي هما فيها نائمان لا تمطر عليهما قطرة، وقد اكتنفتهما حيّة لها شعرات كآجام القصب، وجناحان؛ جناح قد غطّت الحسن وجناح قد غطّت الحسين، فلمّا أن بصر بها النبيّ ﷺ تنحنح فانسابت الحيّة وهي تقول: اللّهمّ إنّي أُشهدك وأُشهد ملائكتك أنّ هذين شبلا نبيّك قد حفظتهما عليه، ودفعتهما إليه سالمَين صحيحَين.

فقال لها النبيّ ﷺ: أيّتها الحيّة، فمن أنتِ؟

قالت: أنا رسول الجنّ إليك.

قال: وأيّ الجنّ؟

قالت: جنّ نصيبين نفر من بني مليح نسينا آيةً من كتاب الله عزّ وجلّ، فبعثوني إليك

(١) ما بين المعقوفين في كشف الغمّة: ١٤٧/٢.

لتعلّمنا ما نسينا من كتاب الله ، فلمّا بلغت هذا الموضع سمعت منادياً يُنادي : أيّتها الحيّة ، هذان شبلا رسول الله فاحفظيهما من العاهات والآفات ، ومن طوارق الليل والنهار ، فقد حفظتهما وسلّمتهما إليك صحيحَين سالمَين . وأخذت الحيّة الآية فانصرفت ، وأخذ النبيّ الحسن فوضعه على عاتقه الأيمن ، ووضع الحسين على عاتقه الأيسر وخرج عليّ عليه السلام فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال له بعض أصحابه : بأبي أنت وأمّي ، ادفع إليّ أحد شبليك أُخفّف عنك ؟

فقال له : قد سمع الله قولك ، وعرف مقامك ، فتلقّاه آخر فقال له : بأبي أنت وأمّي ، ادفع إليّ أحد شبليك أُخفّف عنك ؟

فقال له : قد سمع الله قولك وعرف مقامك ، فتلقّاه عليّ عليه السلام ، فقال : بأبي أنت وأمّي ، ادفع إليّ أحد شبليك أُخفّف عنك ، فالتفت صلى الله عليه وآله إلى الحسن فقال : هل تمضي إلى كتف أبيك ؟

فقال له : والله يا جدّاه إنّ كتفك لأحبّ إليّ من كتف أبي .

ثم التفت إلى الحسين فقال : يا حسين ، هل تمضي إلى كتف أبيك ؟

فقال له : يا جدّاه إنّي أقول لك كما قال أخي الحسن : إنّ كتفك لأحبّ إليّ من كتف أبي ، فأقبل بهما إلى منزل فاطمة وقد ادّخرت لهما تميرات فوضعتهما بين أيديهما ، فأكلا وشبعا وفرحا »[١] .

وفي رواية « ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله : لأشرّفنهما اليوم بما شرّفهما الله تعالى ، فخطب فقال : أيّها النّاس ، ألا أُخبركم بخير النّاس جدّاً وجدّة ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : الحسن والحسين جدّهما رسول الله ، وجدّتهما خديجة بنت خويلد .

(١) أمالي الصدوق : ٥٢٨ ، الحديث ٧١٧ .

ألا أُخبركم أيّها الناس بخير النّاس أباً وأمّاً ؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين أبوهما عليّ بن أبي طالب ، وأُمّهما فاطمة بنت محمّد ﷺ .

ألا أُخبركم أيّها الناس بخير الناس عمّاً وعمّة ؟ عمّهما جعفر بن أبي طالب ، وعمّتهما أُمّ هاني بنت أبي طالب.

أيّها الناس ، ألا أُخبركم بخير الناس خالاً وخالة ؟ خالهما القاسم ابن رسول الله ، وخالتهما زينب بنت رسول الله.

ألا إنّ أباهما في الجنّة ، وأُمّهما في الجنّة ، وجدّهما في الجنّة ، وجدّتهما في الجنّة ، وعمّهما في الجنّة ، وعمّتهما في الجنّة ، وخالهما في الجنّة ، وخالتهما في الجنّة ، وهما في الجنّة ، ومن أحبّهما في الجنّة ، ومن أحبّ من أحبّهما في الجنّة»[1].

وروي أيضاً عن «النيشابوري في أماليه» عن الرضا عليه السلام ، قال: «عري الحسن والحسين وقد أدركهما العيد ، فقالا لأُمّهما: يا أُمّاه ، قد تزيّنوا صبيان المدينة إلّا نحن ، فما لكِ لا تزيّنينا ؟

فقالت لهما: يا قرّة عيني ، إن ثيابكما عند الخيّاط ، فإذا أتى زيّنتكما .

فلمّا كانت ليلة العيد أعادا القول على أُمّهما ، فبكت ورحمتهما ، فقالت لهما ما قالت في الأُولى ، فردّا عليها.

فلمّا أخذ الظلام قرع الباب قارع ، فقالت فاطمة: من هذا ؟

قال: أنا الخيّاط جئت بالثياب ، ففتحت الباب ، فإذا رجل ومعه من لباس العيد.

قالت فاطمة: فوالله لم أرَ رجلاً أهيب سمةً منه ، فناولها منديلاً مشدوداً ، ثمّ انصرف فدخلت فاطمة عليها السلام ففتحت المنديل فإذا فيها قميصان ودرّاعتان وسروالان ورداءان

---

(١) كشف الغمّة: ١٤٧/٢ . بحار الأنوار: ٣٠٢/٤٣ .

وعمامتان وخفّان أسودان معقبّان بحمرة ، فأيقظتهما وألبستهما ، ودخل رسـول الله ﷺ وهما مزيّنان ، فحملهما وقبّلهما.

ثمّ قال لفاطمة: رأيتِ الخيّاط ؟

قالت: نعم يا رسول الله ، والذي أنفذته من الثياب أتى بها.

قال: يا بنيّة ، ما هو خيّاط إنّما هو رضوان خازن الجنّة.

قالت فاطمة: فمن أخبرك يا رسول الله ؟

قال: ما عرج حتّى جاءني وأخبرني بذلك»(١).

وفي كتب بعض الأصحاب: **«إنّ الحسن والحسين عليهما السلام دخلا يوم عيد على حجرة جدّهما رسول الله ﷺ فقالا له: يا جدّاه ، اليوم يوم عيد وقد تزيّن أولاد العرب بـألوان اللباس ولبسوا جديد الثياب ، وليس لنا ثوب جديد ، قد توجّهنا لجنابك لنأخذ عيديّتنا منك ، ولا نريد سوى ثياب نلبسها ، فتأمّل النبيّ ﷺ حالهما وبكى ، ولم يكن عنده في البيت ثياب تليق بهما ، ولا أراد أن يمنعهما ويكسر خـاطرهما ، فـتوجّه إلى الحـضرة الأحديّة وقال: إلهي ، اجبر قلبهما وقلب أمّهما ، فنزل جبرئيل من السماء في تلك الحال ومعه حلّتان بيضاوان من حلل الجنّة ، فسرّ النبيّ ﷺ بذلك وقال: يا سيّدي شباب أهل الجنّة ، هاكما أثواباً خاطهما لكما خيّاط القدرة على قدر طولكما أتتكما مخيّطة من عالم الغيب ، فلمّا رأيا الخلع بياضاً قالا: يا جدّاه ، كيف هذا وجميع صبيان العـرب لابسـين ألوان الثياب ، فأطرق النبيّ ﷺ ساعة مفكّراً في أمرهما.**

فقال جبرئيل: يا محمّد ، طب نفساً ، وقرّ عيناً ، إنّ صابغ صبغة الله عزّ وجلّ يقضي لهما هذا الأمر ، ويفرّح قـلوبهما بـأي لون شـاءا ، فـأمر يـا مـحمّد بـإحضار الطشت والإبريق ، فأحضره فقال جبرئيل: يا رسول الله ، أنا أصبّ المـاء عـلى هـذه الخـلع ،

(١) مناقب آل أبي طالب: ١٦١/٣ . بحار الأنوار: ٢٨٩/٤٣ .

وأنت تفركهما بيديك فتصبغ بأي لون شاءا ، فوضع النبيّ حلّة الحسن في الطشت فأخذ جبرئيل يصبّ الماء ، ثمّ أقبل النبيّ على الحسن وقال له : **يا قرّة عيني ، بأيّ لون تريد حلّتك ؟**

فقال : **أُريدها خضراء** ، ففركها بيده في ذلك الماء ، فأخذت بقدرة الله لوناً أخضراً فائقاً كالزبرجد الأخضر ، فأخرجها النبيّ ﷺ وأعطاها الحسن ، فلبسها ، ثمّ وضع حلّة الحسين في الطشت ، فأخذ جبرئيل يصبّ الماء ، فالتفت النبيّ نحو الحسين عليه السلام وكان له من العمر خمس سنين وقال له : **يا قرّة عيني ، بأيّ لون تريد حلّتك ؟**

فقال الحسين عليه السلام : **يا جدّاه أُريدها تكون حمراء** ، ففركها النبيّ بيده فصارت حمراء كالياقوت الأحمر ، فلبسها الحسين عليه السلام ، فسرّ النبيّ ﷺ بذلك وتوجّه الحسن والحسين إلى أُمّهما فرحَين مسرورَين ، فبكى جبرئيل لمّا شاهد تلك الحال ، فقال النبيّ ﷺ : يا أخي جبرئيل ، في مثل هذا اليوم الذي فرح فيه ولداي تبكي وتحزن ، فبالله عليك إلّا ما أخبرتني لِمَ حزنت ؟

فقال جبرئيل : اعلم يا رسول الله إنّ اختيار ابنيك على اختلاف اللون ، فلا بدّ للحسن أن يسقوه بالسمّ ، ولا بدّ للحسين عليه السلام أن يقتلوه ويذبحوه ويخضب بدنه من دمه ، فبكى النبيّ وزاد حزنه لذلك »[١].

ولله درّ ابن حمّاد[٢] حيث يقول :

---

(١) بحار الأنوار : ٤٤ / ٢٤٥ ، الحديث ٤٥ . العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام : ١١٩ .

(٢) هو أبو الحسن عليّ بن حمّاد بن عبيدالله بن حمّاد العدوي البصري . علم من أعلام الشيعة ، وفذ من علمائها ، ومن صدور شعرائها ، ومن حفظة الحديث المعاصرين للشيخ الصدوق ونظرائه ، ومن ناشري ألوية الشعر وعاقدي بنوده ومنظّمي صفوفه . وهو من المكثرين في أهل البيت عليهم السلام مدحاً ورثاءً ، ولقد أكثر وأطاب وجاهر بمديحهم ، وأذاع حتّى عدّه ابن شهرآشوب في المجاهرين من شعرائهم . معالم العلماء: ١٨١ . ⇦

هـنّ بـالعيد إن أردت سوائـي ... أيّ عـيد لمستباح العـزاء
إنّ في مأتمي عـن العيد شغلاً ... فـاله عـنّي وخـلّني بشجائي
فـإذا النـاس عـيّدوا بسـرور ... كـان عـيدي بـزفرة وبكـاء
وإذا جـدّدوا الابـزّة جـدّدت ... ثـياباً مـن لوعـة وضـناء
وإذا أدمـنوا الشـراب فشـربي ... مـن دمـوع مـمزوجة بـدماء
وإذا اسـتشعروا الغـناء فـنوحي ... وعـويلي عـلى الحسين غـنائي
وقـليل لو متّ هـمّاً ووجـداً ... لمـصاب الغـريب فـي كـربلاء
أيـهنا بـعيده مـن مـواليـه ... أبـادتهم يـد الأعـداء
آه يا كربلا كـم فـيك مـن كـرب ... لنـفس شـجيّة وبـلاء
ءألذّ الحـياة بـعد قـتيل الـ ... ـطفّ ظلماً إذاً لقـلّ حـيائي
كـيف ألتـذّ شـرب مـاء وقـد ... جرّع كأس الردى بكرب الظماء
كـيف لا أسـلبُ العـزاء إذا مـا ... أنـا مـثّلته سـليب الرداء
كيف لا تسكب الدموع جـفوني ... بـعد تـضريج شـيبة بـالدماء
تطأ الخيل جسـمه فـي ثـرى الـ ... ـطفّ وجسمي يلتذّ لين الوطـاء
بأبي زيـنب وقـد سـبيت بـالذلّ ... مـن خـدرها كسـبي الإمـاء
ثمّ تدعو الحسين يا شقيق روحي ... وابـن أمّـي خـلّفتني لشـقاء
يـا أخـي يـومك المشـوم بـرى ... جسمي وعظمي معاً وأوهى قوائي
يا أخي كـنت أرتـجيك لمـوتي ... وحـياتي فـالآن خـاب رجـائي

⇦ توفّي في أواخر القرن الرابع الهجري .

يا أخي لو فدي من الموت شخص كنت أفديك بي وقلّ فدائي

يا أخي لا حييت بعدك بل لا عشت إلّا بمقلة عمياء

آه واحسرتاه لفاطم الصغرى وقد أُبرزت بذلّ السباء

كفّها فوق رأسها من جوى الـ ـثكل وكفّ لها على الأحشاء

واذا عاينت أباها صريعاً فاحصاً باليدين في الرمضاء

لم تطق نهضة إليه من الـ ـضعف تناديه في خفيّ النداء

يا أبي من ترى ليتمي وضعـ ـفي بعدكم يا أبا ومن لضنائي

وإذا لم يطق جواباً لها إلّا بكسر الجفون بالإيماء

أقبلت نحو عمّتها وقالت ما أرى والدي مع الأحياء

عمّتاه ما له جفاني وما كان له قطّ عادة بالجفاء

يا بني أحمد السلام عليكم ما أنارت كواكب الجوزاء

أنتم صفوة الإله من الخلـ ـق ومن بعد خاتم الأنبياء

يا نجوم الهدى بنوركم يهـ ـدون الورى في حنادس الظلماء

أنا مولاكم ابن حمّاد أعدد تكم في غد ليوم الجزاء



المجلس الثالث عشر

عباد الله ، إنّ مصيبة إمامكم الحسين من أعظم المصائب ، ورزيّته يوم عاشوراء الذي أُصيب فيه آل الله من أعظم الرزايا والنوائب ، فاسكبوا رحمكم الله شآبيب الدموع السواكب ، بتصعيد الزفرات الغوالب ، واقنعوا بجريان الدموع من الدماء ، واعقبوا ثوران الحزن والكرب والبلاء ، على مصيبة الإمام الشهيد بطفّ كربلاء .

واعلموا أنّ مصيبة مولاكم الحسين ، نور عين سيّد الكونين ، وثمرة فؤاد أمير المؤمنين ، وبضعة كبد سيّدة نساء العالمين ، مصيبة لا يجبر كسرها ، وشعلة في صدور المؤمنين لا يُطفأ حرّها ، وعظيمة من العظائم يتجدّد على مدى الأيّام ذكرها ، ورزيّة لا يتنفّس فجرها ، وقارعة زلزلت منها الأرضون برّها وبحرها .

فالعجب لمن يتذكّر مصارع هؤلاء الأتقياء الشهداء ، بقيّة عترة خاتم الأنبياء ، وسيّد الأوصياء ، وفاطمة الزهراء ، ثمّ يتمتّع بعدهم بالعيش أو يلتذّ بشرب الماء .

سبحان الله أي ظلم جرى على أهل الحراب والمحراب ، وأرباب الكتيبة والكتاب ، وفتيان الطعان والضراب ، ورجال القبّ والقباب ، قاضمي الأصلاب ، وقاسمي الأسلاب ، وهازمي الأحزاب ، وفالقي جماجم الأتراب ، وأُمراء الخطاب المستطاب ، وملوك يوم الحساب ، وسلاطين يوم الثواب والعقاب ، ما عذر أعداء ربّ الأرباب ، إذ منعوهم من الطعام والشراب ، وأباحوا الماء للكلاب والذئاب ، وحبس ساداتهم ومواليهم في صحراء الاكتئاب ، وذبحوا تلك النفوس الزكيّة ،

وعرّضوها للنسور والذئاب ، وعفرّوا تلك الوجوه البدريّة كالبدور في التراب .

ليت شعري كيف الصبر لمن يرى الدنيا قد صفت لأعداء الله الطغاة ، ذوي العناد ، وأقبلت على ذوي الخبث والأحقاد ، ونفّذت أوامرهم على رقاب العباد ، وآل رسول الله مشرّدون في البلاد ، ومستشعرون للخوف ، مكتحلون بالسهاد ، قد ضربت عليهم الأرض بالأسداد ، ونساء بني أميّة في الدور والقصور ، مسبلات الستور ، وبنات الرسول في حرّ الشمس في مهبّ الصبا والدبور ، ضاربات الصدور على هؤلاء البدور ، وغروبها في مغارب القبور ، ومصيرها إلى بطون السباع وحواصل الطيور ، وأسبلوا رحمكم الله شآبيب الدموع الهتان ، وتجلببوا شعائر الأحزان والأشجان ، وأظهروا النوح والعويل ، وابكوا على هذا الخطب الجليل بالبكور والأصيل .

ولله درّ من قال[١]:

يا أهلَ عاشورَ يا لهفي على الدينِ	خذوا حدادَكمُ يا آلَ ياسينِ
اليوم شُقِّقَ جيبُ الدين وانتُهبتْ	بناتُ أحمدَ نهبَ الروم والصينِ
اليومَ قامَ بأعلى الطفِّ نادبُهم	يقولُ من لِيتيمٍ أو لمسكين
اليوم خرَّت نجوم الفخر من مضرٍ	علىٰ مناخرِ تذليلٍ وتوهينِ
اليوم هُتِّكَ أستار الهدىٰ مزقاً	وبُرقِعتْ غرّةُ الإسلامِ بالهونِ
اليوم زُعزِعَ قدسٌ من جوانبِهِ	وطاحَ بالخيلِ ساحاتُ الميادينِ
اليوم شقّوا على الزهراء كلّتها	وساوروها بتنكيب وتوهين
اليومَ نالَ بنو حربٍ طوائلَها	ممّا صلَوهُ ببدرٍ ثمّ صفِّينِ
اليوم جُدِّلَ سبطُ المصطفىٰ شرقاً	من نفسه بنجيعٍ غيرِ مسنونِ

(١) تقدّمت ترجمة الشاعر مع القصيدة في المجلس التاسع .

نالوا أزمّةَ دنياهم ببغيهمُ فليتهمْ سمحوا منها بماعونِ
آلُ الرسول عباديد السيوف فمن هامٍ علىٰ وجههِ خوفاً ومسجونِ
يا عينُ لا تدّعي شيئاً لغاديةٍ تهمي ولا تدّعي دمعاً لمحزونِ
قومي علىٰ جدثٍ بالطفِّ وانتفضي بكلِّ لؤلؤِ دمعٍ فيكِ مكنونِ

روى الصدوق في «**الأمالي**» بإسناد معتبر عن ابن عبّاس ، قال : «إنّ رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن عليه السلام ، فلمّا رآه بكى ، ثمّ قال : **إليّ إليّ يا بنيّ** ، فلم يزل يدنيه حتّى أجلسه على فخذه اليمنى .

ثمّ أقبل الحسين عليه السلام ، فلمّا رآه بكى ، ثمّ قال : **إليّ إليّ يا بنيّ** ، فما زال يدنيه حتّى أجلسه على فخذه اليسرى .

ثمّ أقبلت فاطمة عليها السلام ، فلمّا رآها بكى ، ثمّ قال : **إليّ إليّ يا بنيّة** ، فأجلسها بين يديه .

ثمّ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ، فلمّا رآه بكى ، ثمّ قال : **إليّ إليّ يا أخي** ، فما زال يدنيه حتّى أجلسه إلى جانبه الأيمن .

فقال له أصحابه : يا رسول الله ، ما ترى من هؤلاء واحداً إلّا بكيت ، وما فيهم من تسرّ برؤيته ؟

فقال : والذي بعثني بالنبوّة ، واصطفاني على جميع البريّة ، إنّي وإيّاهم لأكرم الخلق على الله عزّ جلّ ، وما على وجه الأرض نسمة أحبّ إليّ منهم .

أمّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنّه أخي ، وشقيقي ، وصاحب الأمر بعدي ، وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة ، وصاحب حوضي ، وشفاعتي ، وهو وليّ كلّ مسلم ، وإمام كلّ مؤمن ، وقائد كلّ تقيّ ، وهو وصيّي وخليفتي على أهلي وأُمّتي في حياتي وبعد موتي ، محبّه محبّي ، ومبغضه مبغضي ، وبولايته صارت أُمّتي مرحومة ، وبعداوته صارت المخالفة له منها ملعونة ، وإنّي بكيت حين أقبل لأنّي ذكرت غدر الأمّة به بعدي ، حتّى إنّه

ليزال عن مقعدي ، وقد جعله الله له بعدي ، ولا يزال الأمر به حتّى يضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته في أفضل الشهور ، رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدىً للنّاس وبيّنات من الهدى والفرقان .

وأمّا ابنتي فاطمة ، فإنّها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين ، وهي بضعة منّي ، وهي نور عيني ، وهي ثمرة فؤادي ، وهي روحي التي بين جنبيّ ، وهي الحوراء الإنسيّة ، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض ، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته : يا ملائكتي ، انظروا إلى أمتي فاطمة سيّدة إمائي قائمة بين يديّ ترتعد فرائصها من خيفتي ، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي . أُشهدكم أنّي قد أمّنت شيعتها من النّار .

وإنّي لمّا رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي كأنّي بها وقد دخل الذلّ بيتها ، وانتهكت حرمتها ، وغصبت حقّها ، ومُنعت إرثها ، وكسر جنبها ، وأُسقطت جنينها ، وهي تنادي : يا محمّداه ، فلا تجاب ، وتستغيث فلا تغاث ، فلا تزال محزونة مكروبة باكية تتذكّر انقطاع الوحي عن نبيّها مرّة ، وتتذكّر فراقي أُخرى ، وتستوحش إذا جنّها الليل لفقد صوتي الذي كانت تسّمع إليه إذا تهجّدت بالقرآن ، ثمّ ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيّام أبيها عزيزة ، فعند ذلك يؤنسها الله عزّ وجلّ بالملائكة فتناديها بما نادت به مريم بنت عمران ، فيقول : يا فاطمة ، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين . يا فاطمة ، اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين .

ثمّ يبتدئ بها الوجع ، فتمرض ، فيبعث الله عزّ وجلّ إليها مريم بنت عمران تمرّضها وتؤنسها في علّتها ، فتقول عند ذلك : يا ربّ ، إنّي قد سئمت الحياة ، وتبرّمت من أهل الدنيا ، فألحقني بأبي ، فيلحقها الله عزّ وجلّ بي ، فتكون أوّل من يلحقني من أهل بيتي ، فتقدم عليّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة ، فأقول عند ذلك : اللّهمّ العن من ظلمها ، وعاقب من غصبها ، وأذلّ من أذلّها ، وخلّد في نارك من ضرب جنبها حتّى ألقت ولدها ، فتقول الملائكة عند ذلك : آمين .

وأمّا الحسن ، فإنّه ابني ، وولدي ، ومنّي ، وقرّة عيني ، وضياء قلبي ، وثمرة فؤادي ، وهو سيّد شباب أهل الجنّة ، وحجّة الله على الأمّة ، أمره أمري ، وقوله قولي ، من تبعه فإنّه منّي ، ومن عصاه فليس منّي ، وإنّي لمّا نظرت إليه تذكّرت ما يجري عليه من الذلّ بعدي ، فلا يزال الأمر به حتّى يقتل بالسمّ ظلماً وعدواناً ، فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته ، ويبكيه كلّ شيء حتّى الطير في جوّ السماء ، والحيتان في الماء ، فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون ، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب ، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام.

وأمّا الحسين ، فإنّه منّي ، وابني ، وولدي ، وخير الخلق بعد أخيه وهو إمام المسلمين ، ومولى المؤمنين ، وخليفة ربّ العالمين ، وغياث المستغيثين ، وكهف المستجيرين ، وحجّة الله على خلقه أجمعين ، وهو سيّد شباب أهل الجنّة ، وباب نجاة الأمّة ، أمره أمري ، وطاعته طاعتي ، من تبعه فإنّه منّي ، ومن عصاه فليس منّي ، وإنّي لمّا رأيته تذكّرت ما يصنع به بعدي ، كأنّي به وقد استجار بحرمي وقربي فلا يجار ، فأضمّه في منامه إلى صدري ، وآمره بالرحلة من دار هجرتي ، وأبشّره بالشهادة ، فيرتحل عنها إلى أرض مقتله ، وموضع مصرعه ، أرض كرب وبلاء ، وقتل وفناء ، تنصره عصابة من المسلمين ، أولئك من سادة شهداء أمّتي يوم القيامة ، كأنّي أنظر إليه وقد رمي بسهم فخرّ عن فرسه صريعاً ، ثمّ يذبح كما يذبح الكبش مظلوماً ، ثمّ بكى رسول الله ﷺ وبكى من حوله ، وارتفعت أصواتهم بالضجيج.

ثمّ قام ﷺ وهو يقول : **اللّهمّ إنّي أشكو إليك ما يلقى أهل بيتي بعدي.** ثمّ دخل منزله »[1].

وروى الصدوق في «**الأمالي**» و«**ثواب الأعمال**» ، عن الصادق والباقر عليهما السلام وجابر بن عبدالله ، عن رسول الله ﷺ ، قال : «**إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على**

(١) أمالي الصدوق : ١٧٥ ـ ١٧٧ ، الحديث ١٧٨ .

ناقة من نوق الجنّة مدبّجة الجنبين ، ختامها من لؤلؤ رطب ، قوائمها من الزمرّد الأخضر ، ذنبها من المسك الأذفر ، عيناها ياقوتتان حمراوان ، عليها قبّة يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، داخلها عفو الله ، وخارجها رحمة الله تعالى ، خطاها فرسخ من فراسخ الدنيا ، على رأسها تاج من نور ، للتاج سبعون ركناً ، كلّ ركن مرصّع بالدرّ والياقوت ، يضيء كما يضيء الكوكب الدريّ في أُفق السماء ، وعن يمينها سبعون ألف ملك ، وعن شمالها سبعون ألف ملك ، جبرئيل آخذ بخطام الناقة ينادي بأعلى صوته : غضّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة بنت محمّد ﷺ ، فلا يبقى يومئذٍ نبيّ ولا رسول ولا صدّيق ولا شهيد إلّا غضّوا أبصارهم حتّى تجوز فاطمة ، فتسير حتّى تحاذي عرش ربّها جلّ جلاله ، فتزج[١] بنفسها عن ناقتها وتقول : إلهي وسيّدي ، احكم بيني وبين من قتل ولدي »[٢] .

وفي رواية : « إنّه يقبل الحسين عليه السلام ورأسه على يده ، فإذا رأته شهقت شهقةً لا يبقى في الجمع ملك مقرّب ، ولا نبيّ مرسل ، ولا عبدٌ مؤمن ، إلّا بكى لها »[٣] .

وفي رواية أُخرى : « إنّه يقال لها : ادخلي الجنّة ، فتقول : لا أدخل الجنّة حتّى أعلم ما صُنع بولدي من بعدي ، فيقال لها : انظري في قلب القيامة ، فتنظر إلى الحسين عليه السلام قائماً وليس عليه رأس ، فتصرخ صرخة ، وأصرخ لصراخها ، وتصرخ الملائكة لصراخنا ، فيغضب الله تعالى لنا عند ذلك[٤] ، فيمثّل الله لها رجلاً في أحسن صورة ، وهو يخاصم قتلته بلا رأس ، فيجمع الله قتلته والمجهزين عليه ، ومن شرك في قتله ، فيقتلهم حتّى

---

(١) أي : فتلقي وترمي .

(٢) أمالي الصدوق : ٦٩ ، الحديث ٣٦ ، عن الباقر عليه السلام ، عن جابر ، ولم نجده في ثواب الأعمال . بحار الأنوار : ٢١٩/٤٣ ، الحديث ١ .

(٣) مثير الأحزان : ٦٢ .

(٤) ثواب الأعمال : ٢١٧ . بحار الأنوار : ١٢٧/٧ ، الحديث ٦ .

يأتي على آخرهم ، ثمّ ينشرون فيقتلهم أمير المؤمنين حتّى يأتي على آخرهم ، ثمّ ينشرون فيقتلهم الحسن ، ثمّ ينشرون فيقتلهم الحسين ، ثمّ ينشرون فلا يبقى من ذرّيتنا أحداً إلّا قتلهم قتلة ، فعند ذلك يكشف الله الغيظ وينسي الحزن[١] .

ويأمر الله ناراً يقال لها هبهب قد أوقد عليها ألف عام حتّى اسودّت ، لا يدخلها روح أبداً ، ولا يخرج منها غمّ أبداً ، فيقال لها : التقطي قتلة الحسين عليه السلام وحملة القرآن ، فتلتقطهم ، فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وصهلوا بها ، وزفرت وزفروا بها ، فينطقون بألسنة ذلقة طلقة : يا ربّنا ، بِمَ أوجبت علينا النار قبل عبدة الأوثان ؟

فيأتيهم الجواب عن الله عزّ وجلّ : إنّ من علم ليس كمن لا يعلم[٢] .

ويأتي النداء من قِبل الله جلّ جلاله : حبيبتي وابنة حبيبي ، سلي تعطي واشفعي تشفّعي ، فوعزّتي وجلالي ، لا جازني ظلم ظالم .

فتقول : إلٰهي وسيّدي ، ذرّيّتي وشيعتي وشيعة ذرّيّتي ، ومحبّيّ ، ومحبّي ذرّيّتي ، فإذا النداء من قِبل الله جلّ جلاله : أين ذرّيّة فاطمة وشيعتها ومحبّوها ومحبّو ذرّيّتها ؟ فيقبلون وقد أحاطت بهم ملائكة الرحمة ، فتقدمهم فاطمة حتّى تدخلهم الجنّة »[٣] .

وروى فرات بن إبراهيم ، بإسناده عن ابن عبّاس ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : « دخل رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم على فاطمة عليها السلام وهي حزينة ، فقال لها : ما حزنك يا بنيّة ؟

قالت : يا أبةِ ، ذكرت المحشر ووقوف الناس عُراة يوم القيامة .

قال صلى الله عليه وآله : يا بنيّة ، إنّه ليوم عظيم ، ولكن قد أخبرني جبرئيل عن الله عزّ وجلّ أنّه قال :

---

(١) ثواب الأعمال : ٢١٦ . مثير الأحزان : ٦١ . اللهوف : ٨١ . بحار الأنوار : ٢٢١/٤٣ ، الحديث ٧ .

(٢) ثواب الأعمال : ٢١٧ . مثير الأحزان : ٦١ . بحار الأنوار : ١٢٧/٧ ، الحديث ٦ .

(٣) أمالي الصدوق : ٦٩ ، الحديث ٣٦ . روضة الواعظين : ١٤٩ . بشارة المصطفى : ٤٣ ، الحديث ٣٢ . مناقب آل أبي طالب : ١٠٨/٣ . بحار الأنوار : ٢١٩/٤٣ ، الحديث ١ .

أوّل من تنشقّ عنه الأرض يوم القيامة أنا ، ثمّ إبراهيم ، ثمّ بعلك عليّ بن أبي طالب ، ثمّ يبعث الله إليك جبرئيل في سبعين ألف ملك ، فيضرب على قبرك سبع قباب من نور ، فيقف عند رأسك فيناديك : يا فاطمة بنت محمّد ، قومي إلى محشرك ، فتقومين آمنة روعتك ، مستورة عورتك ، فيناولك إسرافيل الحلل فتلبسينها ، ويأتيك زوفائيل بنجيبة من نور زمامها من لؤلؤ رطب ، عليها تحفة من ذهب ، فتركبينها ويقود زوفائيل بزمامها ، وبين يديك سبعون ألف ملك ، بأيديهم ألوية التسبيح ، فإذا جدّ بك السير استقبلتك سبعون ألف حوراء يستبشرن بالنظر إليك ، بيد كلّ واحدة منهنّ مجمرة من نور يسطع منها ريح العود من غير نار ، وعليهنّ أكاليل الجوهر مرصّع بالزبرجد الأخضر ، فيسيّرك عن يمينك ، فإذا سرتِ مثل الذي سرتِ إلى أن لقيتك ، استقبلتك مريم بنت عمران في مثل ما معك من الحور ، فتسلّم عليك وتسير هي ومن معها عن يسارك ، ثمّ تستقبلك أُمّك خديجة بنت خويلد ، أوّل المؤمنات بالله ورسوله ، ومعها سبعون ألف ملك بأيديهم ألوية التكبير .

فإذا قربتِ من الجمع استقبلتك حوّاء ومعها آسية بنت مزاحم ، فتسير هي ومن معها معك ، فإذا توسّطتِ الجمع ، وذلك أنّ الله يجمع الخلائق في صعيد واحد ، فتستوي بهم الأقدام .

ثمّ ينادي المنادي من تحت العرش يسمع الخلائق : غضّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة الصدّيقة بنت محمّد ﷺ ومن معها ، فلا ينظر إليك يومئذٍ إلّا إبراهيم خليل الرحمن ، وعليّ بن أبي طالب ، فيطلب آدم حوّاء فيراها مع أُمّك خديجة أمامك .

ثمّ ينصب لك منبرٌ من نور ، فيه سبع مراقٍ ، بين المرقاة إلى المرقاة صفوف من الملائكة بأيديهم ألوية النور ، وتصطفّ الحور العين عن يمين المنبر ، وعن يساره ، وأقرب النساء معك عن يسارك حوّاء وآسية .

فإذا صرتِ في أعلى المنبر أتاك جبرئيل فيقول لك : يا فاطمة ، سلي حاجتك ؟

فتقولين : يا ربّ أرني الحسن والحسين ، فيأتيانك وأوداج الحسين تشخب دماً وهو يقول : يا ربّ ، خذ لي اليوم حقّي ممّن ظلمني ، فيغضب عند ذلك الجليل ، ويغضب لغضبه جهنّم والملائكة أجمعون ، فتزفر جهنّم عند ذلك زفرة ، ثمّ يخرج فوج من النار ويلتقط قتلة الحسين عليه السلام وأبناءهم وأبناء أبنائهم ويقولون : يا ربّ ، إنّا لم نحضر الحسين ؟ فيقول الله لزبانية جهنّم : خذوهم بسيماهم بزرقة الأعين ، وسواد الوجوه ، خذوا بنواصيهم فألقوهم في الدرك الأسفل من النار ، فإنّهم كانوا أشدّ على أولياء الحسين من آبائهم الذين حاربوا الحسين عليه السلام فقتلوه .

ثمّ يقول جبرئيل : يا فاطمة ، سلي حاجتك .

فتقولين : يا ربّ ، شيعتي شيعتي .

فيقول الله : انطلقي ، فمن اعتصم بك فهو معك في الجنّة ، فعند ذلك يودّ الخلائق أنّهم كانوا فاطميّين ، فتسيرين ومعك شيعتك وشيعة ولدك وشيعة أمير المؤمنين ، آمنة روعاتهم ، مستورة عوراتهم ، قد ذهبت عنهم الشدائد ، وسهلت لهم الموارد ، يخاف الناس وهم لا يخافون ، ويظمأ النّاس وهم لا يظمأون ، فإذا بلغتِ باب الجنّة تلقّتك اثنتي عشر ألف حوراء لم يتلقّين أحداً قبلك ، ولا يتلقّين أحداً بعدك ، بأيديهم حراب من نور على نجائب من نور ، رحائلها من الذهب الأذفر والياقوت ، أزمّتها من لؤلؤ رطب ، على كلّ نجيب نمرقة من سندس منضود ، فإذا دخلتِ الجنّة تباشر بك أهلها ، ووضع لشيعتك موائد من نور على أعمدة من نور فيأكلون منها ، والناس في الحساب وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ، فإذا استقرّ أولياء الله في الجنّة ، زارك آدم ومن دونه من النبيّين ، وإنّ في بطنان العرش لؤلؤتين من عرق واحد : لؤلؤة بيضاء ولؤلؤة صفراء ، فيهما قصور ودور ، في كلّ واحدة سبعون ألف دار ، فالبيضاء منازل لنا ولشيعتنا ، والصفراء منازل لنا ولآل إبراهيم .

قالت : يا أبةِ ، ما كنت أحبّ أن أرى يومك ولا أبقى بعدك يوماً .

قال: يا ابنتي، لقد أخبرني جبرئيل عن الله تعالى أنّك أوّل من يلحقني من أهل بيتي، فالويل كلّه لمن ظلمك، والفوز العظيم لمن نصرك».

قال عطاء: كان ابن عبّاس إذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[1]»[2].

إخواني، فأكثروا النوح والعويل على هذا الرزء الجليل، فإنّكم تساعدون فاطمة الزهراء البتول، وتعزّون نبيّكم الرسول، وعليّاً الليث الصؤول.

ولله درّ الخليعي حيث يقول، ولنِعم ما يقول:

يا عين لا لخلو الربع والدمن	باكي الرزايا سوى الباكي على السكن
واسي نبيّ الهدى فيما أُصيب به	وساعدي البضعة الزهرا على الحزن
وقابليها بأرض الطفّ صارخة	على القتيل الغريب النازح الوطن
يشكو إلى الله والأملاك محدقة	بالعرش يستصرخ الهادي أبا حسن
من حولها مريم العذرا وآسية	تكرّر النوح بالتذكار والحزن
والنوح من نادبات الجنّ مرتفع	وقلبها موجّع بالثكل والمحن
لهفي على قول مولاتي وقد نظرت	شلو الحسين بلا غسل ولا كفن
ملقى على الأرض عاري الجسم منعفر الـ	ـجبين مختضب الأوداج والذقن
لهفي على زينب حسرى مجرّدة	مسلوبة تستر الأنوار بالردن
تقول يا والدي من لي إذا نزلت	بي الحوادث يحميني ويكفيني

(١) الطور ٥٢: ٢١.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٤٤٤، الحديث ٥٨٧. بحار الأنوار: ٢٢٥/٤٣، الحديث ١٣.

لهفي على فاطم الصغرى مقرّحة | بالدمع أجفانها مسلوبة الوسن
تدعو إلى زينب يا عمّتا سلب الـ | ـملجُ القناعَ ليسبيني ويهتكني
فرمت أستر وجهي عند رؤيته | وظلّ يشتمني عمداً ويضربني
أين الحماة وأين الناصرون لنا | وا خيبتا جار دهري واعتدىٰ زمن
لهفي على السيّد السجّاد معتقلاً | في أسرهم مستذلّاً ناحل البدنِ
إن اشتكى أسمعوه قبح شتمهم | وإن وَنى قنّعوه فاضل الرسن
واحسرتاه لكريم السبط مشتهراً | كالبدر يشرق فوق الذابل اللدن
فيا لها محنة عمّت مصيبتها | ويا لها حسرة في قلب ذي شجن
يهنى يزيد برأس طالما رشف الـ | ـمختارُ من ثغره تقبيل مفتتن
وتستحثّ بنات المصطفى ذللاً | على المطايا إلى الأطراف والمدن
قد قابلونا بنو حرب بما صنعوا | ولا شفوا غلل الأحقاد والضغن
بفعلهم كفروا فينا واعتقدوا | أن لا جزاء على قبح ولا حسن
مضوا على سنن الماضين وارتكبوا | نهج الضلال ومالوا عن هدى السنن
كأنّني بالبتول الطهر فاطمة | في الحشر تشكو إلى الرحمن ذي المنن
[تأتي وقد ضمّخت ثوب الحسين دماً | من نحره وهي تبدي الحزن في حزن]
تدعو ألا ابن مسمومي ويا أسفي | على قتيلي ويا كربي ويا حزني
يا ربّ من نوزعت ميراث والدها | مثلي ومن طولبت بالحقد والأحِن
ومن ترى جرّعت في ولدها غصص | كما ابن مرجانة الملعون جرّعني
ومن ترى كذّبت قبلي وقد علموا | أنّ الإله من الأرجاس طهّرني
وهل لبنت نبيّ أضرمت شعلً | كما أطيف به بيتي ليحرقني
خرجت أطلب للأطفال بُغيتهم | فدعّني ظالمي عنها ودافعني

ربّ انتصف لي ممّن خان عهد أبي ومن قد حوى إرثي وأفقرني
وتستغيث أمام العرش ساجدةً والمصطفى واقف والدمع كالمزن
فيبرز الأمر أنّي قد سمعت وقد نقمت ممّن عصى أمري وخالفني
أعظم بها ومنادي العرش يسمع بالـ ـصوت الرفيع لديها كلّ ذي أُذن
غُضُّوا العيون فخاتونُ القيامةِ قد جاءت لتشفع فيمن بالولاء كُني
من كلّ محترق من عظم فجعتها بكى وساعدها بالدمع والهتن
يا سادتي يا بني الهادي النبيّ ومن أخلصت ودّي لهم بالسرّ والعلن
عرفتكم بدليل العقل والنظر الـ ـمهدي فلم أخش كيد الجاهل اللكني
فاز الخليعي كلّ الفوز واتّضحت بكم له سبل الإرشاد والسنن(١)



(١) المنتخب /الطريحي: ١/١٥٩ ـ ١٦١.

المجلس الرابع عشر

أيّها الإخوان المؤمنون، والشيعة المخلصون، أسبلوا دمع العيون، وأظهروا الحزن والشجون، على مصاب العترة البررة، والذرّيّة الطاهرة الخيرة، وتأمّلوا كيف صنع بهم أعداء الدين، وخصماء ربّ العالمين، وكيف لم يرعوا حرمة رسول الله ﷺ، ولم يراقبوا في ظلمهم الله، ولا سيّما في البضعة الزهراء، والإنسيّة الحوراء عليها السلام.

غصبوها حقّها قهراً، وظلموها إرثها جهراً، مع أنّهم رووا عنه ﷺ أنّه قال مرّة بعد أُخرى، وكرّة بعد أُولى: **«فاطمة بضعة منّي، من آذاها فقد آذاني»**[1].

وقال ﷺ: **«فاطمة يغضب الله لغضبها»**[2]، فلم يرتدعوا، وما زادهم ذلك إلّا بغضاً وعناداً، ولا أفادهم إلّا لجاجاً ولداداً، فأكلوا تراثها جهراً، وغصبوا حقّها

---

(١) صحيح البخاري: ٤/٢١٠ و: ٦/١٥٨. صحيح مسلم: ٧/١٤١. سنن ابن ماجه: ١/٦٤٤، الحديث ١٩٩٨. سنن أبي داود: ١/٤٦٠، الحديث ٢٠٧١. سنن الترمذي: ٥/٣٥٩، الحديث ٣٩٥٩ و: ٣٦٠، الحديث ٣٩٦١.

(٢) المعجم الكبير / الطبراني: ١/١٠٨، الحديث ١٨٢. المستدرك على الصحيحين: ٣/١٥٤. تاريخ مدينة دمشق: ٣/١٥٦. أُسد الغابة: ٥/٥٢٢. ميزان الاعتدال: ٢/٤٩٢، الرقم ٤٥٦٠. نظم درر السمطين: ١٧٧ و ١٧٨. مجمع الزوائد: ٩/٢٠٣. كنز العمّال: ١٣/٦٧٤، الحديث ٣٧٧٢٥.

قهراً، وأغضبوها حتّى دفنت سِرّاً، وأدخلوا بأذاها الأذى على نبيّهم، وكتاب الله ناطق يتلو عليهم ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً** ﴾[١].

ولله درّ من قال من الرجال شعراً[٢]:

يا بضعةَ الهادي النبيِّ وحقِّ من ... أسماكِ حين تقدّست أسماكِ

لا فاز من نارِ الجحيم معاندٌ ... عن إرث والدكِ النبيِّ زواكِ

أتراه يغفرُ ذنبَ من أقصاكِ عن ... سخطٍ وأسخط إذ أباكِ أباكِ

كلّا ولا نالَ السعادةَ من غوىٰ ... وعداك ممتسكاً بحبل عداكِ

يا تيمُ لا تمّت عليكِ سعادةٌ ... لكن دعاكِ إلى الشقاء شقاكِ

لولاكِ ما ظفرتْ علوجُ أُميّة ... يوماً بعترةِ أحمدٍ لولاكِ

تالله ما نلتِ السعادةَ إنّما ... أهواكِ في نارِ الجحيم هواكِ

أنّى استقلتِ وقد عقدت لآخرٍ ... حكماً فكيف صدقتِ في دعواكِ

ولأنت أكبر يا عديُّ عداوةً ... والله ما عضدَ النفاقَ سواكِ

لا كان يومٌ كنت فيه وساعةٌ ... فضّ النفيل بها ختامَ صهاكِ

وعليكِ خزيٌ يا أُميّة دائماً ... يبقىٰ كما في النار دام بقاكِ

هلّا صفحتِ عن الحسينِ ورهطِهِ ... صفحَ الوصيُّ أبيه عن آباكِ

وعففتِ يومَ الطفِّ عفّة جدِّه ... المبعوثِ يوم الفتحِ عن طُلقاكِ

أفهل يدٌ سلبت إماءَكِ مثل ما ... سلبت كريماتِ الحسينِ يداكِ

---

(١) الأحزاب ٣٣: ٥٧.

(٢) علاء الدين الحلّي. وقد تقدّمت ترجمته.

أم هل برزن بفتح مكة حُسّرا — كنسائه يوم الطفوفِ نساكِ
يا أُمّةً باءت بقتلِ هُداتها — أفمن إلىٰ قتل الهُداة هداكِ
أم أيّ شيطانٍ رماكِ بغيِّه — حتىٰ عراكِ وحلَّ عقد عُراكِ
بئس الجزاءُ لأحمدٍ في آلِهِ — وبنيه يوم الطفِّ كان جزاكِ
فلئن سُررتِ بخدعةٍ أسررتِ في — قتلِ الحسينِ فقد دهاكِ دهاكِ
ما كان في سلبِ ابنِ فاطمَ ملكَهُ — ما عنه يوماً لو كفاكِ كفاكِ
لهفي على الجسدِ المغادَرِ بالعرا — شلواً تقلّبه حدودُ ظُباكِ
لهفي على الخدِّ التريبِ تخدُّه — سفهاً بأطراف القنا سُفهاكِ[1]

عن الصادق عليه‌السلام ، قال : « لمّا أُخرج عليّ عليه‌السلام ملبّباً ، وقف عند قبر النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله وقال : يابن أُمّ ، إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[2] .

فخرجت يد من قبر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يعرفون أنّها يده ، وصوت يعرفون أنّه صوته ، نحو أبي بكر : يا هذا ، ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾[3] »[4] .

وعن الصادق عليه‌السلام ، قال : « لمّا أُتي بعليّ عليه‌السلام إلى المسجد ، خرجت فاطمة عليها‌السلام حزينة مهمومة مغمومة ومعها نسوة من مخدّرات بني هاشم ، فأقبلت إلى مسجد أبيها ، حتّى انتهت قريباً من القبر ، فقالت : خلّوا عن ابن عمّي ، فوالذي بعث محمّداً بالحقّ ،

(١) الغدير : ٦/٣٨٠ .
(٢) إقتباس من الآية ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي الأعراف ٧ : ١٥٠ .
(٣) الكهف ١٨ : ٣٧ .
(٤) بصائر الدرجات : ٢٩٥ ، الحديث ٥ . الاختصاص : ٢٧٥ . بحار الأنوار : ٢٨/٢٢٠ ، الحديث ١٠ .

لئن لم تخلّوا عنه لأنشرنّ شعري ، ولأضعنّ قميص رسول الله ﷺ على رأسي ، ولأصرخنّ إلى الله تبارك وتعالى ، فما ناقة صالح بأكرم على الله منّي ، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولديّ .

قال سلمان ؓ :كنت قريباً منها ، فرأيت والله أساس حيطان المسجد ، مسجد رسول الله ، تقلّعت من أسفلها ، حتّى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ ، فدنوت منها فقلت : يا سيّدتي ومولاتي ، إنّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة ، فرجعت ورجعت الحيطان حتّى سطعت الغبرة من أسفلها ، فدخلت في خياشيمنا »[1] .

وفي **«الكافي»**: عن أبي هاشم ، قال : « لمّا أُخرج بعليّ ؑ خرجت فاطمة ؑ واضعة قميص رسول الله ﷺ على رأسها ، آخذة بيد ابنيها الحسن والحسين ، فقالت :

مالي ولك يا أبا بكر ، تريد أن تُيتم ابنيّ وترمّلني من زوجي ، والله ! لولا أن تكون سيّئة لنشرت شعري ، ولصرخت إلى ربّي .

فقال رجل من القوم : ما تريد إلى هذا ؟ أي : ما تريد يا أبا بكر بقصدك إلى هذا الفعل ، أتريد أن تنزل العذاب على هذه الأمّة ، ثمّ أخذت ؑ بيده ؑ فانطلقت به »[2] .

وروى الصدوق مرسلاً ، قال : « لمّا قبض النبيّ ﷺ امتنع بلال من الأذان ، وقال : لا أُؤذّن لأحد بعد رسول الله ﷺ ، وإنّ فاطمة ؑ قالت ذات يوم : **إنّي لأشتهي أن أسمع صوت مؤذّن أبي بالأذان** ، فبلغ ذلك بلالاً ، فأخذ في الأذان ، فلمّا قال : الله أكبر ، الله أكبر ذكرت أباها ﷺ وأيّامه ، فلم تتمالك من البكاء ، فلمّا بلغ إلى قوله : أشهد أنّ محمّداً رسول الله ، شهقت فاطمة ؑ شهقة وسقطت لوجهها وغشي عليها .

---

(١) الاحتجاج : ١/١١٣ . مناقب ابن شهرآشوب : ٣/١١٨ . بحار الأنوار : ٤٣/٤٧ .

(٢) الكافي : ٨/٢٣٨ ، الحديث ٣٢٠ . بحار الأنوار : ٢٨/٢٥٢ .

فقال النّاس : أمسك يا بلال ، فقد فارقت ابنة رسول الله ﷺ الدنيا ، وظنّوا أنّها قد ماتت ، فقطع أذانه ولم يتمّه ، فأفاقت فاطمة عليها السلام وسألته أن يتمّ الأذان ، فلم يفعل ، وقال لها : يا سيّدة النسوان ، إنّي أخشى عليك ممّا تنزلينه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان ، فأعفته عن ذلك »[1].

وفي « **أمالي الشيخ** » : عن ابن عبّاس ، قال : « لمّا حضرت رسول الله ﷺ الوفاة بكى حتّى بلّت دموعه لحيته ، فقيل له : يا رسول الله ، ما يبكيك ؟

فقال : **أبكي لذرّيتي وما يصنع بهم شرار أُمّتي من بعدي ، كأنّي بفاطمة بنتي وقد ظلمت بعدي ، وهي تنادي : يا أبتاه ، يا أبتاه ، فلا يعينها أحد من أُمّتي .**

فسمعت ذلك فاطمة عليها السلام فبكت ، فقال لها رسول الله ﷺ : **لا تبكي يا بنيّة .**

فقالت عليها السلام : **لست أبكي لما يصنع بي من بعدك ، ولكنّي أبكي لفراقك يا رسول الله .**

فقال لها : **أبشري يا بنت محمّد بسرعة اللحاق بي ، فإنّك أوّل من يلحق بي من أهل بيتي** »[2].

وفي رواية : قال لها : « **لا تبكي ، فانّك لا تمكثين بعدي إلّا اثنين وسبعين يوماً ونصف يوم ، حتّى تلحقي بي ، ولا تلحقي بي حتّى تتحفي بثمار الجنّة ، فضحكت فاطمة عليها السلام** »[3].

وفي رواية : « **خمسة وسبعين يوماً** »[4].

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ١/٢٩٧ ، الحديث ٩٠٧ . بحار الأنوار : ٤٣/١٥٧ ، الحديث ٧ .

(٢) أمالي الطوسي : ١٨٨ ، الحديث ٣١٦ . بحار الأنوار : ٢٨/٤٠ ، الحديث ٤ و : ٣١/٦٢٠ ، الحديث ١٠٣ .

(٣) قصص الأنبياء / الراوندي : ٣٠٧ ، الحديث ٤١١ . بحار الأنوار : ٤٣/١٥٦ ، الحديث ٣ .

(٤) بصائر الدرجات : ١٧٤ ، الحديث ٦ . الكافي : ١/٢٤١ ، الحديث ٢٧١ .

قال الصادق عليه السلام : « **عاشت فاطمة عليها السلام بعد أبيها صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً لم ترَ كاشرة ولا ضاحكة ، تأتي قبور الشهداء في كلّ جمعة مرّتين : بين الإثنين والخميس ، فتقول : هاهنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهاهنا كان المشركون** »(١).

وعن عليّ عليه السلام قال : « **غسّلت النبيّ صلى الله عليه وآله في قميصه ، فكانت فاطمة عليها السلام تقول : أرني القميص ، فإذا شمّته غُشي عليها ، فلمّا رأيت ذلك غيّبته** »(٢).

وروى الصدوق في « **الخصال** » و« **الأمالي** » بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام ، قال : « **البكّاءون خمسة : آدم ، ويعقوب ، ويوسف ، وفاطمة بنت محمّد ، وعليّ بن الحسين** عليه السلام .

فأمّا آدم فبكى على الجنّة حتّى صار في خدّيه أمثال الأودية .

وأمّا يعقوب فبكى على يوسف حتّى ذهب بصره ، وحتّى قيل له : ﴿ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾(٣).

وأمّا يوسف فبكى على يعقوب حتّى تأذّى به أهل السجن ، فقالوا له : إمّا أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار ، وإمّا أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل ، فصالحهم على واحدة منهما .

وأمّا فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تأذّى ببكائها أهل المدينة ، فقالوا لها : قد آذيتينا بكثرة بكائك ، فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتّى تقضي حاجتها

---

(١) الكافي : ٣/٢٢٨ ، الحديث ٣ . بحار الأنوار : ٤٣/١٩٥ ، الحديث ٢٤ . تاج المواليد (المجموعة) : ٢٢ .

(٢) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام / ابن مردويه : ١٩٦ ، الحديث ٢٧١ . بحار الأنوار : ٤٣/١٥٧ ، الحديث ٦ . بيت الأحزان : ١٦٨ . السيّدة فاطمة عليها السلام : ١٣٤ .

(٣) يوسف ١٢ : ٨٦ .

ثمّ تنصرف .

وأمّا عليّ بن الحسين عليه السلام فبكى على الحسين عشرين سنة ، أو أربعين سنة ، ما وضع بين يديه طعام إلّا بكى ، حتّى قال له مولى له : جعلت فداك يابن رسول الله ، إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين ، قال : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١] ، إنّي ما أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني لذلك العبرة »[٢] .

وعن جابر : « أنّه صلى الله عليه وآله دخل يوماً بيت فاطمة فرأى فاطمة عليها السلام وعليها كساء من أجِلّة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها ، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا بنتاه ، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة .

فقالت : يا رسول الله ، الحمد لله على نعمائه ، والشكر لله على آلائه ، فأنزل الله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[٣] »[٤] .

وفي « **المكارم** » : عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد السفر سلّم على من أراد التسليم عليه من أهله ، ثمّ يكون آخر من يسلّم عليه فاطمة عليها السلام ، فيكون وجهه إلى سفره من بيتها ، وإذا رجع بدأ بها .

فسافر مرّة وقد أصاب عليّ عليه السلام شيئاً من الغنيمة فدفعه إلى فاطمة عليها السلام ، فخرج فأخذت سوارين من فضّة وعلّقت على بابها ستراً ، فلمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله دخل المسجد ، فتوجّه نحو فاطمة عليها السلام كما كان يصنع ، فقامت فرحة إلى أبيها صبابةً وشوقاً

(١) يوسف ١٢ : ٨٦ .

(٢) أمالي الصدوق : ٢٠٤ ، الحديث ٢٢١ . الخصال : ٢٧٢ ، الحديث ١٥ .

(٣) الضحى ٩٣ : ٥ .

(٤) التمحيص : ٦ . مكارم الأخلاق : ١١٧ . مناقب ابن شهرآشوب : ٣/١٢٠ . بحار الأنوار : ١٦/١٤٣ ، الحديث ٩ .

إليه ، فنظر فإذا في يدها سواران من فضّة ، وإذا على بابها ستر ، فقعد رسول الله حيث ينظر إليها ، فبكت فاطمة عليها السلام وحزنت وقالت : ما صنع هذا بي قبلها .

فدعت ابنيها فنزعت الستر من بابها ، وخلعت السوارين من يدها ، ثمّ دفعت السوارين إلى أحدهما والستر إلى الآخر ، ثمّ قالت لهما : إنطلقا إلى أبي فاقرآه السلام ، وقولا له : ما أحدثنا بعدك غير هذا ، فشأنك به ، فجاءا فأبلغاه ذلك عن أمّهما ، فقبّلهما رسول الله صلى الله عليه وآله والتزمهما ، وأقعد كلّ واحد منهما على فخذه ، ثمّ أمر بذينك السوارين فكسرا ، فجعلهما قطعاً .

ثمّ دعا أهل الصفّة ـ قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال ـ فقسّمه بينهم قطعاً ، ثمّ جعل يدعو الرجل منهم العاري الذي لا يستر بشيء ، وكان ذلك الستر طويلاً ليس له عرض ، فجعل يؤزر الرجل ، فإذا التقى عليه قطعه ، حتّى قسّمه بينهم أزراً ، ثمّ أمر النساء لا يرفعن رؤوسهنّ من الركوع والسجود حتّى يرفع الرجال رؤوسهم ؛ وذلك أنّهم كانوا من صغر أزرهم إذا ركعوا وسجدوا بدت عورتهم من خلفهم ، ثمّ جرت به السنّة أن لا يرفع النساء رؤوسهنّ من الركوع والسجود حتّى يرفع الرجال .

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : رحم الله فاطمة ، ليكسونّها الله بهذا الستر من كسوة الجنّة ، وليحلّينّها بهذين السوارين من حلية الجنّة »[1] .

وفي « **العلل** » : بإسناد معتبر عن عليّ عليه السلام أنّه قال لرجل من بني سعد :

« ألا أحدّثك عنّي وعن فاطمة عليها السلام ، إنّها كانت عندي ، وكانت من أحبّ أهله إليه صلى الله عليه وآله ، وإنّها استقت بالقربة حتّى أثّر في صدرها ، وطحنت بالرحى حتّى مجلت يداها ، وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها ، وأوقدت النّار تحت القدر حتّى دكنت ثيابها ، فأصابها من ذلك ضرر شديد .

---

(١) مكارم الأخلاق : ٩٤ و ٩٥ . بحار الأنوار : ٤٣/٨٣ ، الحديث ٦ .

فقلت لها : لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل ، فأتت النبيّ ﷺ فوجدت عنده حدّاثاً ، فاستحت وانصرفت ، قال : فعلم النبيّ ﷺ أنّها جاءت لحاجة .

قال : فغدا علينا ونحن في لفاعنا ، فقال : السلام عليكم ، فسكتنا واستحيينا لمكاننا ، ثمّ قال : السلام عليكم ، فسكتنا .

ثمّ قال : السلام عليكم ، فخشينا إن لم نردّ عليه أن ينصرف ، وقد كان يفعل ذلك ، يسلّم ثلاثاً ، فإن أذن له وإلّا انصرف .

فقلت : وعليك السلام يا رسول الله ، ادخل ، فلم يَعد أن جلس عند رؤوسنا .

فقال : يا فاطمة ، ما كانت حاجتك أمس عند محمّد ؟

قال : فخشيت إن لم تجبه أن يقوم ، قال : فأخرجت رأسي فقلت : أنا والله أخبرك يا رسول الله ، إنّها استقت بالقربة حتّى أثّر في صدرها ، وطحنت بالرحى حتّى مجلت يداها ، وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها ، وأوقدت تحت القدر حتّى دكنت ثيابها ، فقلت لها : لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل .

قال : أفلا أعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم ! إذا أخذتما منامكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبّرا أربعاً وثلاثين ، قال : فأخرجت ﷺ رأسها فقالت : رضيت عن الله ورسوله ، رضيت عن الله ورسوله ، رضيت عن الله ورسوله »[1] .

وفي كتاب **« بشارة المصطفى »** : عن الصادق ﷺ ، عن أبيه ، عن جابر ، قال : « صلّى رسول الله ﷺ صلاة العصر ، فلمّا انفتل جلس في قبلته والنّاس حوله ، فبينا هم كذلك ، إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل قد تهلّل وأخلق ، وهو لا يكاد يتمالك كبراً وضعفاً ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ يستحثّه الخبر ، فقال الشيخ :

(١) علل الشرائع : ٢/٣٦٦ ، الحديث ١ . بحار الأنوار : ٨٢/٣٢٩ ، الحديث ٧ .

يا نبيّ الله ، أنا جائع الكبد فأطعمني ، وعاري الجسد فاكسني ، وفقير فأنعشني ؟

فقال : **ما أجد لك شيئاً ، لكنّ الدالّ على الخير كفاعله ، انطلق إلى منزل من يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، ويؤثر رضا الله على نفسه ، انطلق إلى حجرة فاطمة** عليها السلام ، وكان بيتها ملاصق بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه ، وقال : **يا بلال ، قم فقف به على منزل فاطمة** عليها السلام ، فانطلق الأعرابي مع بلال ، فلمّا وقف على باب فاطمة عليها السلام نادى بأعلى صوته : السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند ربّ العالمين .

فقالت فاطمة : **وعليك السلام ، فمن أنت يا هذا ؟**

قال : شيخ من العرب أقبلت على أبيك سيّد البشر مهاجراً من شقّة ، وأنا ـ يا بنت محمّد ـ عاري الجسد ، جائع الكبد ، فواسيني يرحمك الله ، وكان لفاطمة وعليّ في تلك الحال ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً ، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك من شأنهما ، فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ[1]كان ينام عليه الحسن والحسين عليهما السلام فقالت : **خذ هذا أيّها الطارق ، فعسى الله أن يرتاح لك[2] ما هو خير منه .**

فقال الأعرابي : يا بنت محمّد ، شكوت إليك الجوع فناولتيني جلد كبش ! ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب !

قال : فعمدت ـ لمّا سمعت هذا من قوله ـ إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبدالمطّلب فقطعته من عنقها ، ونبذته إلى الأعرابي ، فقالت : **خذه وبعه ، فعسى الله أن يعوّضك به ما هو خير منه .**

فأخذ الأعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله والنبيّ صلى الله عليه وآله جالس في أصحابه ،

---

(١) **القرظ** : ورق السلم ـ بفتح اللام ـ يدبغ به .

(٢) **ارتاح الله لفلان** : رحمه .

فقال: يا رسول الله، أعطتني فاطمة بنت محمّد هذا العقد، وقالت: بعه، فعسى الله أن يعوّضك به خيراً.

قال: فبكى النبيّ ﷺ وقال: **وكيف لا يصنع الله لك وقد أعطتكه فاطمة بنت محمّد سيّدة بنات آدم وحوّاء** عليها السلام.

فقام عمّار بن ياسر رحمة الله عليه فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بشراء هذا العقد؟

قال: **اشتره - يا عمّار - فلو اشترك فيه الثقلان ما عذّبهم الله بالنّار**.

فقال عمّار: بكم العقد يا أعرابي؟

قال: بشبعة من الخبز واللحم وبردة يمانيّة أستر بها عورتي، وأُصلّي بها لربّي، ودينار يبلغني إلى أهلي، وكان عمّار قد باع سهمه الذي نفله رسول الله ﷺ من خيبر ولم يبق منه شيئاً.

فقال لك: عشرون ديناراً أو مئتا درهم هجريّة، وبردة يمانية، وراحلتي تبلغك أهلك، وشبعك من خبز البرّ واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال أيّها الرجل.

فانطلق به عمّار فوفّاه ما ضمن له، وعاد الأعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: **أشبعت واكتسيت؟**

قال الأعرابي: نعم، واستغنيت بأبي أنت وأُمّي.

قال ﷺ: **فاجز فاطمة بصنيعها**.

قال الأعرابي: اللّهمّ إنّك إلٰه ما استحدثناك، ولا إلٰه لنا نعبده سواك، وأنت رازقنا على كلّ الجهات. اللّهمّ أعطِ فاطمة ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، فأمّن النبيّ ﷺ على دعائه، وأقبل على أصحابه فقال: **إنّ الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ثلاثاً، أنا أبوها وما أحد من العالمين مثلي، وعليّ بعلها، ولولا عليّ ما كان لفاطمة كفوٌ أبداً،**

وأعطاها الحسن والحسين عليهما السلام وما للعالمين مثلهما ، سيّدا شباب أسباط الأنبياء ، وسيّدا شباب أهل الجنّة ، وكان بإزائه المقداد وعمّار وسلمان رضي الله عنهم ، فقال : **وأزيدكم ؟**

قالوا : نعم يا رسول الله .

قال : **أتاني الروح** - يعني جبرئيل عليه السلام - **أنّها إذا هي قبضت ودفنت يسألها الملكان في قبرها : من ربّك ؟**

فتقول : الله ربّي .

فيقولان : فمن نبيّك ؟

فتقول : أبي .

فيقولان : فمن وليّك ؟

فتقول : هذا القائم على شفير قبري عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

ألا وأزيدكم من فضلها : أنّ الله قد وكّل بها رعيلاً من الملائكة - أي جماعة - يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها ، وهم معها في حياتها ، وعند قبرها عند موتها ، يكثرون الصلاة عليها ، وعلى أبيها وبعلها وبنيها .

فمن زارني بعد وفاتي فكأنّما زارني في حياتي ، ومن زار فاطمة فكأنّما زارني ، ومن زار عليّ بن أبي طالب فكأنّما زار فاطمة ، ومن زار الحسن والحسين فكأنّما زار عليّاً ، ومن زار ذرّيّتهما فكأنّما زارهما .

فعمد عمّار إلى العقد فطيّبه بالمسك ، ولفّه في بردة يمانية ، وكان له عبد اسمه سهم ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخيبر ، فدفع العقد إلى المملوك وقال له : خذ هذا العقد فادفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت له ، فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بقول عمّار ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : **انطلق إلى فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها .**

فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأخذت فاطمة عليها السلام العقد

وأعتقت المملوك، فضحك الغلام، فقالت عليها السلام: **ما يضحكك يا غلام؟**

فقال: أضحكني عظم بركة هذا العقد، أشبع جائعاً، وكسى عرياناً، وأغنى فقيراً، وأعتق عبداً، ورجع إلى ربّه»[1].

وروى ابن شهرآشوب، والراوندي في **«المناقب»** و**«الخرائج»**: «أنّ علياً عليه السلام استقرض من يهوديّ شعيراً فاسترهنه شيئاً، فدفع إليه ملاءة[2] فاطمة عليها السلام -أي إزارها- رهناً، وكانت من الصوف، فأدخلها اليهودي إلى داره ووضعها في بيت، فلمّا كانت الليلة دخلت زوجته البيت الذي فيه الملاءة بشغل، فرأت نوراً ساطعاً في البيت أضاء به كلّه، فانصرفت إلى زوجها فأخبرته بأنّها رأت في ذلك البيت ضوءاً عظيماً، فتعجّب اليهودي زوجها وقد نسي أنّ في بيته ملاءة فاطمة، فنهض مسرعاً ودخل البيت، فإذا ضياء الملاءة ينتشر شعاعه كأنّه يشتعل من بدر منير يلمع، فتعجّب من ذلك، فأنعم النظر في موضع الملاءة فعلم أنّ ذلك النور من ملاءة فاطمة، فخرج اليهودي يعدو إلى أقربائه وزوجته تعدو إلى أقربائها، فاجتمع ثمانون من اليهود، فرأوا ذلك، فأسلموا كلّهم»[3].

وروى الراوندي في **«الخرائج»**: «إنّ اليهود كان لهم عرس، فجاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: لنا حقّ الجوار، فنسألك أن تبعث فاطمة بنتك إلى دارنا حتّى يزداد عرسنا بها عزّاً ومكرمة، وألحّوا عليه، فقال: **إنّها زوجة عليّ بن أبي طالب، وهي بحكمه**، فسألوه أن يشفع إلى عليّ في ذلك، وقد جمع اليهود الطمّ والرّم -أي الرطب واليابس- والمال الكثير من الحليّ والحلل، وظنّ اليهود أنّ فاطمة عليها السلام تدخل في

---

(١) بشارة المصطفى: ٢١٧، الحديث ٤٤. بحار الأنوار: ٥٦/٤٣، الحديث ٥٠.

(٢) الملاءة -بالضمّ والمدّ-: الإزار والريطة. (منه).

(٣) لم نجده في مناقب ابن شهرآشوب، بل في الثاقب في المناقب: ٣٠١، الحديث ٢٥٥. الخرائج والجرائح: ٥٣٧/٢، الحديث ١٣. بحار الأنوار: ٣٠/٤٣، الحديث ٣٦.

بذلتها ، وأرادوا استهانة بها ، فجاء جبرئيل عليه السلام بثياب من الجنّة وحليّ وحلل لم يروا مثلها ، فلبستها فاطمة فتحلّت بها ، فتعجّب النّاس من زينتها وألوانها وطيبها ، فلمّا دخلت فاطمة عليها السلام دار اليهود سجد لها نساؤهم يقبّلن الأرض بين يديها ، وأسلم بسبب ما رأوا خلق كثير من اليهود »[١] .

وروى «**العيّاشي في تفسيره**» ، وعليّ بن عيسى في «**كشف الغمّة**» ، والشيخ في «**الأمالي**» ، و« فرات بن إبراهيم في **تفسيره** » : عن أبي سعيد الخدري ، قال : « أصبح عليّ بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ساغباً ـ أي جائعاً ـ ، فقال : **يا فاطمة ، هل عندك شيء تغذّينيه ؟**

فقالت : **لا والذي أكرم أبي بالنبوّة وأكرمك بالوصيّة ، ما أصبح الغداة عندي شيء وما كان شيء أُطعمناه منذ يومين إلّا شيء كنت أُوثرك به على نفسي وعلى ابنيَّ هذين الحسن والحسين .**

فقال عليّ عليه السلام : **يا فاطمة ، ألا كنت أعلمتيني فأبغيكم شيئاً .**

فقالت : **يا أبا الحسن ، إنّي لأستحي من إلٰهي أن أُكلّف نفسك ما لا تقدر عليه .**

فخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام من عند فاطمة واثقاً بالله بحسن الظنّ ، فاستقرض ديناراً ، فبينا الدينار في يده يريد أن يبتاع لعياله ما يصلحهم ، إذ تعرّض له المقداد بن الأسود في يوم شديد الحرّ ، قد لوّحته الشمس من فوقه ، وآذته من تحته ، فلمّا رآه عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنكر شأنه ، فقال : **يا مقداد ، ما أزعجك هذه الساعة من رحلك ؟**

قال له : يا أبا الحسن ، خلّ سبيلي ولا تسألني عمّا ورائي .

فقال : **يا أخي ، إنّه لا يسعني أن تجاوزني حتّى أعلم علمك .**

---

(١) الخرائج والجرائح : ٥٣٨/٢ ، الحديث ١٤ . بحار الأنوار : ٣٠/٤٣ ، الحديث ٣٧ . مجمع النورين : ٣٣ .

فقال : يا أبا الحسن ، رغبةً إلى الله وإليك أن تخلّي سبيلي ولا تكشفني عن حالي .

فقال له : **يا أخي ، إنّه لا يسعك أن تكتمني حالك .**

فقال : يا أبا الحسن ، أمّا إذا أبيت فوالذي أكرم محمّداً بالنبوّة ، وأكرمك بالوصيّة ما أزعجني من رحلي إلّا الجهد ، وقد تركت عيالي يتضاغون من الجوع ، فلمّا سمعت بكاء العيال لم تحملني الأرض ، فخرجت مهموماً وراكباً رأسي ، هذه حالي وقصّتي ، فانهملت عينا عليّ عليه السلام بالبكاء حتّى بلّت دمعته لحيته ، فقال له : **أحلف بالذي حلفت ، ما أزعجني إلّا الذي أزعجك من رحلك ، فقد استقرضت ديناراً وقد آثرتك على نفسي ،** فدفع الدينار إليه ورجع حتّى دخل مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله ، فصلّى فيه الظهر والعصر والمغرب .

فلمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله المغرب مرّ بعليّ بن أبي طالب ، وهو في الصفّ الأوّل ، فغمزه برجله ، فقام عليّ عليه السلام معتقباً خلف رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى لحقه على باب من أبواب المسجد ، فسلّم عليه فردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : **يا أبا الحسن ، هل عندك شيء نتعشّاه فنميل معك ؟**

فمكث مطرقاً لا يحير جواباً حياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يعلم ما كان من أمر الدينار ، ومن أين أخذه ، وأين وجّهه ، وقد كان أوحى الله تعالى إلى نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله أن يتعشّى الليلة عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فلمّا نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى سكوته ، قال : **يا أبا الحسن ، ما لك لا تقول : لا ، فأنصرف ، أو تقول : نعم ، فأمضي معك .**

فقال حياءً وتكرّماً : **فاذهب بنا .**

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يد عليّ بن أبي طالب عليه السلام فانطلقا حتّى دخلا على فاطمة الزهراء عليها السلام وهي في مصلّاها قد قضت صلواتها ، وخلفها جفنة تفور دخاناً ، فلمّا سمعت كلام رسول الله صلى الله عليه وآله في رحلها خرجت من مصلّاها فسلّمت عليه ، وكانت أعزّ النّاس عليه ، فردّ عليها السلام ومسح بيده على رأسها ، وقال لها : **يا بنتاه ،**

كيف أمسيت رحمك الله تعالى ، عشّينا غفر الله لك ، وقد فعل .

فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدي النبيّ ﷺ وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فلمّا نظر عليّ وشمّ ريحه رمى فاطمة ببصره رمياً شحيحاً ، فقالت له فاطمة : سبحان الله ، ما أشحّ نظرك وأشدّه ، هل أذنبت فيما بيني وبينك ذنباً استوجبت به السخط ؟

قال : وأيّ ذنب أعظم من ذنب أصبتيه ، أليس عهدي إليك اليوم الماضي وأنت تحلفين بالله مجتهدة ما طعمت طعاماً منذ يومين ؟

قال : فنظرت إلى السماء فقالت : إلٰهي يعلم في سمائه ويعلم في أرضه أنّي لم أقل إلّا حقّاً ، فقال لها : يا فاطمة ، أنّى لك هذا الطعام الذي لم أرَ مثل لونه قطّ ، ولم أشمّ مثل ريحه قطّ ، وما أكلت أطيب منه قطّ ؟

قال : فوضع رسول الله ﷺ كفّه الطيّبة المباركة بين كتفي عليّ عليه السلام فغمزها ، ثمّ قال : يا عليّ ، هذا بدل دينارك ، وهذا جزاء دينارك من عند الله ، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب ، ثمّ استعبر النبيّ ﷺ باكياً .

ثمّ قال : الحمد لله الذي أبى لكما أن تخرجا من الدنيا حتّى يجريكما مجرى زكريا ، ويجري فاطمة مجرى مريم بنت عمران ، ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1] ، فأكلوا منها شهراً »[2] .

قال الباقر عليه السلام : « وهي الجفنة التي يأكل منها القائم عليه السلام ، وهي عندنا »[3] .

---

(١) آل عمران ٣ : ٣٧ .

(٢) تفسير العيّاشي : ١٧١/١ ، الحديث ٤١ . كشف الغمّة : ٩٧/٢ . أمالي الطوسي : ٦١٥ ، الحديث ١٢٧٢ . تفسير فرات : ٨٣ ، الحديث ٦٠ .

(٣) تفسير العيّاشي : ١٧٢/١ ، الحديث ٤١ .

وروى الراوندي في **«الخرائج»**: عن سلمان، قال: «كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدّامها رحى تطحن بها الشعير، [وقد جرحت يدها] وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين عليه السلام في ناحية الدار يتضوّر من الجوع، فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفّاك وهذه فضّة!

فقالت: **أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يوماً، فكان أمس يوم خدمتها.**

قال سلمان: قلت: إنّي مولى عتاقة، أمّا أن أطحن الشعير أو اسكّت الحسين لك، فقالت: **أنا بتسكينه أرفق، وأنت تطحن الشعير**، فطحنت شيئاً من الشعير فإذا أنا بالأذان والإقامة، فمضيت وصلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا فرغت قلت لعليّ: ما رأيت؟ فبكى وخرج، ثمّ عاد فتبسّم، فسأله عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **دخلت على فاطمة وهي مستلقية لقفاها، والحسين نائم على صدرها، وقدّامها رحى تدور من غير يد**، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: **يا عليّ، أما علمت أنّ لله ملائكة سيّارة في الأرض يخدمون محمّداً وآل محمّد إلى أن تقوم الساعة**»[1].

ولله درّ الخليعي حيث يقول:

لم أبكِ ربعاً للأحبّة قد خلا ... وعفى وغيّره الجديد وأمحلا
كلّا ولا كلّفت صحبي وقفة ... في الدار إذ لم أشف صبّاً علّلا
ومطارح النادي وغزلان النقا ... والجزع لم أحفل بها متغزّلا
وبواكر الأضغان لم أسكب لها ... دمعاً ولا خلّ نأىٰ وترحّلا
لكن بكيت لفاطمة ولمنعِها ... فدكاً وقد أتت الخؤون الأوّلا
إذ طالبته بإرثها فروى لها ... خبراً ينافي المحكم المتنزّلا

---

(١) الخرائج والجرائح: ٢/٥٣٠، الحديث ٦، وما بين المعقوفين لم يرد فيه.

لهفي لها وجفونها قرحى وقد حملت من الأحزان عبأ مثقلا
وقد أغتدت منفيّة وحميّها مستطيّراً بسبكائها مستثقلا
تخفي تفجّعها وتخفض صوتها وتظلّ نادبة أباها المرسلا
تبكي على تكدير عيش ما صفا من بعده ومرير عيش ما حلا
لم أنسها إذ أقبلت في نسوة من قومها تروي مدامعها الملا
وتنفّست صعداً ونادت أيّهاالـ أنصار يا أهل الجماعة
والكلاأترون يانجبالرجال وأنتم أنصارنا وحماتنا أن نخذلا
ما لي وما لدعيّ تيم دعّني إرثي وظلّ مكذّباً ومبدّلا
أعليه قد نزل الكتاب مبيّناً حكم الفرائض أم علينا أنزلا
أم خصّه المبعوث منه بعلم ما أخفاه عنّا كي نضلّ ونجهلا
أم أنزلت آي بمنعي إرثهِ قد كان يُخفيها النبيّ إذا تلا
أم كان في حكم النبيّ وشرعهِ نقصٌ فتمّمه الغويّ وكمّلا
أم كان ديني غير دين أبي فلا ميراث لي منه وَليسَ له ولا
قوموا بنصري إنّها لغنيمة لمن اغتدى لي ناصراً مُتكفّلا
واستعطفوهُ وخوّفوه وأشهدوا ذلّي له وجفاه لي بين الملا
إن لجّ في سخطي فقد عدم الرضا من ذي الجلال وللعقاب تعجّلا
أو دام في طغيانه فقد اقتنى لعناً على مرّ الزمان مطوّلا
أين المودّة والقرابة يا ذوي الـ إيمان ما هذي القطيعة والقلا
أفهل عسيتم إن تولّيتم بأنْ تمضوا على سنن الجبابرة الأُولا
وتنكّبوا نهج السبيل بقطع ما أمر الإله عباده أن يُوصلا

فلقد أزلّكم الهوى وأحلّكم دار البوار من الجحيم وأوحلا
ولسوف يُعقب ظلمكم أن تتركوا ولدي برمضاء الطفوف مرمّلا
في فتية مثل البدور كواملاً عرض المحاق بها فأضحت أُفّلا
وأقوم من حلل اللحود حزينة والقوم قد نزلت بهم عبر البلا
ويروعني نقط القنا بجسومهم ويسوءني شكل السيوف على الطلا
فأقبّل النحر الخضيب وأمسحُ الـ ـوجه التريب مُضمّخاً
ومجدّلاويقوم سيّدنا النبيّ ورهطه متلهّفاً متأسّفاً متقلقلا
فيرى الغريبَ المُستظامَ النازح الـ أوطان مُلقى في الثرى ما غسّلا
وتقوم آسية وتأتي مريم يَبكين من كرب بعرصَة كربلا
ويطفن حولي نادبات الجنّ إشـ ـفاقاً عليّ يفضن دمعاً مسبلا
وتضجّ أملاك السماء لعبرتي وتعجّ بالشكوى إلى ربّ العلا
وأرى بناتي يشتكين حواسراً نهب المعاجر والهات ثكّلا
وأرى إمام العصر بعد أبيه في صفد الحديد مُغلّلاً ومعلّلا
وأرى كريم مؤمّلي في ذابل كالبدر في ظلم الدياجي يجتلى
يهدى إلى الرجس اللعين فيشتفي منه فؤاد بالحقود قد امتلا
ويظلّ يقرع منه ثغراً طالما قِدماً ترشّفه النبيّ وقبّلا
ومظلّل أضحى يوطّئ عذرهُ ويقول وهو من البصيرة قد خلا
لو لم يحرّم أحمد ميراثه لم يمنعوه أهله وتأوّلا [1]

(١) بحار الأنوار: ٢٥٨/٤٥، الرقم ١٦. العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ٥٦١، الرقم ١٦.

المجلس الخامس عشر

أيّها الإخوان في الإيمان والدين ، والخلّان في الشرع المبين ، لو أحاط الناس بفضل سيّدة نساء العالمين ، وثمرة فؤاد خاتم النبيّين ، ونور عين سيّد المرسلين ، وزوجة عليّ سيّد الوصيّين ، ووالدة سيّدي شباب أهل الجنّة أجمعين ، وأمّ الأئمّة الميامين ، والعترة الطاهرين ، البتول الزهراء ، والإنسيّة الحوراء ، الذي زوّجها الله في السماء ، وكان شهودها الملائكة الأمناء ، لذهلت عقولهم ، وحارت أفكارهم ، وتحيّرت بصائرهم ، ولكن لا ينتهي عن الضلال ، من رغب عن الآل ، وغدت على قلوبه أقفال ، وتحمّل الذنوب والأوزار الثقال ، ولوصفت أفكار المتفكّرين ، لأشرقت عليها أنوار اليقين ، ولو طلب طريق الحقّ بالتحقيق ، لأدرك الطالب سوء له ، وخرج عن المضيق ، ولكن كثرة الشوائب يصدر عنها الرأي العازب .

كيف وقد شهدت بفضلهم التوراة والإنجيل ، وبمدحهم العظيم محكم التنزيل .

فيا إخواني ، أي شرف أعظم من شرف من يُخدم بالملائكة المقرّبين إلى ربّ العالمين ، وهي المطهّرة الطاهرة ذات المعجزات الباهرة ، والمناقب الفاخرة ، والكرامات الظاهرة ، والدها سيّد المرسلين ، وخاتم النبيّين ، وأفضل الأوّلين والآخرين ، وبعلها أمير المؤمنين ، وسيّد الوصيّين ، وقائد الغرّ المحجّلين ، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، وأولادها عيون الله في العباد ، وحججه على أهل البلاد ، والهادون إلى الرشاد ، أصل الفخار ، وغرّة شمس النهار ، وشجرة أصلها النبيّ

المختار ، وفرعها الأئمّة الأطهار ، الذين أتى مدحهم في كتاب الله ظاهراً منيراً ، وأذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

روى الصدوق في «**الأمالي**» بإسناد معتبر : عن المفضل بن عمر ، قال : « قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام : كيف كانت ولادة فاطمة ؟

فقال عليه السلام : نعم ، إنّ خديجة لمّا تزوّج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكّة ، فكنّ لا يدخلن إليها ولا يسلّمن عليها ، ولا يتركن امرأة تدخل عليها ، فاستوحشت خديجة لذلك ، وكان جزعها وغمّها حذراً عليه صلى الله عليه وآله .

فلمّا حملت بفاطمة عليها السلام كانت فاطمة تحدّثها من بطنها وتصبّرها ، وكانت تكتم ذلك من رسول الله ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة ، فقال لها : يا خديجة ، من تحدّثين ؟

قالت : إنّ الجنين الذي في بطني يحدّثني ويؤنسني .

قال : يا خديجة ، هذا جبرئيل يخبرني أنّها أنثى ، وأنّها النسلة الطاهرة الميمونة ، وأنّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها ، وسيجعل من نسلها أئمّة ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه .

فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرت ولادتها ، فوجّهت إلى نساء قريش وبني هاشم أن تعالين لتلين منّي ما تلي النساء من النساء ، فأرسلن إليها : أنت عصيتينا ولم تقبلي قولنا وتزوّجت محمّداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له ، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً ، فاغتمّت خديجة لذلك .

فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال ، كأنّهنّ من نساء بني هاشم ، ففزعت منهنّ لمّا رأتهن ، فقالت إحداهن : لا تحزني يا خديجة ، فإنّا رُسُل ربّك إليك ، ونحن أخواتك : أنا سارة ، وهذه آسية بنت مزاحم ، وهي رفيقتك في الجنّة ، وهذه مريم بنت عمران ، وهذه كلثم أخت موسى بن عمران ، بعثنا الله إليك لنلي منك

ما تلي النساء من النساء .

فجلست واحدة عن يمينها ، وأُخرى عن يسارها ، والثالثة بين يديها ، والرابعة من خلفها ، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهّرة ، فلمّا سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتّى دخل بيوتات مكّة ولم يبق في شرق الأرض وغربها موضع إلّا وأشرق فيه ذلك النور ، ودخل عشر من الحور العين ، كلّ واحدة منهنّ معها طشت من الجنّة وإبريق من الجنّة وفي الإبريق ماء من الكوثر ، فناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسّلتها بماء الكوثر ، فأخرجت خرقتين بيضاوين أشدّ بياضاً من اللبن ، وأطيب ريحاً من المسك والعنبر ، فلفّتها بواحدة وقنّعتها بالثانية ، ثمّ استنطقتها ، فنطقت فاطمة بالشهادتين ، وقالت : أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ أبي رسول الله سيّد الأنبياء ، وأنّ بعلي عليّاً سيّد الأوصياء ، وولديّ سادة الأسباط .

ثمّ سلّمت عليهنّ وسمّت كلّ واحدة باسمها ، وأقبلن يضحكن إليها ، وتباشرت الحور العين ، وبشّر أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة ، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك ، وقالت النسوة : خذيها ـ يا خديجة ـ طاهرة مطهّرة زكيّة ميمونة ، بورك فيها وفي نسلها ، فتناولتها فرحة مستبشرة ، وألقمتها ثديها ، فدرّ عليها ، فكانت فاطمة تنمو في اليوم كما ينمو الصبيّ في الشهر ، وتنمو في الشهر كما ينمو الصبيّ في السنة»[1] .

وروى العامّة والخاصّة عن أمير المؤمنين عليه السلام وأمّ سلمة وسلمان : « إنّه لمّا أدركت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مدرك النساء خطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام والشرف والمال ، وكان كلّما ذكرها رجل من قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله أعرض عنه رسول الله بوجهه ، حتّى كان الرجل منهم يظنّ في نفسه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ساخط عليه ، أو قد نزل عليه فيه وحي من السماء .

(١) أمالي الصدوق : ٦٩٠ ، الحديث ٩٤٧ . بحار الأنوار : ٢/٤٣ ، الحديث ١ .

ولقد خطبها من رسول الله ﷺ أبو بكر ، قال له رسول الله ﷺ : **أمرها إلى ربّها** .

وخطبها بعد أبي بكر عمر بن الخطّاب ، فقال له رسول الله ﷺ كمقالته لأبي بكر .

قال : وإنّ أبا بكر وعمر كانا ذات يوم جالسَين في مسجد رسول الله ومعهما سعد بن معاذ الأنصاري ثمّ الأوسي ، فتذاكر أمر من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر : قد خطبها الأشراف من رسول الله ، فقال : **إنّ أمرها إلى ربّها ، إن شاء أن يزوّجها زوّجها** ، وأنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يخطبها بعد من رسول الله ﷺ ، ولم يذكرها له ، ولا أراه يمنعه من ذلك إلّا قلّة ذات اليد ، وأنّه ليقع في نفسي أنّ الله عزّ وجلّ ورسوله إنّما يحبسانها عليه .

قال : ثمّ أقبل أبو بكر على عمر بن الخطّاب وعلى سعد بن معاذ ، فقال : هل لكما في القيام إلى عليّ بن أبي طالب حتّى نذكر له هذا ، فإن منعه قلّة ذات اليد واسيناه وأسعفناه ، فقال له سعد بن معاذ : وفّقك الله يا أبا بكر ، فما زلت موفّقاً ، قوموا بنا على بركة الله ويمنه .

قال سلمان الفارسي : فخرجوا من المسجد والتمسوا عليّاً في منزله ، فلم يجدوه ، وكان ينضح ببعير كان له ، الماء على نخل رجل من الأنصار بأُجرة ، فانطلقوا نحوه ، فلمّا نظر إليهم عليّ عليه السلام قال : **ما وراءكم ، وما الذي جئتم له ؟**

فقال له أبو بكر : يا أبا الحسن ، إنّه لم يبق خصلة من خصال الخير إلّا ولك فيها سابقة وفضل ، وأنت من رسول الله ﷺ بالمكان الذي قد عرفت من القرابة والصحبة والسابقة ، وقد خطب الأشراف من قريش إلى رسول الله ﷺ ابنته فاطمة ، فردّهم وقال : **إنّ أمرها إلى ربّها ، إن شاء أن يزوّجها زوّجها** ، فما يمنعك أن تذكرها لرسول الله وتخطبها منه ، فإنّي أرجو أن يكون الله عزّ وجلّ ورسوله إنّما يحبسانها عليك .

قال : فتغرغرت عينا عليّ عليه السلام بالدموع ، وقال : **يا أبا بكر ، لقد هيّجت منّي ساكناً ، وأيقظتني لأمر كنت عنه غافلاً ، والله ! إنّ فاطمة لموضع رغبة ، وما مثلي قعد عن مثلها ،**

غير أنّه يمنعني من ذلك قلّة ذات اليد .

فقال أبو بكر: لا تقل هذا يا أبا الحسن ، فإنّ الدنيا وما فيها عند الله تعالى ورسوله كهباء منثور .

قال : ثمّ إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام حلّ عن ناضحه وأقبل يقوده إلى منزله ، فشدّه فيه ، ولبس نعله ، وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكان رسول الله في منزل زوجته أُمّ سلمة ابنة أبي أُميّة بن المغيرة المخزومي ، فدقّ عليّ الباب ، فقالت أمّ سلمة : مَن بالباب ؟

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل أن يقول عليّ : أنا ، عليّ ، **قومي يا أمّ سلمة فافتحي له الباب ، ومريه بالدخول ، فهذا رجل يحبّه الله ورسوله ، ويحبّهما .**

فقالت أُمّ سلمة : فداك أبي وأُمّي ، ومن هذا الرجل الذي تذكر فيه وأنت لم تره ؟

فقال : **مَه يا أمّ سلمة ، فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق ، هذا أخي ، وابن عمّي ، وأحبّ الخلق إليّ .**

قالت أُمّ سلمة : فقمت مبادرة أكاد أن أعثر بمرطي ، ففتحت الباب ، فإذا أنا بعليّ بن أبي طالب ، ووالله ! ما دخل حين فتحت الباب حتّى علم أنّي قد رجعت إلى خدري ، ثمّ إنّه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : **السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .**

فقال له النبيّ : **وعليك السلام يا أبا الحسن ، اجلس .**

قالت أُمّ سلمة : فجلس عليّ عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وجعل ينظر إلى الأرض كأنّه قصد الحاجة وهو يستحي أن يبديها ، فهو مطرق إلى الأرض حياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقالت أُمّ سلمة : فكأنّ النبيّ علم ما في نفس عليّ عليه السلام فقال له : **يا أبا الحسن ، إنّي أرى أنّك أتيت لحاجة ، فقل حاجتك وأبدِ ما في نفسك ، فكلّ حاجة لك عندي مقضيّة .**

قال عليّ عليه السلام : **فقلت : فداك أبي وأمّي ، إنّك لتعلم أنّك أخذتني من عمّك أبي طالب**

ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبيّ لا عقل لي ، فغذّيتني بغذائك ، وأدّبتني بأدبك ، فكنت إليّ أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البرّ والشفقة ، وأنّ الله تعالى هداني بك وعلى يديك ، واستنقذني ممّا كان عليه آبائي وأعمامي من الحيرة والشكّ ، وإنّك ـ والله ـ يا رسول الله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة . يا رسول الله ، فقد أحببت مع ما شدّ الله من بك عضدي أن يكون لي بيت ، وأن يكون لي زوجة أسكن إليها ، وقد أتيتك خاطباً راغباً ، أخطب إليك ابنتك فاطمة ، فهل أنت مزوّجي يا رسول الله ؟

قالت أمّ سلمة : فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلّل فرحاً وسروراً ، ثمّ تبسّم في وجه عليّ عليه السلام ، فقال : يا أبا الحسن ، فهل معك شيء أزوّجك به ؟

فقال عليّ عليه السلام : فداك أبي وأمّي ، ما يخفى عليك من أمري شيء ، وأنا أملك سيفي ودرعي وناضحي ، وما أملك شيئاً غير هذا .

فقال له رسول الله ﷺ : يا عليّ ، أمّا سيفك فلا غناء بك عنه ، تجاهد به في سبيل الله ، وتقاتل به أعداء الله ، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك ، وتحمل عليه رحلك في سفرك ، ولكنّي قد زوّجتك بالدرع ، ورضيت بها منك . يا أبا الحسن ، أبشّرك ؟

قال عليّ عليه السلام : فقلت : نعم ، فداك أبي وأمّي بشّرني ، فإنّك لم تزل ميمون النقيبة ، مبارك الطائر ، رشيد الأمر ، صلّى الله عليك .

فقال : أبشر يا أبا الحسن ، فإنّ الله عزّ وجلّ قد زوّجكها في السماء من قبل أن أزوّجكها في الأرض ، ولقد هبط عليّ في موضعي من قبل أن تأتيني ملك من السماء له وجوه شتّى ، وأجنحة شتّى ، لم أرَ قبله من الملائكة مثله ، فقال لي : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أبشر يا محمّد باجتماع الشمل ، وطهارة النسل ، فقلت : وما ذاك أيّها الملك ؟ فقال لي : يا محمّد ، أنا سبطائيل الملك الموكّل بإحدى قوائم العرش ، سألت ربّي عزّ وجلّ أن يأذن لي في بشارتك ، وهذا جبرئيل في أثري يخبرك عن ربّك عزّ وجلّ بكرامة الله عزّ وجلّ .

قال النبيّ ﷺ : فما استتمّ كلامه حتّى هبط عليّ جبرئيل ، فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، يا نبيّ الله ، ثمّ إنّه وضع في يدي حريرة بيضاء من حرير الجنّة ، وفيها سطران مكتوبان بالنور ، فقلت : حبيبي جبرئيل ، ما هذه الحريرة ، وما هذه الخطوط ؟

فقال جبرئيل عليه السلام : يا محمّد ، إنّ الله عزّ وجلّ اطّلع إلى الأرض اطّلاعة ، فاختارك من خلقه ، فابتعثك برسالته ، ثمّ اطّلع إلى الأرض ثانية فاختار لك منها أخاً ووزيراً وصاحباً وختناً ، فزوّجه ابنتك فاطمة .

فقلت : حبيبي جبرئيل ، ومَن هذا الرجل ؟

فقال لي : يا محمّد ، أخوك في الدنيا ، وابن عمّك في النسب ، عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأنّ الله أوحى إلى الجنان أن تزخرفي ، فتزخرفت ، وإلى شجرة طوبى : احملي الحليّ والحلل وتزيّنت الحور العين ، وأمر الله الملائكة أن تجتمع في السماء الرابعة عند البيت المعمور ، فهبط من فوقها إليها ، وصعد من تحتها إليها .

وأمر الله عزّ وجلّ رضوان فنصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور ، وهو الذي خطب عليه آدم يوم عرض الأسماء على الملائكة ، وهو منبر من نور ، فأوحى الله إلى ملك من ملائكة الحجب يقال له راحيل أن يعلو ذلك المنبر وأن يحمده بمحامده ويمجّده بتمجيده ، وأن يثني عليه بما هو أهله ، وليس في الملائكة أحسن منطقاً ، ولا أحلى لغة من راحيل الملك ، فعلا المنبر وحمد ربّه ومجّده وقدّسه وأثنى عليه بما هو أهله ، فارتجّت السماوات فرحاً وسروراً »[1] .

قال جبرئيل عليه السلام : ثمّ أوحى الله إليّ أن أعقد عقدة النكاح ، فإنّي قد زوّجت أمتي فاطمة بنت حبيبي محمّد ﷺ عبدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فعقدت عقدة النكاح ،

(١) مناقب الخوارزمي : ٣٤٣ ، الحديث ٣٦٤ . كشف الغمّة : ١/٣٦٣ . بحار الأنوار : ٤٣/١٢٤ ، الحديث ٣٢ .

وأشهدت على ذلك الملائكة أجمعين، وكتبت شهادتهم في هذه الحريرة، وقد أمرني ربّي عزّ وجلّ أن أعرضها عليك، وأن أختمها بخاتم مسك، وأن أدفعها إلى رضوان، وأنّ الله عزّ وجلّ لمّا أشهد الملائكة على تزويج عليّ عليه السلام من فاطمة عليها السلام أمر شجرة طوبى أن تنثر حملها من الحليّ والحلل، فنثرت ما فيها، فالتقطته الملائكة والحور العين، وأنّ الحور العين ليتهادينه ويفخرن به إلى يوم القيامة.

يا محمّد، إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن آمرك أن تزوّج عليّاً في الأرض بفاطمة، وتبشّرهما بغلامين زكيّين نجيبين طاهرين طيّبين خيّرين فاضلين في الدنيا والآخرة.

يا أبا الحسن، فوالله! ما عرج الملك من عندي حتّى دققت الباب، ألا وأنّي منفذ فيك أمر ربّي عزّ وجلّ. امضِ يا أبا الحسن أمامي، فإنّي خارج إلى المسجد ومزوّجك على رؤوس النّاس، وذاكر من فضلك ما تقرّ به عيناك وأعين محبّيك في الدنيا والآخرة.

قال عليّ عليه السلام: **فخرجت من عند رسول الله صلى الله عليه وآله مسرعاً وأنا لا أعقل فرحاً وسروراً، فاستقبلني أبو بكر وعمر فقالا: ما وراءك؟**

فقلت: زوّجني رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة عليها السلام، وأخبرني أنّ الله عزّ وجلّ زوّجنيها في السماء، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله خارج في أثري ليظهر ذلك بحضرة النّاس، ففرحا بذلك فرحاً شديداً، ورجعا معي إلى المسجد، فما توسّطناه حتّى لحق بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ وجهه ليتهلّل سروراً وفرحاً، فقال: يا بلال.

فأجابه فقال: لبّيك يا رسول الله.

قال: إجمع إليّ المهاجرين والأنصار، فجمعهم ثمّ رقى درجة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: معاشر المسلمين، إنّ جبرئيل أتاني آنفاً فأخبرني عن ربّي عزّ وجلّ أنّه جمع الملائكة عند البيت المعمور، وأنّه أشهدهم جميعاً أنّه زوّج أمته فاطمة ابنة رسول الله من عبده عليّ بن أبي طالب، وأمرني أن أزوّجه في الأرض، وأشهدكم على ذلك، ثمّ جلس وقال لعليّ عليه السلام: قم يا أبا الحسن فاخطب أنت لنفسك.

قال : فقام وحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبيّ ﷺ وقال : الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه ، ولا إلٰه إلّا الله شهادة تبلغه وترضيه ، وصلّى الله على محمّد صلاة تزلفه وتحظيه ، والنكاح ممّا أمر الله عزّ وجلّ به ورضيه ، ومجلسنا هذا ممّا قضاه الله وأذن فيه ، وقد زوّجني رسول الله ابنته فاطمة ، وجعل صداقها درعي هذا ، وقد رضيت بذلك ، فاسألوه واشهدوا ، فقال المسلمون لرسول الله ﷺ : زوّجته يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، فقالوا : بارك الله لهما وعليهما وجمع شملهما ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أزواجه » - الحديث[1] .

« ثمّ دخل على فاطمة وهي تبكي ، فقال لها : ما يبكيك ، فوالله ! لو كان في أهل بيتي خير منه زوّجتك ، وما أنا زوّجتك ، ولكنّ الله زوّجك ، وأصدق عنك الخُمس ما دامت السماوات والأرض .

قال عليّ عليه السلام : ثمّ قال رسول الله ﷺ : قم فبع الدرع ، فقمت فبعته وأخذت الثمن ودخلت على رسول الله ﷺ فسكبت الدراهم في حجره ، فلم يسألني كم هي ، ولا أنا أخبرته ، ثمّ قبض قبضة ودعا بلالاً فأعطاه ، وقال : ابتع لفاطمة طيباً .

ثمّ قبض رسول الله ﷺ من الدراهم بكلتا يديه فأعطاه أبا بكر ، وقال : ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت ، وأردفه بعمّار بن ياسر وبعدّة من أصحابه ، فحضروا السوق ، وكانوا يعترضون الشيء ممّا يصلح فلا يشرونه حتّى يعرضوه على أبي بكر ، فإن استصلحه اشتروه ، فكان ممّا اشتروه قميص بسبعة دراهم ، وخمار بأربعة دراهم ، وقطيفة سوداء خيبريّة ، وسرير مزمّل بشريط ، وفراشين من خيش مصر ، حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من جزّ الغنم ، وأربع مرافق من أدم الطائف حشوها أذخر ، وستر من صوف ، وحصير هجري ، ورحا لليد ، ومخضب من نحاس ، وسقي من أدم ، وقعب

---

(١) مناقب الخوارزمي : ٣٤٧ ، الحديث ٣٦٤ . كشف الغمّة : ٤٦٧/١ . بحار الأنوار : ١٢٨/٤٣ ، الحديث ٣٢ .

للّبن، وشنّ للماء، ومطهرة مزفّتة، وجرّة خضراء، وكيزان خزف، حتّى إذا استكمل الشراء حمل أبو بكر بعض المتاع وحمل أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا معه الباقي.

فلمّا عرض المتاع على رسول الله ﷺ جعل يقلّبه بيده، ويقول: بارك الله لأهل البيت»[1].

وفي رواية أُخرى: «فلمّا نظر رسول الله ﷺ إليه بكى وجرت دموعه، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللّهمّ بارك لقوم جلّ آنيتهم الخزف[2].

ثمّ قال عليّ عليه السلام: فأقمت بعد ذلك شهراً أُصلّي مع رسول الله ﷺ وأرجع إلى منزلي ولا أذكر شيئاً من أمر فاطمة عليها السلام، ثمّ قلن أزواج رسول الله ﷺ: ألا نطلب لك من رسول الله دخول فاطمة عليها السلام عليك؟

فقلت: افعلن، فدخلن عليه، فقالت أُمّ أيمن: يا رسول الله، لو أنّ خديجة باقية لقرّت عيناً بزفاف فاطمة عليها السلام، وأنّ عليّاً يريد أهله، فقرّ عين فاطمة ببعلها، واجمع شملهما، وقرّ عيوننا بذلك.

فقال ﷺ: فما بال عليّ لا يطلب منّي زوجته، فقد كنّا نتوقّع ذلك منه؟

قال عليّ عليه السلام: فقلت: الحياء يمنعني يا رسول الله، فالتفت إلى النساء فقال: مَن هاهنا؟

فقالت أُمّ سلمة: أنا أُمّ سلمة، وهذه زينب، وهذه فلانة وفلانة، فقال رسول الله ﷺ: هيّئوا لابنتي وابن عمّي في حُجَري بيتاً.

فقالت أُمّ سلمة: في أيّ حجرة يا رسول الله؟

فقال ﷺ: في حجرتك، وأمر نساءه أن يزيّنّ ويصلحن من شأنها.

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٠، الحديث ٤٥. بحار الأنوار: ٩٤/٤٣، الحديث ٥.

(٢) كشف الغمّة: ٣٦٩/١. مناقب الخوارزمي: ٣٤٩، الحديث ٣٦٤.

قالت أمّ سلمة : فسألت فاطمة : هل عندك طيب ادّخرتيه لنفسك ؟

قالت : نعم ، فأتت بقارورة ، فسكبت منها في راحتي فشممت منها رائحة ما شممت بمثلها قطّ ، فقلت : ما هذا ؟

فقالت[1] : كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله ﷺ فيقول لي : يا فاطمة ، هات الوسادة فاطرحيها لعمّك ، فأطرح له الوسادة ، فيجلس عليه ، فإذا نهض سقط من بين ثيابه شيء ، فيأمرني بجمعه ، فسأل عليّ عليه السلام رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال : هو عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل عليه السلام » .

وفي رواية أخرى : « أنّها صلوات الله عليها أتت أيضاً بماء ورد فسألت أمّ سلمة عنه ، فقالت : هذا عرق رسول الله ﷺ كنت آخذه عند قيلولة النبيّ عندي وأجعله في قاررورة .

قال عليّ عليه السلام : ثمّ قال لي رسول الله : يا عليّ ، اصنع لأهلك طعاماً فاضلاً ، ثمّ قال : من عندنا اللحم والخبز ، وعليك التمر والسمن ، فاشتريت تمراً وسمناً ، فحسر رسول الله عن ذراعه وجعل يشدخ التمر في السمن حتّى اتّخذه حيساً ، وبعث إلينا كبشاً سميناً فذبح ، وخبز لنا خبزاً كثيراً .

ثمّ قال لي رسول الله ﷺ : ادع من أحببت ، فأتيت المسجد وهو مشحن بالصحابة ، فما أحببت أن أشخّص قوماً وأدع قوماً ، ثمّ صعدت على ربوة هناك وناديت : أجيبوا إلى وليمة فاطمة ، فأقبل النّاس ارسالاً ، فاستحييت من كثرة النّاس وقلّة الطعام ، فعلم رسول الله ﷺ ما تداخلني ، فقال : يا عليّ إليّ ، سأدعو الله بالبركة .

قال عليّ عليه السلام : فأكل القوم عن آخرهم طعامي ، وشربوا شرابي ، ودعوا لي بالبركة ،

---

(١) في نسخة الأصل : «فقالت : إنّه عرق رسول الله ﷺ كنت أتّخذه عند قيلولة النبيّ وأجعله في قارورة » .

وفي رواية أخرى : « إنّه عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل» بدل : «فقالت : كان دحية الكلبي . . . وأجعله في قارورة» .

وصدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل ، ولم ينقص من الطعام شيء ، ثمّ دعا رسول الله ﷺ بالصحاف فملئت ، ووجّه بها إلى منازل أزواجه ، ثمّ أخذ صحيفة وجعل فيها طعاماً وقال : هذا لفاطمة وبعلها ، حتّى إذا انصرفت الشمس للغروب قال رسول الله ﷺ : يا أمّ سلمة ، هلمّي فاطمة ، فانطلقت فأتت بها ، وهي تسحب أذيالها ، وقد تصبّبت عرقاً حياءً من رسول الله ﷺ ، فعثرت .

فقال رسول الله ﷺ : أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة ، فلمّا وقفت بين يديه كشف الرداء عن وجهها حتّى رآها عليّ عليه السلام ، ثمّ أخذ يدها فوضعها في يد عليّ وقال : بارك الله لك في ابنة رسول الله. يا عليّ ، نِعم الزوجة فاطمة ، ويا فاطمة ، نِعم البعل عليّ ، انطلقا إلى منزلكما ، ولا تحدثا أمراً حتّى آتيكما .

قال عليّ عليه السلام : فأخذت بيد فاطمة وانطلقت بها حتّى جلست في جانب الصفّة وجلست في جانبها ، وهي مطرقة إلى الأرض حياءً منّي ، وأنا مطرق إلى الأرض حياءً منها ، ثمّ جاء رسول الله ﷺ فقال : مَن هاهنا ؟

فقلنا : ادخل يا رسول الله ، مرحباً بك زائراً وداخلاً ، فدخل فجلس فأجلس فاطمة عن جانبه ، ثمّ قال : يا فاطمة ، آتيني بماء ، فقامت إلى قعب في البيت فملأته ماء ، ثمّ أتته به ، فأخذ جرعة فتمضمض بها ، ثمّ مجّها في القعب ، ثمّ صب منها على رأسها ، ثمّ قال : أقبلي ، فلمّا أقبلت نضح منه بين ثدييها ، ثمّ قال : أدبري ، فلمّا أدبرت ، نضح منه بين كتفيها .

ثمّ قال : اللّهمّ هذه ابنتي ، وأحبّ الخلق إليّ ، اللّهمّ وهذا أخي وأحبّ الخلق إليّ ، اللّهمّ اجعله لك وليّاً ، وبك حفيّاً ، وبارك له في أهله ، ثمّ قال : يا عليّ ، ادخل بأهلك ، بارك الله لك ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد »[1] .

---

(١) أمالي الطوسي : ٤١ ، الحديث ٤٥ . بحار الأنوار : ٩٥/٤٣ ، الحديث ٥ .

وفي رواية أُخرى: «إنّه أخذ عليّاً بيمينه، وفاطمة بشماله، وجمعهما إلى صدره، فقبّل ما بين أعينهما، ودفع فاطمة إلى عليّ عليه السلام، وقال: يا عليّ، نِعم الزوجة زوجتك.

ثمّ أقبل على فاطمة، وقال: يا فاطمة، نعم البعل بعلك، ثمّ قام يمشي بينهما حتّى أدخلهما بيتهما الذي هيّئ لهما [1].

وقال: مرحباً ببحرين يلتقيان، ونجمين يقترنان» [2].

قال عليّ عليه السلام: «ومكث رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك ثلاثاً لا يدخل علينا، فصادف في حجرتنا أسماء بنت عميس الخثعميّة، فقال لها: ما يقفك هاهنا وفي الحجرة رجل؟

فقالت: فداك أبي وأمّي، إنّ الفتاة إذا زفّت إلى زوجها تحتاج إلى امرأة تتعاهدها وتقوم بحوائجها، فأقمت هاهنا لأقضي حوائج فاطمة عليها السلام.

قال: يا أسماء، قضى الله لك حوائج الدنيا والآخرة.

قال عليّ عليه السلام: وكانت غداة قرّة [3]، وكنت أنا وفاطمة تحت العباءة، فلمّا سمعنا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله لأسماء ذهبنا لنقوم، فقال: بحقّي عليكما لا تفترقا حتّى أدخل عليكما، فرجعنا إلى حالنا، ودخل صلى الله عليه وآله وجلس عند رؤوسنا وأدخل رجليه فيما بيننا، وأخذت رجله اليمنى فضممتها إلى صدري، وأخذت فاطمة عليها السلام رجله اليسرى فضمّتها إلى صدرها، وجعلنا ندفّئ رجليه من القرّ، حتّى إذا دفينا قال: يا عليّ، ائتني بكوز من ماء، فأتيته، فتفل فيه ثلاثاً، وقرأ عليه آيات من كتاب الله تعالى، ثمّ قال: يا عليّ، اشربه واترك فيه قليلاً، ففعلت ذلك فرشّ باقي الماء على رأسي وصدري، وقال: أذهب الله عنك الرجس يا أبا الحسن وطهّرك تطهيراً، وقال: ائتني بماء جديد، فأتيته به، ففعل

---

(١) المناقب/الخوارزمي: ٣٥٢. كشف الغمّة: ٣٧١/١. بحار الأنوار: ١٣٢/٤٣، الحديث ٣٢.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ١٣١/٣. بحار الأنوار: ١١٧/٤٣، الحديث ٢٤.

(٣) أي شديدة البرد.

كما فعل ، وسلّمه إلى ابنته عليها السلام ، وقال لها : اشربي واتركي منه قليلاً ، ففعلت فرشّ باقي الماء على رأسها وصدرها ، وقال : أذهب الله عنك الرجس وطهّرك تطهيراً »[1] .



(١) المناقب /الخوارزمي : ٣٥٢ ، الحديث ٣٦٤ .كشف الغمّة : ٣٧١/١ .بحار الأنوار : ١٣٢/٤٣ ، الحديث ٣٢ .

المجلس السادس عشر

في وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله

كانت وفاته صلى الله عليه وآله في يوم الإثنين الثامن والعشرين من صفر، وعليه أكثر الخاصّة[1]، وأكثر العامّة، على أنّه الثاني عشر من ربيع الأوّل[2]، وكان عمره صلى الله عليه وآله في ذلك الوقت ثلاث وستّون سنة، بعد مضيّ عشر سنين من الهجرة.

عن الصادق عليه السلام، قال: **«إذا أُصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله، فإنّ النّاس لن يصابوا بمثله ولن يصابوا بمثله أبداً»**[3].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **«يا عليّ، من أُصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنّها من أعظم المصائب»**[4].

وروى الصدوق في **«الأمالي»**: عن ابن عبّاس، قال: «لمّا مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أصحابه، قام إليه عمّار بن ياسر فقال له: فداك أبي وأُمّي يا رسول الله، مَن

---

(١) مسارّ الشيعة: ٤٦. المقنعة: ٤٥٦. تاج المواليد (المجموعة): ٧. كشف الغمّة: ١٦/١. بحار الأنوار: ٢٨١/١٥، الحديث ٢٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٥٥/٢. الكامل في التاريخ: ٣٢٣/٢. الطبقات الكبرى: ٢٧٢/٢.

(٣) أمالي الطوسي: ٦٨١، الحديث ١٤٤٨. بحار الأنوار: ٢٩٥/٧٥، الحديث ٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٢٠٤/١. بحار الأنوار: ٥٢٢/٢٢، الحديث ٢٩.

يغسّلك منّا إذا كان ذلك منك ؟

قال : **ذلك عليّ بن أبي طالب ؛ لأنّه لا يهمّ بعضو من أعضائي إلّا أعانته الملائكة على ذلك .**

فقال له : فداك أبي وأمّي يا رسول الله ، فمن يصلّي عليك منّا إذا كان ذلك منك ؟

قال : **مَه رحمك الله .**

ثمّ قال لعليّ عليه السلام : **يابن أبي طالب ، إذا رأيت روحي قد فارقت جسدي فاغسلني وأنق غسلي ، وكفّني في طمريّ هذين ، أو في بياض مصر ، وبرد يماني ، ولا تغال في كفني ، واحملوني حتّى تضعوني على شفير قبري ، فأوّل من يصلّي عليَّ الجبّار جلّ جلاله من فوق عرشه ، ثمّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في جنود من الملائكة لا يحصي عددهم إلّا الله جلّ وعزّ ، ثمّ الحافّون بالعرش ، ثمّ سكّان أهل سماء فسماء ، ثمّ جلّ أهل بيتي ونسائي الأقربون فالأقربون ، يومون إيماءً ، ويسلّمون تسليماً ، لا يؤذوني بصوت نادبة ولا برنّة .**

ثمّ قال : **يا بلال ، هلمّ عليَّ بالنّاس** ، فاجتمع النّاس ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله متعصّباً بعمامته ، متوكّأً على قوسه حتّى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : **معاشر أصحابي ، أي نبيّ كنت لكم ، ألم أجاهد بين أظهركم ؟ ألم تكسر رباعيتي ؟ ألم يعفّر جبيني ؟ ألم تسل الدماء على حُرّ وجهي حتّى كنفت لحيتي ؟ ألم أكابد الشدّة والجهد مع جهّال قومي ؟ ألم أربط حجر المجاعة على بطني ؟ .**

قالوا : بلى يا رسول الله ، لقد كنت لله صابراً ، وعن منكر بلاء الله ناهياً ، فجزاك الله عنّا أفضل الجزاء .

قال : **وأنتم فجزاكم الله .**

ثمّ قال : **إنّ ربّي عزّ وجلّ حكم وأقسم أن لا يجوزه ظلم ظالم ، فناشدتكم بالله أيّ رجل منكم كانت له قِبَلَ محمّد مظلمة إلّا قام فليقتصّ منه ، فالقصاص في دار الدنيا أحبّ**

إليَّ من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء .

فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له سوادة بن قيس ، فقال له : فداك أبي وأمّي يا رسول الله ، إنّك لمّا أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء ، وبيدك القضيب الممشوق ، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة ، فأصاب بطني ، فلا أدري عمداً كان أو خطأً ؟

فقال : **معاذ الله أن أكون تعمّدت** ، ثمّ قال : **يا بلال ، قم إلى منزل فاطمة فأتني بالقضيب الممشوق** ، فخرج بلال وهو ينادي في سكك المدينة : معاشر النّاس ، مَن ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة ، فهذا محمّد يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة ، وطرق بلال الباب على فاطمة عليها السلام وهو يقول : يا فاطمة ، قومي فوالدك يريد القضيب الممشوق .

فأقبلت فاطمة وهي تقول : **يا بلال ، وما يصنع والدي بالقضيب ، وليس هذا يوم القضيب ؟**

فقال بلال : يا فاطمة ، أما علمت أنّ والدك قد صعد المنبر وهو يودّع أهل الدين والدنيا ، فصاحت فاطمة وقالت : **واغمّاه لغمّك يا أبتاه من للفقراء والمساكين وابن السبيل ، يا حبيب الله وحبيب القلوب** ، ثمّ ناولت بلالاً القضيب ، فخرج حتّى ناوله رسول الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : **أين الشيخ ؟**

فقال الشيخ : ها أنا ذا يا رسول الله بأبي أنت وأمّي .

فقال : **تعال فاقتصّ منّي حتّى ترضى ؟**

فقال الشيخ : فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله ، فكشف صلى الله عليه وآله عن بطنه ، فقال الشيخ : بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ، أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك ، فأذن له ، فقال : أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النّار يوم النّار .

فقال رسول الله : **يا سوادة بن قيس ، أتعفو أم تقتصّ ؟**

فقال : بل أعفو يا رسول الله .

فقال ﷺ : **اللّهمّ اعف عن سوادة بن قيس كما عفا عن نبيّك محمّد .**

ثمّ قام رسول الله فدخل بيت أمّ سلمة وهو يقول : **ربّ سلّم أمّة محمّد من النّار ، ويسّر عليهم الحساب** ، فقالت أمّ سلمة : يا رسول الله ، ما لي أراك مغموماً متغيّر اللون ؟

فقال : **نُعيت إليّ نفسي هذه الساعة ، فسلام لك في الدنيا ، فلا تسمعين بعد هذا اليوم صوت محمّد أبداً .**

فقالت أمّ سلمة : واحزناه حزناً لا تدركه الندامة عليك يا محمّداه .

ثمّ قال ﷺ : **ادعوا لي حبيبة قلبي ، وقرّة عيني فاطمة تجيئني** ، ثمّ أغمي عليه ، فجاءت فاطمة وهي تقول : **وا لهفاه ، نفسي لنفسك الفداء ، ووجهي لوجهك الوقاء يا أبتاه ، ألا تكلّمني كلمة فإنّي أراك مفارق الدنيا ، وأرى عساكر الموت تغشاك شديداً ؟**

فقال لها : **يا بنيّة ، إنّي مفارقك ، فسلام عليك منّي .**

قالت : **يا أبتاه ، فأين الملتقى ، يوم القيامة ؟**

قال : **عند الحساب .**

قالت : **فإن لم ألقك عند الحساب ؟**

قال : **عند الشفاعة لأمّتي .**

قالت : **فإن لم ألقك عند الشفاعة لأمّتك ؟**

قال : **عند الصراط ، جبرئيل عن يميني ، وميكائيل عن يساري ، والملائكة من خلفي وقدّامي ينادون : ربّ سلّم أمّة محمّد من النّار ، ويسّر عليهم الحساب .**

قالت فاطمة : **فأين والدتي خديجة ؟**

قال : **في قصر له أربعة أبواب إلى الجنّة** ، ثمّ أغمي على رسول الله ﷺ ، فدخل بلال

وهو يقول: الصلاة رحمك الله، فخرج رسول الله وصلّى بالنّاس، وخفّف الصلاة.

ثمّ قال: **ادعوا لي عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد**، فجاءا، فوضع ﷺ يده على عاتق عليّ والأخرى على أسامة، ثمّ قال: **انطلقا بي إلى فاطمة**، فجاءا به حتّى وضع رأسه في حجرها، فإذا الحسن والحسين يبكيان ويصطرخان وهما يقولان: **أنفسنا لنفسك الفداء، ووجوهنا لوجهك الوقاء**.

فقال رسول الله ﷺ: **مَن هذان يا عليّ؟**

قال: **هذان ابناك الحسن والحسين**، فعانقهما وقبّلهما، وكان الحسن عليه السلام أشدّ بكاءً.

فقال ﷺ له: **كفّ يا حسن، فقد شققت على رسول الله**، فنزل ملك الموت وقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال: **وعليك السلام يا ملك الموت**.

فقال له: **لي إليك حاجة؟**

قال: ما حاجتك يا نبيّ الله؟

قال: **حاجتي أن لا تقبض روحي حتّى يجيئني جبرئيل فيسلّم عليَّ وأسلّم عليه**، فخرج ملك الموت وهو يقول: يا محمّداه، فاستقبله جبرئيل في الهواء، [فقال: يا ملك الموت، قبضت روح محمّد؟

قال: لا يا جبرئيل، سألني أن لا أقبضه حتّى يلقاك فتسلّم عليه ويسلّم عليك][1].

فقال جبرئيل: يا ملك الموت، أما ترى أبواب السماء مفتّحة لروح محمّد؟ أما ترى الحور العين قد تزيّنّ لروح محمّد؟ ثمّ نزل جبرئيل فقال: السلام عليك يا أبا القاسم.

فقال: **وعليك السلام يا جبرئيل، أُدن منّي حبيبي**، فدنا منه، فنزل ملك الموت فقال له جبرئيل: يا ملك الموت، احفظ وصيّة الله في روح محمّد، وكان جبرئيل عن

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من الأمالي.

يمينه ، وميكائيل عن يساره ، وملك الموت آخذ بروحه ﷺ ، فلمّا كشف الثوب عن وجه رسول الله نظر إلى جبرئيل فقال له : **عند الشدائد تخذلني ؟**

فقال : يا محمّد ، ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ** ﴾[١] ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾[٢].

قال ابن عبّاس : إنّ رسول الله ﷺ في ذلك المرض كان يقول : **ادعوا لي حبيبي** ، فجعل يدعى له رجل بعد رجل فيعرض عنه ، فقيل لفاطمة عليها السلام : أرسلي إلى عليّ ، فما نرى رسول الله ﷺ يريد غير عليّ ، فبعثت فاطمة إلى عليّ ، فلمّا دخل فتح رسول الله ﷺ عينيه ، وتهلّل وجهه ، ثمّ قال : **إليّ يا عليّ ، إليّ يا عليّ** ، فما زال يدنيه حتّى أخذ بيده ، وأجلسه عند رأسه ، ثمّ أُغمي عليه ، فجاء الحسن والحسين يصيحان ويبكيان حتّى وقعا على رسول الله ، فأراد عليّ عليه السلام أن ينحّيهما عنه ، فأفاق رسول الله ، ثمّ قال : **يا عليّ ، دعني أشمّهما ويشمّاني ، وأتزوّد منهما ويتزوّدان منّي ، أما إنّهما سيُظلمان بعدي ، ويُقتلان ظلماً ، فلعنة الله على مَن يظلمهما** ، يقول ذلك ثلاثاً .

ثمّ مدّ يده إلى عليّ عليه السلام فجذبه إليه حتّى أدخله تحت ثوبه الذي كان عليه ، ووضع فاه على فيه ، وجعل يناجيه مناجاة طويلة حتّى خرجت روحه الطيّبة ﷺ ، فانسلّ عليّ عليه السلام من تحت ثيابه ، وقال : **أعظم الله أُجوركم في نبيّكم ، فقد قبضه الله إليه** ، فارتفعت الأصوات بالصيحة والبكاء .

فقيل لأمير المؤمنين : ما الذي ناجاك به رسول الله حين أدخلك تحت ثيابه ؟

فقال : **علّمني ألف باب ، يفتح لي كلّ باب ألف باب** »[٣].

وفي « **الكافي** » : عن الباقر عليه السلام ، قال : « **لمّا قبض رسول الله ، بات آل محمّد بأطول ليلة حتّى ظنّوا أن لا سماء تظلّهم ، ولا أرض تقلّهم ؛ لأنّ رسول الله ﷺ وتر الأقربين**

---

(١) الزمر ٣٩ : ٣٠ .

(٢) آل عمران ٣ : ١٨٥ . الأنبياء : ٣٥/٢١ . العنكبوت : ٥٧/٢٩ .

(٣) أمالي الصدوق : ٧٣٢ ، الحديث ١٠٠٤ . بحار الأنوار : ٥٠٧/٢٢ ، الحديث ٩ .

والأبعدين في الله.

فبينما هم كذلك، إذ أتاهم آتٍ لا يرونه ويسمعون كلامه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إنّ في الله عزاء من كلّ مصيبة، ونجاة من كلّ هلكة، ودركاً لما فات، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1].

إنّ الله اختاركم وفضّلكم وطهّركم وجعلكم أهل بيت نبيّه، واستودعكم علمه، وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت علمه، وعصا عزّه، وضرب لكم مثلاً من نوره، وعصمكم من الزلل، وآمنكم من الفتن، فتعزّوا بعزاء الله، فإنّ الله لن ينزع منكم رحمته، ولن يزيل عنكم نعمته، فأنتم أهل الله عزّ وجلّ الذين بهم تمّت النعمة، واجتمعت الفرقة، وائتلفت الكلمة، وأنتم أولياؤه، فمن تولّاكم فاز، ومن ظلم حقّكم زهق، مودّتكم من الله واجبة في كتابه على عباده المؤمنين، ثمّ الله على نصركم إذا يشاء قدير، فاصبروا لعواقب الأمور، فإنّها إلى الله تصير، قد قبلكم الله من نبيّه وديعة، واستودعكم أولياءه المؤمنين في الأرض، فمن أدّى أمانته آتاه الله صدقه، فأنتم الأمانة المستودعة، ولكم المودّة الواجبة والطاعة المفروضة، وقد قبض رسول الله، وقد أكمل لكم الدين، وبيّن لكم سبيل المخرج، فلم يترك لجاهل حجّة، فمن جهل أو تجاهل أو أنكر أو نسي أو تناسى، فعلى الله حسابه، والله من وراء حوائجكم، وأستودعكم الله، والسلام عليكم».

فسألت أبا جعفر عليه السلام ممّن أتاهم التعزية؟

فقال: «من الله تبارك وتعالى»[2].

(١) آل عمران ٣: ١٨٥.

(٢) الكافي: ١/٤٤٥، الحديث ١٩. بحار الأنوار: ٢٢/٥٣٧، الحديث ٣٩.

المجلس السابع عشر

في وفاة الزهراء عليها السلام

لا خلاف في أنّ بقاءها بعد أبيها صلى الله عليه وآله لم يكن أكثر من ستّة أشهر، ولا أقلّ من أربعين يوماً، وأكثر الأخبار أنّ مدّة بقائها خمسة وسبعون يوماً[1]، وأكثر الأصحاب أنّ يوم وفاتها عليها السلام في الثالث من جمادى الآخر[2].

وقيل: في الحادي والعشرين من رجب[3].

وقيل: في الليلة الثالثة من رمضان[4].

وروى العيّاشي، قال: «دخلت أُمّ سلمة على فاطمة عليها السلام فقالت لها: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله؟

قالت: **أصبحت بين كمد وكرب: فقد النبيّ صلى الله عليه وآله، وظُلم الوصيّ، هتك والله حجابه، من أصبحت إمامته مقضيّة على غير ما شرع الله في التنزيل وسنّها النبيّ في التأويل،**

---

(١) الكافي: ٤٥٨/١. بصائر الدرجات: ١٧٤، الحديث ٦. مناقب آل أبي طالب: ١٣٢/٣. كفاية الأثر: ٦٥. وسائل الشيعة: ٢٢٤/٣، الحديث ٣٤٦٧.

(٢) كشف الغمّة: ١٢٥/٢.

(٣) مصباح المتهجّد: ٨١٢، الحديث ٨٧٣.

(٤) كشف الغمّة: ١٢٥/٢.

ولكنّها أحقاد بدريّة ، وترات أُحديّة كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة لإمكان الوشاة ، فلمّا استهدف الأمر أرسلت علينا شآبيب الآثار من مخيلة الشقاق ، فيقطع وتر الإيمان من قسي صدورها » ـ الحديث[1] .

وروى الفتّال وغيره في **«روضة الواعظين»** : قال : « مرضت فاطمة عليها السلام مرضاً شديداً ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفّيت عليها السلام ، فلمّا نعيت إليها نفسها دعت أُمّ أيمن وأسماء بنت عميس ووجّهت خلف عليّ عليه السلام وأحضرته فقالت : **يابن عمّ رسول الله ، إنّه قد نعيت إليَّ نفسي وإنّني لا أرى ما بي إلّا أنّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة ، وأنا أُوصيك بأشياء في قلبي .**

قال لها عليّ عليه السلام : **أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله** ، فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت .

ثمّ قالت : **يابن عمّ رسول الله ، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني .**

فقال عليه السلام : **معاذ الله ، أنت أعلم بالله ، وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أُوبّخك بمخالفتي ، قد عزّ عليَّ مفارقتك وفقدك ، إلّا أنّه أمر لا بدّ منه ، والله قد جدّدت عليَّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد عظمت وفاتك وفقدك ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضّها وأحزنها . هذه والله مصيبة لا عزاء لها ، ورزيّة لا خلف لها ،** ثمّ بكيا جميعاً ساعة ، وأخذ عليّ عليه السلام رأسها وضمّها إلى صدره .

ثمّ قال : **أوصيني بما شئت ، فإنّك تجديني فيها أمضي كما أمرتيني به ، واختار أمرك على أمري .**

ثمّ قالت : **جزاك الله عنّي خير الجزاء يابن عمّ رسول الله . أُوصيك أوّلاً أن تتزوّج بعدي**

---

(١) تفسير العيّاشي : لم نجده فيه ، بل في مناقب ابن شهرآشوب : ٤٩/٢ . بحار الأنوار : ١٥٧/٤٣ ، الحديث ٥ .

بابنة أختي أمامة ، فإنّها تكون لولدي مثلي ، فإنّ الرجال لا بدّ لهم من النساء .

قال : فمن أجل ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام : أربع ليس لي إلى فراقها سبيل : أمامة بنت زينب أوصتني بها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثمّ قالت : أوصيك يابن عمّ رسول الله أن تتّخذ لي نعشاً ، فقد رأيت الملائكة صوّروا صورته .

فقال لها : صفيه لي ، فوصفته ، فاتّخذه لها ، فأوّل نعش عمل على وجه الأرض ذاك ، وما رأى أحد قبله ولا عمله أحد .

ثمّ قالت : أوصيك أن لا يشهد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقّي ، فإنّهم عدوّي وعدوّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا تترك أن يصلّي عليَّ أحد منهم ولا من أتباعهم ، وادفنّي في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار »[١] .

وروي في «كشف الغمّة» : « إنّه لمّا دنت وفاتها عليها السلام قالت لأسماء بنت عميس : ائتيني بماء حتّى أتوضّأ به »[٢] .

وفي رواية أخرى : « إنّها اغتسلت أحسن غسل ، وقالت : هاتي طيبي الذي أتطيّب به ، وهاتي ثيابي التي أصلّي فيها »[٣] .

قال : وقالت لأسماء : إنّ جبرئيل عليه السلام أتى النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا حضرته الوفاة بكافور من الجنّة ، فقسّمه أثلاثاً : ثلثاً لنفسه ، وثلثاً لعليّ ، وثلثاً لي ، وكان أربعين درهماً ، فقالت : يا أسماء ، ائتيني ببقيّة حنوط والدي من موضع كذا وكذا فضعيه عند رأسي ، فوضعته ثمّ تسجّت بثوبها ، وقالت : انتظريني هنيئة وادعيني ، فإن أجبتك وإلّا فاعلمي أنّي قد

---

(١) روضة الواعظين : ١٥١ . بحار الأنوار : ١٩١/٤٣ ، الحديث ٢٠ .

(٢) كشف الغمّة : ١٢٢/٢ .

(٣) كشف الغمّة : ١٢٢/٢ . بحار الأنوار : ١٨٥/٤٣ ، الحديث ١٨ .

قدمت على أبي ، فانتظرتها هنيئة ، ثمّ نادتها فلم تجبها ، فنادت : يا بنت محمّد المصطفى ، يا بنت أكرم من حملته النساء ، يا بنت خير من وطئ الحصى ، يا بنت من كان من ربّه قاب قوسين أو أدنى .

قال : فلم تجبها ، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا ، فوقعت عليها تقبّلها وهي تقول : فاطمة ،إذا قدمت على أبيك رسول الله ﷺ فاقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام ،فبينا هي كذلك إذ دخل الحسن والحسين عليهما السلام ، فقالا : **يا أسماء ما ينيم أمّنا في هذه الساعة ؟**

قالت : يا ابني رسول الله ، ليست أمّكما نائمة ؛ بل قد فارقت الدنيا ، فوقع عليها الحسن عليه السلام يقبّلها مرّة ويقول : **يا أمّاه ، كلّميني قبل أن تفارق روحي بدني .**

قال : وأقبل الحسين عليه السلام يقبّل رجليها ويقول : **يا أمّاه ، أنا ابنك الحسين ، كلّميني قبل أن يتصدّع قلبي فأموت** ، فقالت لهما أسماء : يا ابني رسول الله ، انطلقا إلى أبيكما فأخبراه بموت أمّكما ، فخرجا حتّى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء ، فابتدرهم جمع من الصحابة ، فقالوا : ما يبكيكما يا ابني رسول الله لا أبكى الله أعينكما ، لعلّكما نظرتما إلى موقف جدّكما فبكيتما شوقاً إليه ؟

فقالا : **أوليس قد ماتت أمّنا فاطمة !**

قال : فوقع عليّ عليه السلام على وجهه يقول : **بمن العزاء يا بنت محمّد ﷺ ، كنت بك أتعزّى ، ففيم العزاء من بعدك .**

ثمّ قال عليه السلام :

«لِكُلِّ اجْتِماعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ	**وَكُلُّ الَّذِي دُوْنَ الْفِراقِ قَلِيْلُ**
وَإنَّ افْتِقادِي فاطِماً بَعْدَ أَحْمَـ	**ـدٍ دَلِيلٌ عَلىٰ أنْ لَا يَدُومَ خَلِيْلُ»**[1]

(١) كشف الغمّة : ١٢٢/١ . بحار الأنوار : ١٨٦/٤٣ ، الحديث ١٨ . اللمعة البيضاء : ٨٨٠ .

قال في «**روضة الواعظين**» : « فصاحت أهل المدينة صيحة واحدة واجتمعت نساء بني هاشم في دارها فصرخوا صرخة واحدة كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهنّ وهنّ يقلن : يا سيّدتاه ، يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأقبل النّاس مثل عرف الفرس إلى عليّ عليه السلام وهو جالس ، والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يبكيان ، فبكى النّاس لبكائهما ، [وخرجت أُمّ كلثوم وعليها برقعة وتجرّ ذيلها متجلّلة برداء عليها تسحبها وهي تقول : **يا أبتاه ، يا رسول الله ، الآن حقّاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً**] [(١)] .

واجتمع النّاس فجلسوا وهم يضجّون وينتظرون أن تخرج الجنازة فيصلّون عليها ، وخرج أبو ذرّ فقال : انصرفوا ، فإنّ ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله قد أُخّر إخراجها في هذه العشيّة ، فقام النّاس فانصرفوا ، فلمّا أن هدأت العيون ومضى من الليل شطره ، أخرجها عليّ والحسن والحسين وعمّار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذرّ وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم فصلّوا عليها ودفنوها في جوف الليل ، وسوّى عليّ عليه السلام حواليها قبوراً مزوّرة مقدار سبعة ، حتّى لا يُعرف قبرها »[(٢)] .

وفي رواية : « إنّه رشّ ماءً على أربعين قبراً حتّى يشتبه قبرها »[(٣)] .

وفي رواية «**الكافي**» وغيره : «**إنّه لمّا دفنها وعفّى موضع قبرها ، ونفض يده من تراب القبر ، هاج به الحزن فأرسل دموعه على خدّيه وحوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال :**

السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرّة عينك وزائرتك ، والبائتة في الثرى ببقيعك ، المختار الله لها سرعة اللحاق بك ، قلّ يا رسول الله عن

---

(١) زيادة من المصدر .

(٢) روضة الواعظين : ١٥١ . بحار الأنوار : ٤٣/١٩٢ ، الحديث ٢٠ .

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٣/١٣٨ . بحار الأنوار : ٤٣/١٨٣ ، الحديث ١٦ .

صفيّتك صبري ، وضعف عن سيّدة النساء تجلّدي ، إلّا أنّ في التـأسّي لي بسنّتك ، والحزن الذي حلّ بي لفراقك ، موضع التعزّي ، ولقد وسّدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري ، وغمّضتك بيدي ، وتولّيت أمرك بنفسي .

نعم ، وفي كتاب الله نعم القبول ، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، قد استرجعت الوديعة ، وأُخذت الرهينة ، واختلست الزهراء ، فما أقبح الخضراء والغبراء ، يا رسول الله ، أمّا حزني فسرمد ، وأمّا ليلي فمسهّد ، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم ، كمد مقيّح ، وهمّ مهيّج ، سرعان ما فرّق الله بيننا ، وإلى الله أشكو ، وستنبئك ابنتك بتظاهر أُمّتك عليَّ وعلى هضمها حقّها ، فاستخبرها الحال ، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً ، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين .

سلام عليك يا رسول الله سلام مودّع لا سئم ولا قالٍ ، فإن أنصرف فلا عن ملالة ، وإن أُقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين ، الصبر أيمن وأجمل ، ولولا غلبة المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاماً ، والتلبّث عنده معكوفاً ، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزيّة ، فبعين الله تدفن بنتك سرّاً ، ويهتضم حقّها قهراً ، ويمنع إرثها جهراً ، ولم يطل العهد ولم يخلق منك الذّكر ، فإلى الله ـ يا رسول الله ـ المشتكى ، وفيك أجمل العزاء ، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته »[1] .



(١) الكافي : ٤٥٨/١ ، الحديث ٣ . أمالي المفيد : ٢٨١ ، الحديث ٧ . أمالي الطوسي : ١٠٩ ، الحديث ١٦٦ .

المجلس الثامن عشر

في وفاة عليّ عليه السلام

المشهور بين الشيعة أنّه ضرب عليه السلام ليلة الجمعة لتسع عشر ليلة مضين من شهر رمضان عند الفجر[1]، على يدي عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله، بمعاونة وردان بن مجاهد وشبيب ابن بجرة، والأشعث بن قيس وقطامة بنت الأخضر.

وانتقل إلى رضوان الله تعالى في الثلث من الليلة الحادية والعشرين وعمره إذ ذاك ثلاث وستّون سنة، كما عن الصادق عليه السلام[2]، أو خمسة وستّون سنة كما عن الجواد عليه السلام[3].

وروي عن أمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام، قالت: «لمّا كانت ليلة تسعة عشرة من شهر رمضان قدّمت إلى أبي عند إفطاره طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش، فلمّا فرغ من صلاته أقبل على فطوره.

فلمّا نظر إليه قال: **يا بُنيّة، أتُقَدِّمينَ لي لونين في طَبَقٍ واحِدٍ، تُريدِينَ أنْ يَطُولَ وقُوفي غداً بَيْنَ يَدَي اللهِ تعالى! أنا أُرِيدُ أنْ أتَّبعَ أخي وابْنَ عَمّي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فإنّه ما قُدِّمَ لَهُ**

---

(١) الإرشاد: ٩/١. روضة الواعظين: ١٣٢.

(٢) الكافي: ١٥٤/٤، الحديث ٤. مناقب آل أبي طالب: ٣٥٣/٢.

(٣) الكافي: ٤٥٢/١. الإشاد: ٩/١. إعلام الورى: ٣٠٩/١. كشف الغمّة: ٤٣٦/١.

إدامانِ فِي طَبَقٍ واحِدٍ إلىٰ أَنْ قَبَضَهُ اللهُ تعالىٰ .

يا بُنَيَّةُ ، إنَّ الدُّنيا حَلالها حساب ، وَحَرامها عِقاب ، وما مِنْ رَجُلٍ طَابَ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ إلَّا طالَ وقُوفُهُ بَيْنَ يَدَي اللهِ تعالى [يَوْمَ الْقِيامَةِ ، وَقَدْ أَخْبَرَني حَبِيبِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ جَبْرَئِيلَ نَزَلَ وَمَعَهُ مَفاتِيحُ كُنوزِ الْأَرْضِ ، فَقالَ : يا مُحَمَّدُ ، إنَّ اللهَ يُقْرِؤكَ السَّلامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : إنْ شِئْتَ سَيَّرْتُ مَعَكَ جِبالَ تِهامَةَ ذَهَباً وَفِضَّةً ، وَخُذْ مَفاتِيحَ كُنُوزِ الْأَرْضِ وَما يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ حَقِّكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ .

قال ﷺ : يا جَبْرَئِيلُ ، ثمّ ما يَكُونُ بَعْدَ ذٰلِكَ ؟

قالَ : الْمَوْتُ .

فقالَ ﷺ : لَا حاجَةَ لِي فِي الدُّنْيا ، دَعْنِي أَجُوعُ يَوْماً ، وَأَشْبَعُ يَوْماً ، فَالْيَوْمُ الَّذِي أَجُوعُ فِيهِ أَتَضَرَّعُ إِلىٰ رَبِّي ، وَالْيَوْمُ الَّذِي أَشْبَعُ فِيهِ أحمد ربّي وأشكره ، فَقالَ جَبْرَئِيلُ : وُفِّقْتَ لِكُلِّ خَيْرٍ .

ثمّ قال عليه السلام : يا بُنَيَّةَ ، إنَّ الدنيا دارُ غُرُورٍ وَدارُ ذلّ ، وَمن قدّم منها لآخرته شيئاً وصل نفعه إليه . يا بنيّة][1] ، والله لا أتناول شيئاً حتّى ترفعي أحدهما .

قالت أمّ كلثوم : فرفعت اللبن وأكل عليه السلام من الخبز والملح ، وحمد الله وأثنى عليه .

وفي رواية أُخرى : «إنّه كان يفطر في شهر رمضان ، ليلة عند الحسن ، وليلة عند الحسين ، وليلة عند عبدالله بن جعفر زوج زينب بنته ، وكان لا يزيد على ثلاث لقم .

فقيل له في ذلك ، فقال: يأتيني أمر الله وأنا خميص البطن ، إنّما هي ليلة أو ليلتان .

قالت : ثمّ قام عليه السلام إلى صلاته ، فلم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ويتضرّع ويبتهل إلى الله تعالى ، ثمّ يخرج ساعة بعد ساعة ينظر إلى الكواكب ، ويقلّب

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من المصدر .

طرفه إلى السماء ويبكي ، ثمّ تلا عليه السلام سورة يس إلى آخرها ، ثمّ نام عليه السلام قليلاً ، وانتبه فزعاً مرعوباً ، فتناول رداءه وقام قائلاً: **اللّهمّ بارك لي في الموت** ، وأكثرَ من قول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم ، ثمّ قام إلى مصلّاه فصلّى حتّى ذهب أكثر الليل ، ثمّ جلس للتعقيب ، ثمّ نامت عيناه وهو جالس ، ثمّ انتبه من نومه مرعوباً ، فجمع أولاده وأهله وقال لهم : **إنّي مفارقكم في هذا الشهر ، وقد رأيت في هذه الليلة رؤياً عظيمة أهالتني ؛ إنّي رأيت في هذه الساعة رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وهو يقول: يا أبا الحسن ، أنت قادم إلينا عن قريب ، وسيخضب لحيتك أشقى هذه الأُمّة من دم رأسك ، وأنا مشتاق إلى لقائك وأنت قادم إلينا في العشر الأواخر من هذا الشهر ، فهلمّ إلينا ، فالذي عندنا خير لك وأبقى .**

فلمّا سمعوا كلامه ضجّوا بالبكاء والنحيب والعويل ، فأمرهم بالسكوت ، ثمّ أقبل يوصيهم ويأمرهم بالطاعات ، وينهاهم عن المعاصي ، ولم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ، ثمّ يخرج ساعة بعد ساعة ينظر إلى الكواكب ويقلّب طرفه إلى السماء وهو يقول: **والله ما كذبت ولا كذّبت ، إنّها الليلة التي وعدني بها رسول الله صلى الله عليه وآله** ، ثمّ يعود إلى صلاته وإلى مصلّاه ويقول : **اللّهمّ بارك لي في الموت** ، ويكثر من قول : لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم ، ويصلّي على النبيّ ويستغفر الله كثيراً .

قالت أُمّ كلثوم : فلمّا رأيت ما عرض لأبي عليه السلام من القلق والاضطراب لم يأخذني النوم ، وقلت : يا أبة ، لِمَ حرّمت على نفسك النوم في هذه الليلة ، ولِمَ لا تستريح يا أبة ؟ فقال : **يا بنيّة ، إنّي كثيراً ما قاتلت الشجعان وقاسيت الأهوال العظيمة ولم يحصل لي رعب واضطراب مثل هذه الليلة** ـ ثمّ قال عليه السلام : ـ **إنّا لله وإنّا إليه راجعون** .

فقلت : يا أبةِ ، لِمَ أراك تنعى إلينا نفسك في هذه الليلة ؟

فقال : **يا بنيّة ، قد قرب الأجل ، وانقطع الأمل** .

قالت أُمّ كلثوم : فلمّا سمعت ذلك بكيت كثيراً ، فقال عليه السلام : **يا بنيّة ، لا تبكي ، فإنّي**

ما أخبرتك إلّا بما عهده إليَّ حبيبي رسول الله ﷺ ، ثمّ غفا عليه السلام قليلاً ثمّ انتبه وقال : **يا بنيّة ، إذا قرب وقت الأذان فأخبريني** ، ثمّ جعل يتضرّع ويدعو ، فلمّا قرب وقت الصلاة قدّمت إليه وضوءاً ، فقام عليه السلام وجدّد وضوءه ولبس ثيابه وتوجّه إلى المسجد ، فلمّا صار في صحن الدار ، وكان في الدار وزّ قد أُهدي إلى أخي الحسن ، فلمّا رأينه رفرفن بأجنحتهنّ وصحن في وجهه ، ولم يعهد منهنّ ذلك سابقاً ، فقال عليه السلام : **لا إلـه إلّا الله ، صوائح يلحقها نوائح ، وسيظهر قضاء الله تعالى غداً** .

فقالت أُمّ كلثوم : يا أبه ، لِمَ تتفأّل بالشر ؟

فقال عليه السلام : **ليس أحد منّا أهل البيت يتفأّل بسوء ، ولا يؤثّر فأل السوء فينا ، ولكن قد جرى الحقّ على لساني** ـ ثمّ قال عليه السلام : ـ **يا بنيّة ، بحقّي عليك إلّا ما أطلقتيه ، فلقد حبست ما ليس له لسان فأطعميه واسقيه وإلّا خلّي سبيله يأكل من حشيش الأرض** ، فلمّا وصل عليه السلام إلى الباب وهو مغلوق ، فعالجه فانحلّ مئزره ، فشدّه وهو يقول :

«اشْدُدْ حَيازِيمَكَ للموتِ ... فــإنَّ المـوتَ لاقِـيكَا
وَلَا تَـجْزَعْ مِـنَ المَـوْتِ ... إذا حَـــلّ بــنادِيكَا
وَلَا تَـــغْتَرّ بِــالدَّهْرِ ... وَإنْ كــانَ يــواتِـيكا
كَــما أضْـحَكَكَ الدَّهْـرُ ... كــذاكَ الدَّهْـرُ يُـبْكِيكا»

ثمّ قال : **اللّهمّ بارك لي في الموت ، وبارك لي في لقائك** .

قالت أُمّ كلثوم : وكنت أمشي خلفه ، فلمّا سمعت قوله : قلت : واغوثاه يا أباه ، ما لي أراك تنعى نفسك ؟

فقال : **يا بنيّة ، إنّها دلالات وعلامات الموت ، يتبع بعضها بعضاً** ، ثمّ فتح الباب وخرج .

قالت أُمّ كلثوم : فأتيت إلى الحسن عليه السلام فقلت : يا أخي ، قد كان من أمر أبيك الليلة

كذا وكذا ، وقد خرج فالحقه ، فقام الحسن فلحقه قبل أن يدخل المسجد ، فقال : يا أبة ، ما الذي أخرجك في هذه الليلة إلى المسجد ؟

فقال : يا بنيّ لرؤيا رأيتها في هذه الليلة أهالتني .

فقلت : خيراً رأيت وخيراً يكون . يا أباه ، فقصّها .

فقال عليه السلام : يا بنيّ ، رأيت كأنّ جبرئيل عليه السلام قد نزل من السماء على جبل أبي قبيس فتناول منه حجرين ومضى بهما إلى الكعبة ، وضرب أحدهما على الآخر فصارا كالرميم ، ثمّ ذرّاهما في الهواء ، فما بقي بمكّة ولا في المدينة بيت إلّا ودخله من ذلك الرماد شيء .

فقلت : يا أباه ، وما تأويله ؟

فقال : يا بنيّ ، إن صدقت رؤياي فإنّ أباك مقتول ولا يبقى بمكّة ولا في المدينة بيت إلّا ودخله غمّ من أجلي .

فقال عليه السلام : وهل ترى متى يكون ذلك يا أباه ؟

فقال : يا بنيّ ، إنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾[1] ، ولكن عهد إليّ حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه يكون في العشر الأواخر من هذا الشهر ، يقتلني عبدالرحمن بن ملجم .

فقلت : يا أباه ، إذا علمت منه ذلك فاقتله .

فقال : يا بنيّ ، لا يجوز القصاص إلّا بعد الجناية ، والجناية لم تحصل منه .

ثمّ قال عليه السلام : يا بنيّ ، ارجع إلى فراشك ، فقال الحسن عليه السلام : يا أباه ، أُريد المضيّ معك إلى موضع صلاتك ، فقال : بحقّي عليك إلّا ما رجعت إلى فراشك لئلّا يتنغّص عليك نومك ، ولا تعصني في ذلك .

قال : فرجع الحسن عليه السلام فوجد أُخته أُمّ كلثوم خلف الباب ، فدخل إليها وجلسا

---

(١) لقمان ٣١: ٣٤ .

يتحادثان وهما محزونان ، وسار أمير المؤمنين عليه السلام حتّى دخل المسجد والقناديل قد خمد ضوؤها فصلّى في المسجد ركعات وعقّب بعدها ، ثمّ إنّه عليه السلام علا على المئذنة وجعل إصبعيه في أذنيه ، وأذّن ، وكان عليه السلام إذا أذّن لم يبق في الكوفة بيت إلّا اخترقه صوته .

وأمّا ابن ملجم (لعنه الله) فإنّه أحيى تلك الليلة مفكّراً في أمره ، وأتت إليه قطام (لعنها الله) في نصف الليل وقالت له : إنّ من يريد مثل هذا الأمر العظيم حرام عليه النوم ، قم واقتل عليّاً وارجع لحصول مرادك منّي .

فقال لها الملعون : إنّي أقتل عليّاً ، وأعلم أنّي لا أصل إلى مرادي ، وبينا هما كذلك إذ سمعا أذانه عليه السلام ، فقالت له : عجّل واغتنم الفرصة ولا تفوتك الفرصة »[1] .

وفي رواية أُخرى : « إنّه (لعنه الله) كان نائماً في المسجد ومعه شبيب بن بجرة ينتظران أمير المؤمنين عليه السلام ، فلمّا أذّن ونزل من المئذنة جعل يسبّح الله تعالى ويقدّسه ويكثر من الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وعبر على قوم نيام في المسجد وفيهم ابن ملجم (لعنه الله) فقال : **الصلاة ، الصلاة** ، حتّى انتهى إلى ابن ملجم وهو مكبوب على وجهه .

فقال له عليه السلام : قم إلى الصلاة ولا تنم هكذا ، فإنّه نوم الشياطين ، بل نم على يمين ، فإنّه نوم المؤمنين ، والنوم على القفا نوم النبيّين ـ ثمّ قال عليه السلام له : ـ لقد أضمرت أمراً عظيماً تكاد السماوات يتفطّرن منه والأرض ، وتخرّ الجبال هدّاً ، ولو شئت لأخبرتك بما أخفيته تحت ثيابك .

ثمّ إنّه عليه السلام تقدّم إلى المحراب ودخل في الصلاة ، وأطال ركوعه وسجوده كما هي عادته عليه السلام ، فجاء اللعين ابن ملجم ووقف حذاء الاسطوانة التي كان عليه السلام يصلّي عندها ،

---

(١) بحار الأنوار : ٤٢/٢٧٦ ، الحديث ٧٨ . الأنوار العلويّة : ٣٧١ .

وأمهله حتّى صلّى الركعة الأُولى وسجد السجدة الأُولى ، فلمّا رفع رأسه منها رفع اللعين سيفه وضربه على رأسه ، فشقّت الضربة رأسه إلى موضع سجوده .

فقال عليه السلام : **بسم الله ، وبالله ، وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله فزتُ وربّ الكعبة .**

فلمّا سمع أهل المسجد صوته عليه السلام أسرعوا إلى المحراب ، وكانت الضربة مسمومة ، وقد جرى السمّ في رأسه وبدنه عليه السلام .

فلمّا أحاط النّاس بأمير المؤمنين عليه السلام رأوه وقد شدّ رأسه بمئزره والدم يجري على لحيته ووجهه ، وهو يتلو هذه الآية : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ** ﴾[1] **أتى أمر الله وصدق رسول الله .**

قال الراوي : وكان قد ضربه اللعين شبيب بن بجرة (لعنه الله) فأخطأه ، ووقعت الضربة في الطاق ، فلمّا ضربه اللعين ابن ملجم زلزلت الأرض ، وماجت البحار ، ورجفت السماء ، واصطكّت أبواب الجامع .

ثمّ أحاط النّاس بأمير المؤمنين عليه السلام وشدّوا رأسه بردائه والدم يجري على لحيته ووجهه وهو يقول : ﴿ **هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** ﴾[2] ، وضجّت الملائكة في السماء بالدعاء ، وهبّت ريح عاصف مظلمة سوداء ، ونادى جبرئيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كلّ مستبصر ومستيقظ : تهدّمت والله أركان الهدى ، وانطمست أعلام التقى ، وانفصمت العروة الوثقى ، قتل ابن عمّ محمّد المصطفى ، قتل الوصيّ المجتبى ، قتل عليّ المرتضى ، قتله أشقى الأشقياء .

قال : فسمعت أُمّ كلثوم نعي جبرئيل عليه السلام فلطمت خدّها ، وشقّت جيبها ، وصاحت : وا ابتاه ، وا عليّاه ، وا محمّداه ، فانتبه من صوتها كلّ من في الدار ،

---

(١) طه ٢٠: ٥٥ .

(٢) الأحزاب ٣٣: ٢٢ .

وخرج الحسن والحسين عليهما السلام فسمعا النّاس يضجّون وينوحون ويقولون: وا إماماه، وا أمير المؤمنيناه، والله لقد قتل إمام العابدين المجاهدين الذي لم يسجد لصنم قطّ، قتل أشبه الخلق بالنبيّ صلى الله عليه وآله، فدخلا عليهما السلام المسجد باكيين معولين قائلين: **وا أبتاه، وا عليّاه، ليت الموت أعدَمَنا الحياة ولا نرى يومك هذا**، فأقبلا إلى المحراب فوجدا أباهما طريحاً في المحراب، وأبو جعدة ومعه جماعة يعالجونه للصلاة بهم وهو عليه السلام لا يستطيع.

فلمّا رأى ولده الحسن عليه السلام جعله في موضعه وأمره أن يصلّي بالنّاس، وأتـمّ بـه جالساً مومياً للصلاة والدم يجري على وجهه ولحيته وهـو يـميل يـميناً وشـمالاً، فلمّا فرغ الحسن من الصلاة وضع رأس أبيه في حجره وقال: **يا أبتاه، كسرت ظهري، كيف أراك بهذه الحالة**، ففتح أمير المؤمنين عينيه في وجهه، وقال: **يا بنيّ، لا غمّ على أبيك بعد هذا اليوم ولا جزع ولا ألم، اليوم ألاقي جدّك محمّد المـصطفى وجـدّتك خديجة الكبرى، وأمّك فاطمة الزهراء، والحور العين ينتظرون أباك ويترقّبون قدومه ساعة فساعة، فلا بأس عليك يا بني، فلا تبك، فقد بكت ملائكة السماء لبكائك**.

ولمّا انتشر ذلك الصوت في الكوفة خرج النّاس رجالاً ونساءاً من بيوتهم مسرعين إلى المسجد، فرأوا أمير المؤمنين عليه السلام قد وضع رأسه في حجر ولده الحسن عليه السلام والدم يسيل على وجهه ولونه قد مال من الصفرة إلى البياض ينظر إلى آفاق السماء يسبّح الله ويقدّسه ويذكره ويقول: **إلٰهي أسألك مرافقة الأنبياء والأوصياء وأعلى درجات جنّة المأوى**، ثمّ غشي عليه عليه السلام، فبكى الحسن عليه السلام ودموعه تتناثر على خدّيه، فسقطت من دموعه قطرة على خدّ أمير المؤمنين، ففتح عليه السلام عينيه فوجده باكياً، فقال: **ما هذا البكاء يا بنيّ! لا خوف ولا جزع على أبيك بعد اليوم، إنّ جدّك محمّد المـصطفى، وجدّتك خديجة الكبرى، وأمّك فاطمة الزهراء، والحور العين قد حضروا عند أبيك ينتظرون قدومه إليهم، وإنّ الملائكة قد ضجّت إلى الله تعالى بالبكاء.**

يا بنيّ، تبك عليَّ وأنت تقتل مسموماً مظلوماً، ويقتل أخوك الحسين بالسيف هكذا،

وتلحقان بجدّكما وأبيكما .

ثمّ قال له الحسن : **من قتلك يا أباه ؟**

قال عليه السلام : **قتلني ابن اليهوديّة عبدالرحمن بن ملجم المرادي (لعنه الله)** ، فقال : **يا أبتاه ، من أيّ طريق مضى حتّى نلحقه ؟**

فقال عليه السلام : **لا يمضي أحد منكم في طلبه فإنّه سيطلع عليكم من هذه الباب** ، وأشار بيده إلى باب كندة ، فلم يزل السمّ يسري في رأسه عليه السلام ، ثمّ أُغمي عليه ، وأقبل النّاس ينظرون إلى باب كندة وقد غصّ المسجد بالعالم ما بين باك وباكية ومحزون ، وإذا بالصيحة قد ارتفعت وقد جاءوا باللعين ، فوقع النّاس بعضهم على بعض يتزاحمون عليه ، وهو مكشوف الرأس ، هذا يلطمه ، وهذا يضربه ، وهذا يلعنه ، ويبصقون في وجهه ، ويعضّون لحمه بأسنانهم ويقولون : يا عدوّ الله ، أهلكت الأُمّة وقتلت خير النّاس ، واللعين ساكت لا يتكلّم وبين يديه رجل يقال له : حذيفة النخعي قد جرّد سيفه ، ويرّد النّاس عن قتله ، حتّى أدخلوه على الحسن عليه السلام .

فلمّا نظر إليه قال له : **يا ملعون ، قتلت أمير المؤمنين وإمام المسلمين ، هذا جزاؤه منك حين آواك وقرّبك وأدناك وآثرك على غيرك ، هل كان بئس الإمام لك حتّى تجازيه بهذا الجزاء يا شقي ؟**

قال : فلم يتكلّم ، ثمّ ضجّ النّاس بالبكاء والعويل ، ثمّ التفت الحسن عليه السلام إلى الذي جاء به وقال : **كيف ظفرت بعدوّ الله وأين لقيته ؟**

قال : يا مولاي ، حديثي عجيب ، وذلك أنّي كنت نائماً في داري وزوجتي إلى جنبي ؛إذ سمعت ناعياً ينعى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول : انهدمت والله أركان الهدى ، وانطمست والله أعلام التقى ، وانفصمت والله العروة الوثقى ، قُتل ابن عمّ المصطفى ، قُتل الوصيّ المجتبى ، قُتل عليّ المرتضى ، قتله أشقى الأشقياء ، فأيقظتني ، وقالت لي : أنت نائم وقد قُتل إمامك عليّ ؟ ! فانتبهت من كلامها فزعاً ، وقلت : يا ويلك ما هذا

الكلام فضّ الله فاك ، لعلّ الشيطان قد ألقاه في سمعك ، إنّ أمير المؤمنين ليس أحد له قبله تبعة ولا طلبة ، وأنّه لليتيم كالأب الرحيم ، وللأرملة كالزوج العطوف ، ومع ذلك فمن ذا الذي يقدر على قتل أمير المؤمنين وهو الأسد الضرغام ، والبطل الهمام ، فأكثرت عليّ بالكلام وقالت : إنّي سمعت ما لم تسمع ، وما أظنّ بيتاً في الكوفة إلّا وقد دخله ذلك النعي ، فبينا أنا وهي في مراجعة الكلام وإذا بصيحة عظيمة وقائلاً يقول : قُتل أمير المؤمنين ، فحسّ قلبي بالشرّ ، فمددت يدي إلى سيفي وسللته من غمده ، وأخذته ونزلت من داري .

فلمّا صرت في وسط الحارة وإذا بعدوّ الله يجول فيها يطلب مهرباً ، وقد انسدّت أبواب الطرق في وجهه ، فلمّا نظرت إليه وهو كذلك فقلت له : ويلك ، مَن أنت في وسط هذا الطريق تمرّ وتجيء ، فتسمّى بغير اسمه ، وانتمى إلى غير نسبه ، فقلت له : يا ويلك ومن أين أقبلت ؟

قال : من منزلي .

قلت : وإلى أين تريد ؟

قال : إلى الحيرة .

قلت : فلِمَ لا أدركت صلاة الصبح مع أمير المؤمنين عليه السلام ؟

قال : خفت فوات حاجتي .

قلت : سمعت صيحة عظيمة وقائلاً يقول : قُتل أمير المؤمنين ، هل عندك من ذلك خبر ؟

قال : لا .

فقلت : ولِمَ لا تمضي معي حتّى نحقّق هذا الخبر ؟

قال : أنا ماضٍ في شيء أهمّ منه .

فقلت له : ويلك وأيّ حاجة هي أهمّ من قتل أمير المؤمنين ! ثمّ قلت له : ويلك

لعلّك أنت الذي قتلت أمير المؤمنين وإمام المسلمين ، إذاً والله ما لك عند الله من خلاق ، وهممت عليه بسيفي أن أعلوه به ، فراغ عنّي ، فانكشف سيفه ، فرأيته يبرق ، فقلت : يا ويلك ما هذا السيف تحت ثيابك ، لعلّك قاتل أمير المؤمنين ؟ فأراد أن يقول : لا ، فقال : نعم ، فرفعت سيفي وضربته ، فرفع هو سيفه وهمّ أن يعلوني به ، فانحرفت عنه ، فضربته على ساقه ، فوقع لحينه ووقعت عليه ، وصرخت صرخة شديدة ، فخرج أهل الحارة فأعانوني عليه حتّى أوثقته كتافاً وجئتك به ، فها هو بين يديك جعلني الله فداك ، فاصنع به ما شئت .

فقال الحسن عليه السلام : **الحمد لله الذي نصر وليّه ، وخذل عدوّه** ، ثمّ انكبّ الحسن عليه السلام على أبيه يقبّله ، ففتح عليه السلام عينيه وهو يقول : **ارفقوا بي يا ملائكة ربّي** .

فقال له الحسن عليه السلام : **هذا عدوّ الله وعدوّك ابن ملجم (لعنه الله) قد أمكن الله منه ، وقد حضر بين يديك** .

قال : ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه وقال له بضعف وانكسار صوت : **يا هذا ، لقد جئت شيئاً عظيماً ، وارتكبت أمراً جسيماً ، أبئس الإمام كنت لك فجازيتني بهذا الجزاء ؟ ! ألم أكن شفيقاً عليك أوثرك على غيرك ، وأحسن إليك ، وزدت في عطائك ، وقد كنت أعلم أنّك لا محالة قاتلي ، ولكن رجوت بذلك الاستظهار عليك يا شقيّ الأشقياء** .

قال : فدمعت عينا ابن ملجم وقال : يا أمير المؤمنين ، أفأنت تنقذ من في النّار ؟

فقال عليه السلام : **صدقت** ، ثمّ التفت عليه السلام إلى الحسن وقال : **يا بنيّ أرفق بأسيرك وارحمه وأشفق عليه ألا ترى إلى عينيه قد صارتا في أمّ رأسه ، وقلبه يرجف خوفاً** .

فقال له الحسن عليه السلام : **يا أبة قد قتلك هذا اللعين وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به ؟ !** .

فقال : **يا بنيّ ، نحن أهل بيت الرحمة والمغفرة ، فأطعمه ممّا تأكل ، واسقه ممّا**

تشرب ، فإن أنا متّ فاقتصّ منه بأن تقتله ثمّ تحرقه بالنّار ولا تمثّل بالرجل ، فإنّي سمعت جدّك ﷺ يقول : إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور ، وإن أنا عشت فأنا أعلم ما أفعل به ، وأنا أوْلى بالعفو ، فنحن أهل بيت لا نزداد على المسيء إلينا إلّا عفواً وكرماً .

قال محمّد بن الحنفيّة : ثمّ إنّ أبي عليه السلام قال : **احملوني إلى داري** ، فحملناه إليه والناس حوله قد أشرفوا على الهلاك من البكاء والعويل ، فالتفت الحسن إلى أبيه عليه السلام وهو باك حزين وقال : **يا أبة ، من لنا بعدك ، وأنّ مصابنا بك اليوم مثل مصابنا برسول الله ﷺ** ، فأدناه منه ومسح الدموع من عينيه ووضع يده على صدره ، وقال : **يا بنيّ ، أسكن الله قلبك بالصبر ، وعظّم أجرك وأجر إخوتك ، فإنّ الله يؤجركم بقدر مصابكم بي .**

ثمّ حمل عليه السلام إلى موضع مصلّاه من حجرته ، وأقبلت زينب وأمّ كلثوم حتّى جلستا معه على فراشه ، وأقبلتا تندبانه وتقولان : يا أبتاه ، من للصغير حتّى يكبر ، ومن للكبير بين الملأ . يا أبتاه ، حزننا عليك طويل ، ودمعتنا لا ترقأ .

قال : فضجّ النّاس من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب ، وفاضت دموع أمير المؤمنين عند ذلك ، وجعل يقلّب طرفه وينظر إلى أهل بيته ، ثمّ دعا الحسن والحسين عليهما السلام وجعل يحضنهما ويقبّلهما ، ثمّ أُغمي عليه ساعة طويلة ، ثمّ أفاق ، فناوله الحسن قعباً من لبن ، فشرب منه قليلاً ، ثمّ نحّاه عن فمه ، وقال : **إحملوه إلى أسيركم بحقّي عليكم ، طيّبوا طعامه وشرابه ، وأرفقوا به إلى حين موتي**[1] .

ثمّ قال : يا أبا محمّد ويا أبا عبدالله ، كأنّي بكما وقد خرجت عليكما الفتن من بعدي من هاهنا ومن هاهنا ، فاصبرا حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

ثمّ قال عليه السلام : **يا أبا عبدالله ، أنت شهيد هذه الأمّة ، فعليك بتقوى الله ، والصبر على بلائه ، ثمّ أدار عينيه في أهل بيته كلّهم وقال : أستودعكم الله ، سدّدكم الله ، حفظكم الله ،**

(١) بحار الأنوار : ٢٨١/٤٢ ، الحديث ٧٨ . الأنوار العلويّة : ٣٧٥ .

الله خليفتي عليكم ، وكفى به خليفة .

ثمّ قال : وعليكم يا رسل ربّي السلام ، ثمّ قال : لمثل هذا فليعمل العاملون ، إنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون ، ثمّ استقبل القبلة ، وغمّض عينيه ، ومدّ يديه ، وقال : أشهد أن لا إلـه إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ، ثمّ قضى نحبه صلوات الله عليه »[1].



(١) بحار الأنوار : ٢١٤/٤٢ ، الحديث ١٥ و : ٢٥٠/٩٧ ، الحديث ٤٤ .

المجلس التاسع عشر

في وفاة الحسن عليه السلام

المشهور أنّه استشهد في آخر شهر صفر[1].

وقيل: في السابع[2].

وقيل: في الثامن والعشرين[3]، سنة تسع وأربعين من الهجرة، وكان عمره عليه السلام سبعة وأربعون سنة على المشهور[4].

وقيل: تسعة وأربعون[5].

وروى الراوندي في **«الخرائج»**: عن الصادق عليه السلام: **«إنّ الحسن عليه السلام قال لأهل بيته: إنّي أموت بالسمّ كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله.**

قالوا: ومن يفعل ذلك؟

قال: امرأتي جعدة بنت الأشعث بن قيس، فإنّ معاوية يدسّ إليها ويأمرها بذلك.

---

(١) الكافي: ٤٦١/١. بحار الأنوار: ١٣٤/٤٤، الحديث ١ و: ١٤٠، الحديث ٦.

(٢) تهذيب الأحكام: ٣٩/٦، الحديث ١١. بحار الأنوار: ١٣٤/٤٤، الحديث ٢.

(٣) تاج المواليد: ٢٤. مناقب آل أبي طالب: ١٩٢/٣. بحار الأنوار: ١٤٩/٤٤، الحديث ١٨.

(٤) الكافي: ٤٦١/١، الحديث ٢. كشف الغمّة: ١٦٠/٢. بحار الأنوار: ١٤٠/٤٤.

(٥) تاج المواليد: ٢٥. بحار الأنوار: ١٣٥/٤٤، الحديث ٣.

قالوا : أخرجها من منزلك وباعدها من نفسك ؟

قال : كيف أخرجها ولم تفعل بعد شيئاً ، ولو أخرجتها ما قتلني غيرها ، وكان لها عذر عند النّاس .

فما ذهبت الأيّام والليالي حتّى بعث إليها معاوية مالاً جسيماً ، وجعل يمنّيها بأن يعطيها مائة ألف درهم أيضاً ، ويزوّجها من يزيد ، وحمل إليها شربة سمّ لتسقيها الحسن عليه السلام ، فانصرف عليه السلام إلى منزله وهو صائم ، فأخرجت وقت الإفطار ـ وكان يوماً حارّاً ـ شربة لبن وقد ألقت فيها ذلك السمّ ، فشربها وقال : عدوّة الله ، قتلتيني قتلك الله ، والله لا تصيبين منّي خلفاً ، ولقد غرّك وسخر منك ، والله يخزيك ويخزيه ، فمكث عليه السلام يومين ثمّ مضى ، فغدر بها معاوية ولم يفِ لها بما عاهد عليه »[١].

وأتاه رجل يكلّمه في صلح معاوية ، فبينا هو في ذلك إذ تنخّع الدم ، ودعا بطشت ، فحمل من بين يديه ملآن ممّا خرج من جوفه من الدم .

فقلت : ما هذا يابن رسول الله ، إنّي لأراك وجيعاً ؟

قال عليه السلام : **أجل ، دسّ إليّ هذا الطاغية من سقاني سمّاً ، فقد وقع على كبدي ، فهو يخرج قطعاً قطعاً كما ترى .**

قلت : أفلا تتداوى ؟

قال : قد سقاني مرّتين ، وهذه الثالثة لا أجد لها دواءً ، ولقد رقى إليّ أنّه كتب إلى ملك الروم يسأله أن يوجّه إليه من السمّ القتّال شربة ، فكتب إليه ملك الروم : إنّه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا .

فكتب إليه : إنّ هذا ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة ، قد خرج يطلب ملك أبيه ، وأنا أريد أن أدسّ إليه من يسقيه ذلك فأريح منه العباد والبلاد ، ووجّه إليه بهدايا وألطاف ،

(١) الخرائج والجرائح : ٢٤١/١ ، الحديث ٧ .

فوجّه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دسّ بها فسقيتها»[١].

وروي: «أنّه دخل عليه أخوه الحسين عليه السلام، فقال: كيف تجدك يا أخي؟

قال: أجدني في أوّل يوم من أيّام الآخرة، وآخر يوم من أيّام الدنيا، واعلم أنّي لا أسبق أجلي، وإنّي وارد على أبي وجدّي على كره منّي لفراقك وفراق إخوتك، وفراق الأحبّة، وأستغفر الله من مقالتي هذه، وأتوب إليه، بل على محبّة منّي للقاء رسول الله، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وأُمّي فاطمة، وحمزة، وجعفر، وفي الله عزّ وجلّ خلف من كلّ هالك، وعزاء من كلّ مصيبة، ودرك من كلّ ما فات، وإنّي رأيت ـ يا أخي ـ كبدي في الطشت، ولقد عرفت من دها بي، ومن أين أُتيت، فما أنت صانع به يا أخي؟

فقال الحسين: أقتله والله.

قال: فلا أُخبرك به أبداً حتّى نلقى رسول الله، ولكن اكتب يا أخي: هذا ما أوصى به الحسن بن عليّ إلى أخيه الحسين بن عليّ، أوصى أنّه يشهد أنّه لا إلـه إلّا الله وحـده لا شريك له، وأنّه يعبده حقّ عبادته لا شريك له في الملك، ولا وليّ له من الذلّ، وأنّه خلق كلّ شيء وقدّره تقديراً، وأنّه أوْلى من عُبد، وأحقّ من حُمد، من أطاعه رشد، ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى، فإنّي أُوصيك يا حسين بمن خلّفت من أهلي وولدي وأهل بيتي، أن تصفح عن مسيئهم، وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفاً ووالداً، وأن تدفنّي مع رسول الله، فإنّي أحقّ به وببيته ممّن أدخل بيته بغير إذنه ولا كتاب جاءهم من بعده. قال الله فيما أنزله على نبيّه في كتابه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾[٢].

فوالله ما أُذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه ولا جاءهم الإذن في ذلك من

(١) الاحتجاج: ١٢/٢. بحار الأنوار: ١٤٧/٤٤، الحديث ١٤.

(٢) الأحزاب ٣٣: ٥٣.

بعد وفاته ، ونحن مأذون لنا في التصرّف فيما ورثناه من بعده ، فإن أبت عليك الإمرأة فأنشدك بالله وبالقرابة التي قرّب الله عزّ وجلّ منك والرحم الماسّة من رسول الله أن تهريق فيّ محجمة من دم حتّى نلقى رسول الله صلى الله عليه وآله فنختصم إليه ونخبره بما كان من النّاس إلينا بعده ، ثمّ قبض عليه السلام .

فغسّل وحُنّط وكفّن ووضع سريره وانطلق به إلى مصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يصلّي فيه على الجنائز ، فصلّي على الحسن عليه السلام ، فلمّا أن صلّي عليه حمل وأُدخل المسجد ، وأمر الحسين عليه السلام أن يفتح البيت فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفّان ، وقالوا : يدفن أمير المؤمنين عثمان الشهيد القتيل ظلماً بالبقيع بشرّ مكان ، ويدفن الحسن مع رسول الله ؟ لا يكون ذلك أبداً حتّى تكسر السيوف بيننا ، وتنقصف الرماح ، وينفد النبل .

فقال الحسين عليه السلام : **أما والله الذي حرّم مكّة ، للحسن بن عليّ ابن فاطمة أحقّ برسول الله وببيته ممّن أُدخل بيته بغير إذنه ، وهو والله أحقّ به من حمّال الخطايا مسيّر أبي ذرّ رحمه الله للربذة والفاعل بعمّار ما فعل ، وبعبدالله ما صنع ، المؤوي لطريد رسول الله صلى الله عليه وآله »**[1] .

وفي رواية : « أنّه ركب مروان بن الحكم طريد رسول الله بغلة وأتى عائشة فقال لها : يا أُمّ المؤمنين ، إنّ الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله ، والله إن يدفن معه ليذهبنّ فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة .

قالت : فما أصنع يا مروان ؟

قال : إلحقي به وامنعيه من أن يدفن معه .

قالت : وكيف ألحقه ؟

---

(١) أمالي الطوسي : ١٥٩ ، الحديث ٢٦٧ . بشارة المصطفى : ٤١٧ ، الحديث ٢٤ . بحار الأنوار : ١٥١/٤٤ ، الحديث ٢٢ .

قال: اركبي بغلتي هذه، فنزل عن بغلته فركبتها، وكانت تحثّ النّاس وبني أُميّة على الحسين، وتحرّضهم على منعه ممّا همّ به، فلمّا قربت من قبر رسول الله، ورأت جنازة الحسن رمت بنفسها عن البغلة، وقالت: والله لا يدفن الحسن هاهنا أبداً أو تجزّ هذه، وأومت بيدها إلى شعرها»[1].

«ورموا بالنبال جنازته عليه السلام حتّى سلّ منها سبعون نبلاً»[2].

«فأراد بنو هاشم المجادلة، فقال الحسين عليه السلام: **الله الله، لا تضيّعوا وصيّة أخي، واعدلوا به إلى البقيع، فإنّه أقسم عليّ إن أنا مُنعت من دفنه مع جدّه أن لا أُخاصم فيه أحداً، وأن أدفنه بالبقيع مع أُمّه**، فعدلوا به ودفنوه بالبقيع معها»[3].

وقال الحسين عليه السلام: **والله لولا عهد الحسن إليّ بحقن الدماء وأن لا أهريق في أمره محجمة دم، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا**»[4].

وفي رواية الكليني عن الباقر عليه السلام: **«إنّ عائشة خرجت مبادرة على بغل بسرج، فكانت أوّل امرأة ركبت في الإسلام سرجاً، فوقفت فقالت: نحّوا ابنكم عن بيتي، فإنّه لا يدفن فيه شيء، ولا يهتك على رسول الله حجابه.**

فقال لها الحسين بن عليّ عليه السلام: قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله، وأدخلت بيته من لا يُحبّ رسول الله قربه، وأنّ الله يسألك عن ذلك.

---

(١) دلائل الإمامة: ١٦٠، الحديث ٧٢. عيون المعجزات: ٥٨. بحار الأنوار: ١٤١/٤٤، الحديث ٧.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ٢٠٤/٣. بحار الأنوار: ١٥٧/٤٤، الحديث ٢٥.

(٣) عيون المعجزات: ٥٨.

(٤) الإرشاد: ١٩/٢. روضة الواعظين: ١٦٨.

يا عائشة ، إنّ أخي أمرني أن أقرّبه من رسول الله ليحدث به عهداً ، واعلمي أنّ أخي أعلم النّاس بالله ورسوله ، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على رسول الله ستره ؛ لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾(١).

وقد أدخلت أنت بيت رسول الله الرجال بغير إذنه ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾(٢)، ولعمري لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند أذن رسول الله المعاول .

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(٣)، ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله بقربهما منه الأذى ، وما رعيا من حقّه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله . إنّ الله حرّم على المؤمنين أمواتاً ما حرّم منهم أحياء .

والله يا عائشة لو كان هذا الذي كرهتيه من دفن الحسن مع جدّه جائزاً فيما بيننا وبين الله لعلمت أنّه سيدفن وإن رغم معطسك .

قال : ثمّ تكلّم محمّد بن الحنفيّة وقال : يا عائشة ، يوماً على بغل ويوماً على جمل ، فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم .

قال : فأقبلت عليه وقالت : يابن الحنفيّة ، هؤلاء الفواطم يتكلّمون ، فما كلامك ؟

فقال لها الحسين : وأنت تبعدين محمّداً من الفواطم ، فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم : فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم ، وفاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة

---

(١) الأحزاب ٣٣: ٥٣ .

(٢) الحجرات ٤٩: ٢ .

(٣) الحجرات ٤٩: ٣ .

بنت زائدة بن الأصمّ بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر .

فقالت عائشة للحسين : نحّوا ابنكم فاذهبوا به إلى قبر أُمّه ، فإنّكم قوم خصمون ، قال : فمضى الحسين إلى قبر أُمّه ، ثمّ أخرجه ودفنه بالبقيع »[1] .



(١) الكافي : ٣٠٢/١ ، الحديث ٣ .

المجلس العشرون

في شهادة الحسين عليه السلام

روى الصدوق في «**الأمالي**»، قال: حدّثنا محمّد بن عمر البغدادي الحافظ، قال: حدّثنا أبو سعيد محمّد بن الحسن بن عثمان بن زياد البستري من كتابه، قال: حدّثنا إبراهيم بن عيد بن موسى بن يونس بن أبي إسحاق، وكانت عمّتي قالت: حدّثتني بهجة بنت الحارث بن الثعلبي عن خالها عبدالله بن منصور، وكان رضيعاً لبعض ولد زيد بن عليّ، قال: «سألت جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام فقلت: حدّثني عن مقتل ابن رسول الله ؟

فقال: حدّثني أبي، عن أبيه، قال: لمّا حضرت معاوية الوفاة دعا ابنه يزيد لعنه الله فأجلسه بين يديه فقال له: يا بنيّ، إنّي قد ذلّلت لك الرقاب الصعاب، ووطّأت لك البلاد، وجعلت الملك وما فيه طعمة لك، وإنّي أخشى عليك من ثلاثة نفر يخالفون عليك بجهدهم، وهم: عبدالله بن عمر بن الخطّاب، وعبدالله بن الزبير، والحسين بن عليّ عليهما السلام.

فأمّا عبدالله بن عمر فهو معك، فالزمه ولا تدعه، وأمّا عبدالله بن الزبير فقطّعه إن ظفرت به إرباً إرباً، فإنّه يجثو لك كما يجثو الأسد لفريسته ويؤاربك مؤاربة[1] الثعلب

---

(١) **المؤاربة**: المداهاة والمخاتلة ـ القاموس المحيط: ١٣٦/١ .

للكلب ، وأمّا الحسين ، فقد عرفت حظّه من رسول الله ، وهو من لحم رسـول الله ﷺ ودمه ، وقد علمت لا محالة أنّ أهل العراق سيخرجونه إليهم ثمّ يخذلونه ويضيّعونه ، فإن ظفرت به فاعرف حقّه ومنزلته من رسول الله ، ولا تؤاخذه بفعله ، ومع ذلك فإنّ لنا به خلطة ورحماً ، وإيّاك أن تناله بسوء أو يرى منك مكروهاً .

قال : فلمّا هلك معاوية وتولّى الأمر بعده يزيد ، بعث عامله إلى مدينة رسول الله ﷺ وهو عمّه عتبة بن أبي سفيان .

فقدم المدينة وعليها مروان بن الحكم ، وكان عامل معاوية ، فأقامه عتبة من مكانه وجلس فيه لينفذ فيه أمر يزيد ، فهرب مروان فلم يقدر عليه ، وبعث عتبة إلى الحسين بن عليّ عليه السلام فقال : إنّ أمير المؤمنين أمرك أن تبايع له .

فقال الحسين عليه السلام : يا عتبة ، قد علمت إنّا أهل بيت الكرامة ، ومعدن الرسالة ، وأعلام الحقّ والدين أودعه الله في قلوبنا ، وأنطق به ألسنتنا ، فـنطقت بـإذن الله عـزّ وجـلّ ، ولقد سمعت جدّي رسول الله ﷺ يقول : إنّ الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان ، وكيف أبايع أهل بيت قد قال فيهم رسول الله هذا ، فلمّا سمع عتبة ذلك دعا الكاتب وكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى عبدالله يزيد أمير المؤمنين ، من عتبة بن أبي سفيان

أمّا بعد : فإنّ الحسين بن عليّ ليس يرى لك خلافة ولا بيعة ، فـرأيك فـي أمـره . والسلام .

فلمّا ورد الكتاب على يزيد (لعنه الله) كتب الجواب إلى عتبة :

أمّا بعد : فإذا أتاك كتابي هذا فعجّل عليّ بجوابه ، وبيّن لي في كتابك كلّ من فـي طاعتي ، أو خرج عنها ، وليكن مع الجواب رأس الحسين بن عليّ .

فـبلغ ذلك الحسين عليه السلام فـهمّ بـالخروج مـن أرض الحـجاز إلى أرض العـراق ،

فلمّا أقبل الليل راح إلى مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله ليودّع القبر ، فلمّا وصل إلى القبر سطع له نور من القبر ، فعاد إلى موضعه .

فلمّا كانت الليلة الثانية راح ليودّع القبر فقام يصلّي فأطال ، فنعس وهو ساجد ، فجاءه النبيّ صلى الله عليه وآله وهو في منامه فأخذ الحسين عليه السلام وضمّه إلى صدره وجعل يقبّل بين عينيه ويقول : **بأبي أنت ، كأنّي أراك مرمّلاً بدمك بين عصابة من هذه الأمّة يرجون شفاعتي ، ما لهم عند الله من خلاق .**

يا بنيّ ، إنّك قادم على أبيك وأُمّك وأخيك ، وهم مشتاقون إليك ، وأنّ لك في الجنّة درجات لا تنالها إلّا بالشهادة .

فانتبه الحسين عليه السلام من نومه باكياً ، فأتى أهله فأخبرهم بالرؤيا وودّعهم .

« وحمل أخواته على المحامل ، وابنته ، وابن أخيه القاسم بن الحسن ، ثمّ سار في أحد وعشرين رجلاً من أصحابه وأهل بيته ، فمنهم أبو بكر بن عليّ ، ومحمّد بن عليّ ، وعثمان بن عليّ ، والعبّاس بن عليّ ، وعليّ بن الحسين الأكبر ، وعليّ بن الحسين الأصغر ، وعبدالله بن مسلم بن عقيل .

وسمع عبدالله بن عمر بخروجه ، فقدّم راحلته وخرج خلفه مسرعاً ، فأدركه في بعض المنازل ، فقال له : أين تريد يابن رسول الله ؟

قال : **العراق** .

قال : مهلاً ، ارجع إلى حرم جدّك .

فأبى الحسين عليه السلام عليه ، فلمّا رأى ابن عمر إباءه ، قال : يا أبا عبدالله ، اكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله يقبّله منك .

فكشف الحسين عليه السلام عن سرّته ، فقبّلها ابن عمر ثلاثاً وبكى ، وقال : استودعك الله يا أبا عبدالله ، فإنّك مقتول في وجهك هذا ، فسار الحسين عليه السلام حتّى نزل الثعلبيّة ، ورد عليه رجل يقال له بشر بن غالب فقال له : يابن رسول الله ، أخبرني عن قول الله

عزّ وجلّ: ﴿ **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ** ﴾ (١).

قال: **إمام دعا إلى هدى فأجابوه إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء في النّار، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾** (٢).

ثمّ سار حتّى نزل العذيب، فقال فيها قائلة الظهيرة ثمّ انتبه من نومه باكياً.

فقال له ابنه: **ما يبكيك يا أبة؟**

فقال: **يا بنيّ، إنّها ساعة لا تكذب فيها الرؤيا، وأنّه عرض لي في منامي عارض فقال: تسرعون السير والمنايا تسير بكم إلى الجنّة.**

ثمّ سار إلى الرهيمة، فورد عليه رجل من أهل الكوفة يكنّى أبا هرم، فقال: يابن النبيّ، ما الذي أخرجك من المدينة؟

فقال: **ويحك يا أبا هرم، شتموا عرضي فصبرت، وطلبوا مالي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله ليقتلنّني ثمّ ليلبسهم الله ذلّاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وليسلّطنّ عليهم من يذلّهم.**

قال: « وبلغ عبيدالله بن زياد لعنه الله الخبر، وأنّ الحسين عليه السلام قد نزل الرهيمة، فأسرى إليه الحرّ بن يزيد في ألف فارس.

قال الحرّ: فلمّا خرجت من منزلي متوجّهاً نحو الحسين عليه السلام نوديت ثلاثاً: يا حرُّ، أبشر بالجنّة، فالتفتّ فلم أرَ أحداً.

فقلت: ثكلت الحرّ أمّه، يخرج إلى قتال ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ويبشّر بالجنّة، فرهقه عند صلاة الظهر، فأمر الحسين عليه السلام ابنه فأذّن وأقام، وقام الحسين عليه السلام فصلى

(١) الإسراء ١٧: ٧١.

(٢) الشورى ٤٢: ٧.

بالفريقين جميعاً، فلمّا سلّم وثب الحرّ بن يزيد فقال: السلام عليك يابن رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فقال الحسين عليه السلام: **وعليك السلام، من أنت يا عبد الله؟**

فقال: أنا الحرّ بن يزيد.

فقال: **يا حرّ، أعلينا أم لنا؟**

فقال الحرّ: والله يابن رسول الله لقد بعثت لقتالك، وأعوذ بالله أن أُحشر من قبري وناصيتي مشدودة إليّ، ويديّ مغلولة إلى عنقي، وأُكبّ على حرّ وجهي في النّار. يابن رسول الله، أين تذهب؟ ارجع إلى حرم جدّك، فإنّك مقتول.

فقال الحسين عليه السلام:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقّاً وجاهد مُسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وخالف مجرما

فإن عشتُ لم أندم وإن متُّ لم ألم ... كفى بك ذلّاً أن تعيش وتُرغما

ثمّ سار الحسين عليه السلام حتّى نزل القطقطانيّة، ثمّ سار حتّى نزل كربلاء فقال: **أيّ موضع هذا؟**

فقيل: كربلاء يابن رسول الله.

فقال: **والله هذا كرب وبلاء، وهذا الموضع الذي يهراق فيه دماؤنا، ويباح فيه حريمنا.**

فأقبل عبيدالله بن زياد لعنه الله بعسكره حتّى عسكر بالنخيلة، وبعث إلى الحسين عليه السلام رجلاً يقال له عمر بن سعد - قائده - في أربعة آلاف فارس، وأقبل عبدالله ابن الحسن التميمي في ألف فارس يتبعه شبث بن ربعي في ألف فارس، ومحمّد بن الأشعث بن قيس الكندي أيضاً في ألف فارس، وكتب لعمر بن سعد على الناس،

وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، فبلغ عبيدالله بن زياد أنّ عمر بن سعد يساير الحسين ويحدّثه ويكره قتاله ، فوجّه شمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف فارس ، وكتب إلى عمر بن سعد لعنه الله : إذا أتاك كتابي هذا فلا تمهلنّ الحسين بن عليّ ، وخذ بكظمه ، وحُلْ بين ماء الفرات وبينه ، كما حيل بين عثمان وبين الماء يوم الدار .

فلمّا وصل الكتاب إلى عمر بن سعد أمر مناديه فنادى : إنّا قد أجّلنا حسيناً وأصحابه يومهم وليلتهم ، فشقّ ذلك على الحسين عليه السلام فقام الحسين عليه السلام في أصحابه خطيباً ، فقال : **اللّهمّ إنّي لا أعرف أهل بيت أبرّ ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي ، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي ، وقد نزل بي ما قد ترون ، وأنتم في حلّ من بيعتي ليست لي في أعناقكم بيعة ، ولا لي عليكم ذمّة ، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً ، وتفرّقوا في سواده ، فإنّ القوم إنّما يطلبوني ، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري .**

فقام إليه عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب فقال : يابن رسول الله ، ماذا يقول الناس إن نحن خذلنا شيخنا وكبيرنا وسيّدنا وابن عمّنا سيّد الأعمام ، وابن نبيّنا سيّد الأنبياء لم نضرب معه بسيف ، ولم نقاتل معه برمح ! لا والله أو نرد موردك ونجعل أنفسنا دون نفسك ، ودماءنا دون دمك ، فإذا نحن فعلنا ذلك فقد قضينا ما علينا ، وخرجنا ممّا لزمنا .

وقام إليه رجل يقال له زهير بن القين البجلي ، فقال : يابن رسول الله ، وددت لو أنّي قتلت ، ثمّ نشرت ، ثمّ قتلت ، ثمّ نشرت ، ثمّ قتلت فيك وفي الذين معك مائة قتلة ، ثمّ إنّ الله دفع بي عنكم أهل البيت ، لكان أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها .

فقال له ولأصحابه : **جزيتم خيراً .**

ثمّ إنّ الحسين عليه السلام أمر بحفيرة حفرت حول عسكره شبه الخندق ، وأمر فحشيت حطباً ، وأرسل عليّاً ابنه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ليستقوا الماء وهم على وجل شديد ، وأنشأ الحسين عليه السلام :

يَا دَهْرُ أُفٍّ لَكَ مِنْ خَلِيلِ ... كَمْ لَكَ بِالْإِشْرَاقِ وَالْأَصِيلِ
مِنْ صَاحِبٍ وَطَالِبٍ قَتِيلِ ... وَالدَّهْرُ لاَ يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ
وَإِنَّما الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ ... وَكُلُّ حَيٍّ سَالِكٌ سَبِيلِ

ثمّ قال لأصحابه: **قوموا فاشربوا من الماء يكن آخر زادكم، وتوضّأوا واغسلوا ثيابكم لتكون أكفانكم».**

ثمّ صلّى بهم الفجر، وعبّأهم تعبئة الحرب، وأمر بحفيرته التي حول عسكره فأُضرمت بالنار ليقاتل القوم من وجه واحد، وأقبل رجل من عسكر عمر بن سعد على فرس له يقال له ابن أبي جويريّة المزني، فلمّا نظر إلى النار تتّقد صفق بيده ونادى: يا حسين وأصحاب الحسين، أبشروا بالنار، فقد تعجّلتموها في الدنيا.

فقال الحسين: **من الرجل؟**

فقيل له: ابن أبي جويريّة المزني.

فقال الحسين عليه السلام: **اللّهمّ أذقه عذاب النّار في الدنيا**، فنفر به فرسه وألقاه في تلك النّار.

ثمّ برز من عسكر عمر بن سعد (لعنه الله) رجل آخر يقال له: تميم بن حصين الفزاري، فنادى: يا حسين ويا أصحاب حسين، أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنّه بطون الحيّات، والله لا ذقتم منه قطرة حتّى تذوقوا الموت جرعاً.

فقال الحسين عليه السلام: **مَن الرجل؟**

فقيل: تميم بن حصين.

فقال الحسين عليه السلام: **هذا وأبوه من أهل النّار. اللّهمّ اقتل هذا عطشاً في هذا اليوم**، قال: فخنقه العطش حتّى سقط عن فرسه فوطئته الخيل بسنابكها فمات.

ثمّ أقبل آخر من عسكر ابن سعد يقال لها: محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي

فقال : أيّ حرمة لك من رسول الله ﷺ ليست لغيرك ؟

فتلا الحسين عليه السلام هذه الآية : **﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ﴾**(١) .

ثمّ قال : **والله إنّ محمّداً لمن آل إبراهيم ، وإنّ العترة الهادية لمن آل محمّد . مَن الرجل ؟**

فقيل : محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي .

فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء فقال : **اللّهمّ أذلّ محمّد بن الأشعث ذُلّاً في هذا اليوم ، لا تعزّه بعد هذا اليوم أبداً** ، فعرض له عارض ، فخرج من العسكر يتبرّز ، فسلّط الله عليه عقرباً فلدغه فمات بادي العورة .

فبلغ العطش من الحسين عليه السلام وأصحابه ، فدخل عليه رجل من شيعته يقال له : يزيد بن الحصين الهمداني ـ قال إبراهيم بن عبدالله راوي الحديث : هو خال أبي إسحاق الهمداني ـ فقال : يابن رسول الله ، أتأذن لي فأخرج إليهم فأُكلّمهم ، فأذن له ، فخرج إليهم فقال : يا معشر النّاس ، إنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً ﷺ بالحقّ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وهذا ماء الفرات تلغ فيه خنازير السواد وكلابها ، وقد حيل بينه وبين ابنه .

فقالوا : يا يزيد ، لقد أكثرت الكلام فاكفف ، فوالله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله » .

فقال الحسين عليه السلام : **اقعد يا يزيد** ، ثمّ وثب الحسين عليه السلام متوكّئاً على سيفه فنادى بأعلى صوته فقال : **أُنشدكم الله هل تعرفوني ؟**

قالوا : نعم أنتَ ابنُ رسول الله ﷺ وسبطهُ .

---

(١) آل عمران ٣ : ٣٣ و ٣٤ .

قال : أُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ أُمّي فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله ؟

قالوا : نعم .

قال : أُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ أبي عليّ بن أبي طالب ؟

قالوا : اللّهمّ نعم .

قال : أُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ جدّتي خديجة بنت خُويلد أوّل نساء هذه الأُمّة إسلاماً ؟

قالوا : اللّهمّ نعم .

قال : أُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ سيّد الشهداء حمزة عمُّ أبي ؟

قالوا : اللّهمّ نعم .

قال : فأُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ جعفر الطيّار في الجنّة عمّي ؟

قالوا : اللّهمّ نعم .

قال : فأُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول الله وأنا متقلّدهُ ؟

قالوا : اللّهمّ نعم .

قال : فأُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله أنا لابسها ؟

قالوا : اللّهمّ نعم .

قال : فأُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ عليّاً كان أوّلهم إسلاماً ، وأعلمهم علماً ، وأعظمهم حلماً ، وأنّه وليُّ كلّ مؤمن ومؤمنة ؟

قالوا : اللّهمّ نعم .

قال : فبمَ تستحلّون دمي ، وأبي الذائذ عن الحوض غداً ، يذودُ عنه رجالاً كما يُذاد البعير الصادي عن الماء ، ولواء الحمد في يد جدّي يوم القيامة ؟

قالوا : قد علمنا ذلك كلّه ، ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عطشاً .

فأخذ الحسين عليه السلام بطرف لحيته وهو يومئذٍ ابن سبع وخمسين سنة ثمّ قال: **اشتدّ غضبُ الله على اليهود حين قالوا: عزيرٌ ابن الله، واشتدّ غضبُ الله على النصارى حين قالوا: المسيحُ ابن الله، واشتدّ غضب الله على المجوس حين عبدوا النّار من دون الله، واشتدّ غضبُ الله على قوم قتلوا نبيّهم، واشتدّ غضب الله على هذه العصابة الذين يريدون قتل ابن نبيّهم.**

قال: فضرب الحرّ بن يزيد فرسه وجاز عسكر عمر بن سعد لعنه الله إلى عسكر الحسين عليه السلام واضعاً يده على رأسه وهو يقول: اللّهمّ تبت إليك فتب عليّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيّك. يابن رسول الله هل من توبة؟

قال: **نعم، تاب الله عليك.**

قال: يابن رسول الله، أتأذن لي أن أُقاتل عنك؟

فأذن له، فبرز وهو يقول:

إنّي أنا الحرّ ومأوى الضيف أضرب في أعناقكم بالسيف
عن خير من حلّ بأرض الخيف أضربكم ولا أرى من حيف

فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً، ثمّ قُتل رحمه الله.

فأتاه الحسين عليه السلام ودمه يشخب فقال: **بخ بخ يا حرّ، أنت كما سمّيت، حرّ في الدنيا والآخرة.**

ثمّ أنشأ الحسين عليه السلام يقول:

لنِعم الحرّ حرّ بني رياح صبور عند مختلف الرماح
ونعم الحرّ إذ نادى حسيناً فجاد بنفسه عند الصباح

ثمّ برز من بعده زهير بن القين البجلي، وهو يقول مخاطباً للحسين عليه السلام:

اليوم نلقى جدّك النبيّا وحسناً والمرتضى عليّا

فقتل منهم تسعة عشر رجلاً ثمّ انصرع وهو يقول:

أنا زهير وأنا ابن القين أذبّكم بالسيف عن حسين»

ثمّ برز من بعده حبيب بن مظاهر الأسدي وهو يقول:

أنا حبيب وأبي مظاهر فارس هيجاء وحرب تسعرُ
وأنتم عند العديد أكثر ونحن أعلى حجّة وأظهرُ
وأنتم عند الوفاء أغدر ونحن أوفى منكم وأصبرُ
حقّاً وأنمى منكم وأعذرُ

وقتل منهم أحد وثلاثين رجلاً، ثمّ قُتل.

ثمّ برز من بعده عبدالله بن أبي عروة الغفاري وهو يقول:

قد علمت حقّاً بنو غفار وخندف بعد بني نزار
بأنّي الليث لدى الغبار لأضربنّ معشر الفجّار
بكل عضب ذكر بتّار ضرباً وجيعاً عن بني الأخيار
رهط النبيّ السادة الأبرار

فقتل منهم عشرين رجلاً، ثمّ قُتل.

ثمّ برزمن بعده برير بن خضير الهمداني، وكان أقرأ أهل زمانه وهو يقول:

أنا برير وأبي خضير لا خير فيمن ليس فيه خير

فقتل منهم ثلاثين رجلاً، ثمّ قُتل.

ثمّ برز من بعده مالك بن أنس الكاهلي، وهو يقول:

قد علمت كـاهلها ودودان والخندقيّون وقيس غـيلان
بـأنّ قـومي فـصم الأقـران يا قوم كونوا كأسود الجان
آل عـلـيّ شـيمة الرحـمان وآل حرب شيمة الشـيطان

فقتل منهم ثمانية عشر جلاً، ثمّ قُتل.

وبرز من بعده زياد بن مصاهر الكندي، فحمل عليهم وأنشأ يقول:

أنـا زيـاد وأبـي مـظاهر أشجع من ليث العرين الحاذر
يـا ربّ إنّـي للـحسين نـاصر ولابـن سـعد تـارك مـهاجر

فقتل منهم تسعة، ثمّ قُتل.

وبرز من بعده وهب بن وهب، وكان نصرانياً أسلم على يد الحسين عليه السلام هو وأمّه، فاتّبعوه إلى كربلاء، فركب فرساً، وتناول بيده عمود الفسطاط، فقاتل، وقتل من القوم سبعة أو ثمانية، ثمّ استؤسر، فأتي به عمر بن سعد لعنه الله، فأمر بضرب عنقه، فضربت عنقه ورمي به إلى عسكر الحسين عليه السلام، وأخذت أمّه سيفه وبرزت، فقال لها الحسين عليه السلام: **يا أمّ وهب اجلسي فقد وضع الله الجهاد عن النساء، وانّك وابنك مع جدّي محمّد صلى الله عليه وآله في الجنّة.**

ثمّ برز من بعده هلال بن الحجّاج، وهو يقول:

أرمي بها معلمة أفـواهـها والنفس لا ينفعها إشفاقها

فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً، ثمّ قُتل.

ثمّ برز من بعده عبدالله بن مسلم بن عقيل، وأنشأ يقول:

أقسـمت لا أقـتل إلّا حـرّاً وإن وجدت الموت شيئاً مرّا
أكـره إن أدعـى جباناً فـرّاً إنّ الجبان مـن عـصى وفـرّا

فقتل منهم ثلاثة، ثمّ قُتل.

وبرز من بعده عليّ بن الحسين الأصغر، فلمّا برز إليهم دمعت عين الحسين عليه السلام فقال: **اللّهمّ كن أنت الشهيد عليهم، فقد برز إليهم ابن رسولك، وأشبه الناس وجهاً وسمتاً به**، فجعل يرتجز ويقول:

أنا عليّ بن الحسين بن عليّ نحن وبيت الله أوْلى بالنبيّ
أما ترون كيف أحمي عن أبي

فقتل منهم عشرة، ثمّ رجع إلى أبيه فقال: يا أبتاه العطش.

فقال له الحسين عليه السلام: **صبراً يا بنيّ يسقيك جدّك بالكأس الأوفى**.

فرجع فقاتل حتّى قتل منهم أربعة وأربعين رجلاً، ثمّ قُتل.

ثمّ برز من بعده القاسم بن الحسن عليه السلام بن عليّ عليه السلام وهو يقول:

لا تجزعي نفسي فكلٌّ فانِ اليوم تلقين ذرى الجنان

فقتل منهم ثلاثة وثلاثين، ثمّ رُمي عن فرسه.

ثمّ نظر الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً، فلم يرَ أحداً، فرفع رأسه إلى السماء فقال: **اللّهمّ إنّك ترى ما يصنع بولد نبيّك**.

وحال بنو كلاب بينه وبين الماء، فرمي بسهم فوقع في نحره، وخرّ عن فرسه، فأخذ السهم فرمى به وجعل يتلقّى الدم بكفّه، فلمّا امتلأت لطّخ بها رأسه ولحيته وهو يقول: **ألقى الله وأنا مظلوم متلطّخ بدمي**.

ثمّ خرّ على خدّه الأيسر صريعاً، وأقبل عدوّ الله سنان بن أنس الإيادي وشمر بن ذي الجوشن العامري لعنهما الله في رجال من أهل الشام حتّى وقفوا على الحسين عليه السلام وقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون، أريحوا الرجل، فنزل سنان لعنه الله وأخذ بلحيته عليه السلام وجعل يضرب بالسيف في حلقه وهو يقول: والله إنّي لأحتزّ رأسك

وأنا أعلم أنّك ابن رسول الله ، وخير الناس أُمّاً وأباً ، وأقبل فرس الحسين عليه السلام حتّى لطّخ عرفه وناصيته بدم الحسين عليه السلام وجعل يركض ويصهل ، فسمعت بنات النبيّ صلى الله عليه وآله صهيله ، فخرجن فإذا الفرس بلا راكب ، فعرفن أنّ حسيناً قد قُتل ، وأقبل سنان حتّى أدخل رأس الحسين على ابن زياد لعنه الله وهو يقول :

إملأ ركابي فضّة أو ذهباً إنّي قتلت الملك المحجّبا

قتلت خير النّاس أمّاً وأباً وخيرهم إذ ينسبون النسبا

فقال له ابن زياد : ويحك ! فإن علمت أنّه خير الناس فلم قتلته إذاً ؟ فأمر به فضربت عنقه ، فعجّل الله بروحه إلى النّار .

وأرسل ابن زياد لعنه الله إلى أُمّ كلثوم بنت الحسين عليها السلام فقال لها : الحمد لله الذي قتل رجالكم ، فكيف ترون ما فعل بكم ؟

فقالت : يابن زياد ، لئن قرّت عينك بقتل الحسين عليه السلام فطالما قرّت عين جدّه به ، وكان يقبّله ويلثم شفتيه ، ويضعه على عاتقه .

يابن زياد ، أعدّ لجدّه جواباً ، فإنّه خصمك غداً »[1].



(١) أمالي الصدوق : ٢١٥ ـ ٢٢٧ ، الحديث ٢٣٩ . بحار الأنوار : ٤٤/٣١٠ ـ ٣٢٢ ، الحديث ١ .

المجلس الحادي و العشرون

في وفاة زين العابدين عليه السلام

روى الصفّار في «**بصائر الدرجات**» بإسناد معتبر عن الصادق عليه السلام، قال: «**لمّا كانت الليلة التي وعدها عليّ بن الحسين عليه السلام قال لابنه محمّد الباقر عليه السلام: يا بنيّ، ائتني بوضوء، قال: فقمت فجئت بوضوء، فقال: لا ينبغي هذا، فإنّ فيه شيئاً ميّتاً، قال: فخرجت فجئت بالمصباح فإذا فيه فأرة ميّتة، فجئته بوضوء غيره.**

قال: فقال: يا بنيّ، هذه الليلة التي وعدتها، فأوصى بناقته أن يحضر لها عصام[1]، ويقام لها علف، فجعلت فيه، فلم تلبث أن خرجت حتّى أتت القبر فضربت بجرانها[2] ورغت وهملت عيناها، فأتى محمّد بن عليّ، فقيل له: إنّ الناقة قد خرجت فضربت بجرانها ورغت وهملت عيناها، فأتاها فقال: مه الآن، قومي بارك الله فيك، فثارت

---

(١) **العصام**: رباط القربة، من حبل ونحوه، وفي رواية **الكافي**: ٤٦٨/١، الحديث ٤، على ما في **بحار الأنوار**: ١٤٩/٤٦، الحديث ٥: بدل «عصام»: «حظار»، وهو الحظيرة تعمل للإبل من الشجر لتقيها من البرد والريح.

(٢) في حديث ناقة عليّ بن الحسين عليه السلام: «**فدلكت بجرانها القبر وهي ترغو**». **جران البعير** ـ بالكسر ـ: من مقدّم عنقه من مذبحه إلى منحره، فإذا برك البعير ومدّ عنقه على الأرض. قيل: ألقى جرانه بالأرض، والجمع: جرن وأجرنة كحمار وحمر واحمرة ـ مجمع البحرين: ٣٦٥/١.

ودخلت موضعها ، فلم تلبث أن خرجت حتّى أتت القبر فضربت بجرانها ورغت وهملت عيناها ، فأُتي محمّد بن عليّ فقيل له : إنّ الناقة قد خرجت ، فأتاها فقال لها : مه الآن ، قومي ، فلم تفعل ، قال : دعوها فإنّها مودّعة ، فلم تلبث إلّا ثلاثة أيّام حتّى نفقت وإن كان ليخرج عليها إلى مكّة فيعلّق السوط بالرحل فما يقرعها قرعة حتّى يدخل المدينة »[١].

وفي رواية «**الاختصاص**» : « إنّه عليه السلام حجّ عليها أربعين حجّة »[٢].

وفي رواية القمّي عن الرضا عليه السلام ، قال : « لمّا حضرت عليّ بن الحسين الوفاة أُغمي عليه ثلاث مرّات ، فقال في المرّة الأخيرة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[٣] ، ثمّ مات صلوات الله عليه »[٤].

وفي «**الكافي**» : عنه عليه السلام ، قال : « إنّ السجّاد لمّا حضرته الوفاة أُغمي عليه ، ثمّ فتح عينيه وقرأ : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾[٥] و ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴾[٦] ، وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾ الآية[٧] ، ثمّ قبض من ساعته ولم يقل شيئاً »[٨].

---

(١) بصائر الدرجات : ٥٠٣ ، الحديث ١١ . بحار الأنوار : ١٤٨/٤٦ ، الحديث ٤ .

(٢) لم نجده في الاختصاص ، بل في مختصر بصائر الدرجات : ٧ . بحار الأنوار : ١٤٩/٤٦ ، الحديث ٥ .

(٣) الزُّمر ٣٩ : ٧٤ .

(٤) تفسير القمّي : ٢٥٤/٢ .

(٥) الواقعة ٥٦ : ١ .

(٦) الفتح ٤٨ : ١ .

(٧) الزمر ٣٩ : ٧٤ .

(٨) الكافي : ٤٦٨/١ ، الحديث ٥ .

وذكر الكفعمي أنّه سمّه هشام بن عبدالملك[١].

وفي **«الإقبال»**: «إنّ الذي قتله الوليد بن عبدالملك»[٢].

وفي **«كشف الغمّة»**: «إنّه توفّي في ثامن عشر محرّم سنة أربع وتسعين، وقيل: خمس وتسعين[٣].

وقيل: في التاسع والعشرين من الشهر المذكور[٤]، والأكثر على أنّ عمره عليه السلام حينئذٍ سبع وخمسون سنة، كما عن الصادق عليه السلام[٥].

وفي رواية أُخرى: «ثمان وخمسين سنة من الهجرة»[٦].



(١) المصباح / الكفعمي: ٥٢١ . بحار الأنوار: ١٥٣/٤٦ و ٢١٧ .

(٢) كشف الغمّة: ٢٩٤/٢ . إقبال الأعمال: ٢١٤/١ . بحار الأنوار: ١٥٣/٤٦ .

(٣) كشف الغمّة: ٢٩٤/٢ .

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) الكافي: ٤٦٨/١، الحديث ٦ . بحار الأنوار: ١٥٢/٤٦، الحديث ١٤ .

(٦) كشف الغمّة: ٣٠٢/٢ . بحار الأنوار: ١٥١/٤٦ و ١٥٤ .

المجلس الثاني و العشرون

في وفاة الباقر عليه السلام

المشهور أنّ وفاته عليه السلام كانت في السنة الرابعة عشر بعد المائة من الهجرة ،كما هو مرويّ في **«الكافي»** عن الصادق عليه السلام[١]. وقيل : في سنة مائة وثمانية عشر[٢].

وفي **«كشف الغمّة»** : سنة ستّة عشر ومائة في سابع ذي الحجّة[٣].

وكذا قال الشهيد[٤].

والمشهور أنّ عمره عليه السلام حينئذٍ سبع وخمسون سنة ، فيكون قد عاش مع جدّه الحسين عليه السلام أربع سنين ومع أبيه تسع وثلاثون سنة .

وذكر الصدوق وغيره أنّه مات مسموماً بأمر إبراهيم بن الوليد ،كما في **«الإقبال»**[٥].

---

(١) الكافي : ١/٤٧٢ ، الحديث ٦ .

(٢) كشف الغمّة : ٢/٣٣٢ .

(٣) لم نجده في كشف الغمّة .

(٤) الدروس الشرعيّة : ٢/١٢ .

(٥) نقله عن أبي جعفر بن بابويه ، ابن شهرآشوب في مناقبه : ٣/٣٤٠ ، وانظر إقبال الأعمال: ١/٢١٤ ، الهامش رقم ٥ . بحار الأنوار : ٩٥/١٠٩ .

وقيل: بأمر هشام بن عبدالملك[١].

في «**الكافي**» و«**البصائر**»: عن الصادق عليه السلام، قال: «**إنّ أبي مرض مرضاً شديداً حتّى خفنا عليه، فبكى بعض أهله عند رأسه، فنظر إليه فقال: إنّي لست بميّت من وجعي هذا، إنّه أتاني اثنان فأخبراني أنّي لست بميّت من وجعي هذا، قال: فبرئ ومكث ما شاء الله أن يمكث، فبينا هو صحيح ليس به بأس، إذ قال: يا بنيّ، إنّ اللذين أتياني في وجعي ذاك أتياني فأخبراني أنّي ميّت يوم كذا وكذا. قال: فمات في ذلك اليوم**»[٢].

وعن الصادق عليه السلام، قال: «**كتب أبي في وصيّته أن أكفّنه في ثلاثة أثواب: أحدها رداء له حبرة كان يصلّي فيه يوم الجمعة، وثوب آخر وقميص.**

فقلت لأبي: لِمَ تكتب هذا؟

فقال: أخاف أن يغلبك النّاس، وإن قالوا: كفّنه في أربعة أو خمسة فلا تفعل، وعمّمني بعمامة، وليس تعدّ العمامة من الكفن»[٣].

وعن الصادق عليه السلام: «**إنّه أتى أبا جعفر عليه السلام ليلة قُبض وهو يناجي، فأومأ إليه بيده أن تأخّر، فتأخّر حتّى فرغ من المناجاة، ثمّ أتاه فقال: يا بنيّ، إنّ هذه الليلة التي أُقبض فيها، وهي الليلة التي قُبض فيها رسول الله صلى الله عليه وآله.**

قال: وحدّثني أنّ أباه عليّ بن الحسين عليه السلام أتاه بشراب في الليلة التي قُبض فيها وقال: إشرب هذا.

---

(١) مصباح الكفعمي: ٥٢١ (الجدول). بحار الأنوار: ٢١٧/٤٦، الحديث ١٩.

(٢) لم نجده في الكافي. انظر: دلائل الإمامة: ٢٣١، الحديث ١٥٨. الخرائج والجرائح: ٧٧١/٢، الحديث ٩٢. مدينة المعاجز: ٨٠/٥، الحديث ١٤٨٥. بحار الأنوار: ٢٨٧/٢٧، الحديث ٦.

(٣) الكافي: ١٤٤/٣، الحديث ٧.

فقال: يا بنيّ، إنّ هذه الليلة التي وُعدت أن أُقبض فيها، فقبض فيها»[١].

وفي رواية أُخرى: «أنّه كان وضوؤه قريباً منه، قال: أريقوه، فظننّا أنّه يقول من الحمّى.

فقال: يا بنيّ، أرقه، فأرقناه، فإذا فيه فأرة»[٢].

وقال الصادق عليه السلام: «إنّ رجلاً كان على أميال من المدينة، فرأى في منامه، قيل له: انطلق فصلِّ على أبي جعفر، فإنّ الملائكة تغسّله في البقيع، فجاء الرجل فوجد أبا جعفر عليه السلام قد توفّي»[٣].

وعن زرارة، قال: «أوصى الباقر عليه السلام بثمانمائة درهم لمأتمه»[٤].

وعن الصادق عليه السلام، قال: «قال لي أبي: يا جعفر، أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب تندبني عشر سنين بمنى أيّام منى»[٥].



(١) بصائر الدرجات: ٥٠٢، الحديث ٧.

(٢) الخرائج والجرائح: ٧١١/٢، الحديث ٧.

(٣) الكافي: ١٨٣/٨، الحديث ٢٠٧.

(٤) الكافي: ٢١٧/٣. وسائل الشيعة: ٢٣٨/٣، الحديث ٣٥٠٩.

(٥) الكافي: ١١٧/٥، الحديث ١.

المجلس الثالث و العشرون

في وفاة الصادق عليه السلام

لا خلاف بين العلماء في أنّ وفاته عليه السلام كانت في السنة الثامنة والأربعين بعد المائة من الهجرة ، والمشهور أنّه في شهر شوّال .

وقيل : يوم الاثنين منتصف رجب[1] ، والأكثر على أنّ عمره الشريف حينئذٍ خمسة وستّون سنة ، وقيل : ثمانية وستّون[2] .

وقيل : إحدى وسبعين سنة[3] ، وكان مقامه مع جدّه السجّاد عليه السلام اثني عشر سنة وأيّاماً .

وقيل : خمسة عشر[4] ، ولمّا توفّي الباقر عليه السلام كان عمره أربعاً وثلاثين سنة ، وأقام بعده كذلك[5] ، وكان في أيّام إمامته مُلك هشام بن عبدالملك ، ومُلك الوليد بن يزيد بن عبدالملك ، ويزيد بن عبدالوليد الملقّب بالناقص ، وإبراهيم بن الوليد ،

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣٩٩/٣ . تاج المواليد (المجموعة) : ٤٤ .

(٢) كشف الغمّة : ٤٠٣/٢ . بحار الأنوار : ٥/٤٧ ، ذيل الحديث ١٦ .

(٣) كشف الغمّة : ٣٧٨/٢ . بحار الأنوار : ٥/٤٧ ، ذيل الحديث ١٦ .

(٤) كشف الغمّة : ٤٠٢/٢ . بحار الأنوار : ٥/٤٧ ، ذيل الحديث ١٦ .

(٥) كشف الغمّة : ٤٠٢/٢ . بحار الأنوار : ٥/٤٧ ، ذيل الحديث ١٦ .

ومروان الحمار وأبي العبّاس عبدالله الملقّب بالسفّاح، وأخوه المنصور، وتوفّي الصادق عليه السلام بعد مضيّ عشر سنوات من ملكه[١].

وذكر الصدوق وابن طاووس أنّ المنصور لعنه الله سمّه عليه السلام[٢].

وقيل: إنّه جعل له السمّ في العنب[٣].

وروي: أنّه وشاه رجل إلى المنصور وقال له: إنّ جعفر بن محمّد عليه السلام بعث مولاه المعلّى بن خنيس لجباية الأموال من شيعته، وأنّه كان يمدّ بها محمّد بن عبدالله بن الحسن ـ الذي خرج على المنصور، فقتله المنصور ـ، فكاد المنصور أن يأكل كفّه على جعفر غيظاً، وكتب إلى عمّه داود بن عليّ ـ داود إذ ذاك أمير المدينة ـ أن يسيّر إليه جعفر بن محمّد، ولا يرخّص له في المقام، فبعث إليه داود بكتاب المنصور وقال: اعمل في المسير إلى أمير المؤمنين في غد ولا تتأخّر.

قال صفوان: وكنت بالمدينة يومئذٍ، فأنفذ إليّ جعفر عليه السلام فصرت إليه، فقال لي: **تعهّد راحلتنا فإنّا غادون في غد إن شاء الله إلى العراق**، ونهض من وقته وأنا معه إلى مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان ذلك بين الظهر والعصر، فركع فيه ركعات، ثمّ رفع يديه فحفظت يومئذٍ من دعائه: يا من ليس له ابتداء... الدعاء.

قال صفوان: سألت أبا عبدالله عليه السلام بأن يعيد الدعاء عليّ فأعاده وكتبته، فلمّا أصبح أبو عبدالله عليه السلام رحّلت له الناقة وسار متوجّهاً إلى العراق حتّى قدم مدينة أبي جعفر، وأقبل حتّى استأذن، فأذن له.

فلمّا رآه أبو جعفر قرّبه وأدناه، ثمّ حكى له قصّة الرافع في المعلّى بن خنيس.

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٤٥. بحار الأنوار: ٤٧/٦، الحديث ١٧.

(٢) اعتقادات الصدوق: ٩٨. إقبال الأعمال: ١/٢١٤.

(٣) مصباح الكفعمي: ٥٢٣ (الجدول).

فقال أبو عبدالله عليه السلام: **معاذ الله.**

فقال له: تحلف على براءتك من ذلك؟

قال: **نعم، أحلف بالله أنّه ما كان من ذلك شيء.**

فقال له المنصور: لا بل تحلف بالطلاق والعتاق.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: **أما ترضى يميني بالله الذي لا إله إلّا هو؟**

قال المنصور: فلا تتفقّه علَيَّ.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: **فأين يذهب بالفقه منّي.**

قال له: دع عنك هذا فانّي أجمع الساعة بينك وبين الرجل الذي رفع عنك حتّى يواجهك، فأتوا بالرجل وسألوه بحضرة جعفر الصادق عليه السلام.

فقال: نعم، هذا صحيح، وهذا جعفر بن محمّد، والذي قلت فيه كما قلت.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: **تحلف أيّها الرجل أنّ هذا الذي رفعته صحيح؟**

قال: نعم، ثمّ ابتدأ الرجل باليمين، فقال: والله الذي لا إله إلّا هو الطالب الغالب الحيّ القيّوم.

فقال له جعفر الصادق عليه السلام: **لا تعجل في يمينك، فإنّي أنا أستحلف.**

قال المنصور: وما أنكرت من هذه اليمين؟

قال: **إنّ الله تعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا أثنى عليه أن يعاجله بالعقوبة لمدحه له، ولكن قل يا أيّها الرجل: أبرأ إلى الله من حوله وقوّته، وألجأ إلى حولي وقوّتي إنّي لصادق برّ فيما أقول.**

فقال المنصور للقرشي: احلف بما استحلفك به أبو عبدالله، فحلف الرجل بهذه اليمين، فلم يستتمّ الكلام حتّى خرّ ميّتاً.

فراع المنصور ذلك وارتعدت فرائصه ، فقال : يا أبا عبدالله ، سرْ من غد إلى حرم جدّك إن اخترت ذلك ، وإن اخترت المقام عندنا لم نأل في إكرامك وبرّك ، فوالله لا قبلت عليك قول أحد بعدها أبداً »[١].

وعن سالمة مولاة أبي عبدالله عليه السلام ، قالت : «كنت حاضرة عند أبي عبدالله عليه السلام حين حضرته الوفاة ، وأغمي عليه ، فلمّا أفاق قال : **أعطوا الحسن بن عليّ بن الحسين عليه السلام** ، وهو الأفطس ، **سبعين ديناراً ، وأعط فلاناً كذا وفلاناً كذا** .

فقلت : أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك ؟

فقال : **تريدين أن لا أكون من الذين قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾**[٢].

نعم يا سالمة ، إنّ الله خلق الجنّة فطيّبها وطيّب ريحها ، وأنّ ريحها ليوجد من مسيرة ألفي عام ، ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم »[٣].

وعن أبي أيّوب الجزري ، قال : « بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل ، فدخلت عليه وهو جالس على كرسيّ وبين يديه شمعة ، وفي يده كتاب ، فلمّا سلّمت عليه رمى الكتاب إليّ وهو يبكي ، وقال : هذا كتاب محمّد بن سليمان يخبرنا أنّ جعفر بن محمّد قد مات ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ـ ثلاثاً ـ وأين مثل جعفر !

ثمّ قال لي : اكتب ، فكتبت صدر الكتاب .

ثمّ قال : اكتب : إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدّمه واضرب عنقه .

---

(١) مهج الدعوات : ٢٤٥ . بحار الأنوار : ٤٧/٢٠٠ ، الحديث ٤١ .

(٢) الرعد ١٣ : ٢١ .

(٣) الغيبة / الطوسي : ١٩٧ ، الحديث ١٦١ . بحار الأنوار : ٤٧/٢ ، الحديث ٧ .

قال: فرجع الجواب إليه: إنّه قد أوصى إلى خمسة، أحدهم أبو جعفر المنصور ومحمّد بن سليمان وعبدالله وموسى ابني جعفر، وحميدة.

فقال المنصور: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل»[١].



(١) الكافي: ١/٣١٠، الحديث ١٣، وفيه: «النحوي». إعلام الورى: ٢/١٣، وفيه: «الجوزي». الغيبة/الطوسي: ١٩٧، الحديث ١٦٢، وفيه: «الخوزي». مناقب ابن شهرآشوب: ٣/٤٣٤، وفيه: «الحوبي» بدل «الجزري».

المجلس الرابع و العشرون

في وفاة الكاظم عليه السلام

المشهور أنّه قبض سنة ثلاث وثمانين ومائة لخمس بقين من رجب[1].

وقيل: لخمس خلون من رجب[2] في بغداد في حبس السندي بن شاهك، وله يومئذٍ خمس وخمسون سنة.

وكانت مدّة إمامته عليه السلام خمساً وثلاثين سنة، وقام بالأمر وله عشرون سنة.

وكانت في أيّام إمامته بقيّة ملك المنصور، ثمّ ملك ابنه المهدي عشر سنين، ثمّ ملك ابنه الهادي موسى بن محمّد سنة وشهر، ثمّ ملك هارون الرشيد، واستشهد بعد مضيّ خمسة عشر سنة من ملكه مسموماً في حبس السندي، سمّه الرشيد لعنه الله في الحبس.

وروى الصدوق وغيره: «إنّ الرشيد لمّا ضاق صدره ممّا كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر عليهما السلام وما كان يبلغه من قول الشيعة بإمامته عليه السلام واختلافهم في السير إليه بالليل والنهار، خشي على نفسه وملكه، ففكّر في قتله بالسمّ، فدعا برطب فأكل منه، ثم أخذ صينيّة فوضع فيها عشرين رطبة من ذلك الرطب، وأخذ سلكاً فعركه

---

(١) تاج المواليد (المجموعة): ٤٧. كشف الغمّة: ٧/٣. إعلام الورى: ٦/٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤٢٧/٣. روضة الواعظين: ٢٢١. بحار الأنوار: ١/٤٨، الحديث ١.

بالسمّ، وأدخله في سُمّ الخِياط، وأخذ رطبة من ذلك الرطب، فأقبل يردد ذلك السمّ بذلك الخيط حتّى علم أنّه قد حصل السمّ فيها، فاستكثر منه، ثمّ ردّها في ذلك الرطب وقال لخادم له: احمل هذه الصينيّة إلى موسى بن جعفر، وقل له: إنّ أمير المؤمنين أكل من هذا الرطب وتنغّص لك به، وهو يقسم عليك بحقّه لما أكلتها عن آخر رطبة، فإنّي اخترتها لك بيدي، ولا تتركه يبقي منها شيئاً، ولا يطعم منها أحداً.

فأتاه بها الخادم وأبلغه الرسالة، فقال له: **آتيني بخلال**، فناوله خلالاً، وقام بإزائه وهو يأكل من الرطب، وكانت للرشيد كلبة تعزّ عليه، فجذبت نفسها وخرجت تجرّ سلاسلها من ذهب وجوهر حتّى حاذت موسى بن جعفر، فبادر عليه السلام بالخلال إلى الرطبة المسمومة ورمى بها إلى الكلبة، فأكلتها، فلم تلبث أن ضربت بنفسها الأرض وعوت وتهرّأ لحمها قطعة قطعة، واستوفى عليه السلام باقي الرطب وحمل الغلام الصينيّة حتّى صار بها إلى الرشيد، فقال له: قد أكل الرطب عن آخره؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: فكيف رأيته؟

قال: ما أنكرت منه شيئاً يا أمير المؤمنين.

قال: ثمّ ورد عليه خبر الكلبة وأنّها قد تهرّأت وماتت، فقلق الرشيد لذلك قلقاً شديداً، واستعظمه ووقف على الكلبة فوجدها متهرّئة بالسمّ، فأحضر الخادم ودعا له بسيف ونطع وقال له: لتصدقني عن خبر الرطب أو لأقتلنّك؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي حملت الرطب إلى موسى بن جعفر وأبلغته سلامك، وقمت بإزائه، فطلب منّي خلالاً، فدفعته إليه، فأقبل يغرز في الرطبة بعد الرطبة ويأكلها، حتّى مرّت الكلبة فغرز الخلال في رطبة من ذلك الرطب، فرمى بها، فأكلتها الكلبة وأكل هو باقي الرطب، فكان ما ترى يا أمير المؤمنين.

فقال الرشيد: ما ربحنا من موسى إلّا إنّا أطعمناه جيّد الرطب وضيّعنا سمّنا وقتل

كلبتنا، ما في موسى حيلة»(١).

وروي: «إنّ الرشيد لما أراد قتله، عرض قتله على سائر جنده وفرسانه، فلم يقبل ذلك أحد منهم، فأرسل إلى عمّاله في بلاد الإفرنج يقول لهم: التمسوا لي قوماً لا يعرفون الله ولا رسوله، فإنّي أُريد أن أستعين بهم على أمر، فأرسلوا إليه قوماً لا يعرفون من الإسلام ولا من لغة العرب شيئاً، وكانوا خمسين رجلاً، فلمّا دخلوا إليه أكرمهم وسألهم: من ربّكم ومن نبيّكم؟

فقالوا: لا نعرف لنا ربّاً ولا نبيّاً أبداً، فأدخلهم البيت الذي فيه الإمام عليه السلام ليقتلوه، والرشيد ينظر إليهم من روزنة البيت.

فلمّا رأوه رموا أسلحتهم، وارتعدت فرائصهم، وخرّوا سجّداً يبكون رحمة له، فجعل الإمام عليه السلام يمرّ يده على رؤوسهم ويخاطبهم بلغتهم وهم يبكون، فلمّا رأى الرشيد ذلك، خشي الفتنة وصاح بوزيره: أخرجهم، فأخرجهم، فخرجوا وهم يمشون القهقرى إجلالاً له، وركبوا خيولهم ومضوا نحو بلادهم من غير استئذان»(٢).

وحكى بعض من كان موكّلاً بتفحّص أحواله في الحبس، قال: «كنت كثيراً ما أسمع من موسى بن جعفر عليه السلام في تلك الأيّام التي هو في الحبس يقول: **اللّهمّ إنّي كثيراً ما كنت أسألك أن توفّق لي خلوة وعزلة وفراغ خاطر لعبادتك وإطاعتك، فكيف أشكر هذه النعمة وقد استجبت لي دعائي، وبلّغتني مناي**»(٣).

وروى الصدوق في **«العيون»** و**«الأمالي»** عن عبدالله القزويني، قال: «دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح، فقال: ادن منّي، فدنوت منه حتّى حاذيته،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٩٤/٢، الحديث ٦.

(٢) مدينة المعاجز: ٣٨٢/٦، الحديث ٢٠٥٧. بحار الأنوار: ٢٤٩/٤٨، الحديث ٥٧.

(٣) جلاء العيون (فارسي): ٤٧٦.

ثمّ قال لي : أشرف على البيت في الدار ، فأشرفت ، فقال : ما ترى ؟

قلت : ثوباً مطروحاً .

فقال : أنظر حسناً .

فتأمّلت فنظرت وتيقّنت ،فقلت : رجل ساجد .

فقال لي : تعرفه ؟

قلت : لا .

قال : هذا مولاك .

قلت : ومن مولاي ؟

فقال : تتجاهل علَيّ .

فقلت : ما أتجاهل ، ولكنّي لا أعرف لي مولىً .

فقال : هذا أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ، إنّي أتفقّده الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات إلّا على الحالة التي أُخبرك بها ، إنّه يصلّي الفجر فيعقّب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس ، ثمّ يسجد سجدة ، فلا يزال ساجداً حتّى تزول الشمس ، وقد وكّل من يترصّد الزوال ، فلست أدري متى يقول الغلام : قد زالت الشمس ، إذ يثب فيبتدئ بالصلاة من غير أن يجدّد وضوءاً ، فأعلم أنّه لم ينم في سجوده ولا غفا ، فلا يزال كذلك حتّى يفرغ من صلاة العصر ، فإذا صلّى العصر سجد سجدة فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس ، فإذا غابت الشمس وثب من سجدته فصلّى المغرب من غير أن يحدث حدثاً ، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلّي العتمة ، فإذا صلّى العتمة أفطر على شويّ يؤتى به ، ثمّ يجدّد الوضوء ثمّ يسجد ثمّ يرفع رأسه ، فينام نومة خفيفة ، ثمّ يقوم فيجدّد الوضوء ثمّ يقوم فلا يزال يصلّي في جوف الليل حتّى يطلع الفجر . فلست أدري متى يقول الغلام : إنّ الفجر قد طلع ،

إذ قد وثب هو لصلاة الفجر ، فهذا دأبه منذ حوّل إلى الآن .

فقلت : اتّق الله ولا تحدثنّ في أمره حدثاً يكون منه زوال النعمة ، فقد تعلم أنّه لم يفعل أحد بأحد منهم سوءً إلّاكانت نعمته زائلة ؟

فقال : قد أرسلوا إليَّ في غير مرّة يأمروني بقتله فلم أُجبهم إلى ذلك ، وأعلمتهم أنّي لا أفعل ذلك ، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني » الحديث[1].

وروى الصدوق في « **العيون** » عن الثوباني ، قال : «كانت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بضع عشر سنة كلّ يوم سجدة ، بعد ابيضاض الشمس إلى وقت الزوال . قال : فكان هارون ربّما صعد سطحاً يشرف منه على الحبس الذي حبس فيه أبو الحسن عليه السلام ، فكان يرى أبا الحسن ساجداً ، فقال للربيع : يا ربيع ، ما ذاك الثوب الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، ما ذاك بثوب ، وإنّما هو موسى بن جعفر ، له كلّ يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال .

قال الربيع : فقال لي هارون : أما أنّ هذا من رهبان بني هاشم .

قلت : فما لك قد ضيّقت عليه في الحبس ؟

قال : هيهات لا بدّ من ذلك »[2].

وروي : « إنّ السنديّ بن شاهك لعنه الله أتاه برطب مسموم بأمر من الرشيد في الحبس ، فأكل منه عشر رطبات .

فقال له السندي : تزداد ؟

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٩٨/٢ ، الحديث ١٠ . أمالي الصدوق : ٢١٠ ، الحديث ٢٣٥ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٨٨/٢ ، الحديث ١٤ .

فقال عليه السلام له: **حسبك، قد بلغت ما تحتاج إليه فيما أُمرت به**.

ثمّ إنّه أحضر القضاة والعدول قبل وفاته بأيّام وأخرجه إليهم، وقال: إنّ النّاس يقولون إنّ أبا الحسن موسى في ضنك وضرر، وها هو ذا، لا علّة به ولا مرض ولا ضرّ.

فالتفت عليه السلام فقال لهم: **إشهدوا أنّي صحيح الظاهر ولكنّي مسموم، وسأحمرّ في آخر هذا اليوم حمرة شديدة منكرة، وأصفرّ غداً صفرة شديدة، وأبيضّ بعد غد، وأمضي إلى رحمة الله ورضوانه**، فمضى عليه السلام كما قال في آخر اليوم الثالث[1]، وابيضاض الوجه في اليوم الثالث إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ**﴾[2].

وروى الشيخ عن محمّد بن غياث المهلّبي، قال: «لمّا حبس الرشيد موسى بن جعفر عليه السلام وأظهر الدلائل والمعجزات وهو في الحبس تحيّر الرشيد فدعا يحيى بن خالد البرمكي فقال: يا أبا عليّ، أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب؟ ألا تدبّر في أمر هذا الرجل تدبيراً تريحنا من غمّه.

فقال له يحيى بن خالد: الذي أراه لك يا أمير المؤمنين أن تمنّ عليه وتصل رحمه، فقد والله أفسد علينا قلوب شيعتنا، وكان يحيى يتولّاه وهارون لا يعلم ذلك.

فقال هارون: انطلق إليه وأطلق عنه الحديد، وأبلغه عنّي السلام، وقل له: يقول لك ابن عمّك أنّه قد سبق منّي فيك يمين أنّي لا أُخلّيك حتّى تقرّ لي بالإساءة، وتسألني العفو عمّا سلف منك، وليس عليك في إقرارك عار، ولا في مسألتك إيّاي منقصة، وهذا يحيى بن خالد هو ثقتي ووزيري وصاحب أمري، فاسأله بقدر ما أخرج عن

---

(١) بحار الأنوار: ٢٤٧/٤٨، الحديث ٥٦.

(٢) آل عمران: ١٠٧/٣.

يميني وانصرف راشداً[١].

قال محمّد بن غياث: « فأخبرني موسى بن يحيى بن خالد أنّ أبا إبراهيم قال ليحيى: يا أبا عليّ، أنا ميّت، وإنّما بقي من أجلي اسبوع، اكتم موتي وائتني يوم الجمعة عند الزوال، وصلّ عليّ أنت وأوليائي فرادى، وانظر إذا سار هذا الطاغية إلى الرقّة، وعاد إلى العراق لا يراك لنفسه ولا تراه لنفسك، فإنّي رأيت في نجمك ونجم ولده ونجمه أنه يأبى عليكم يوم، فاحذروه، ثمّ قال: يا أبا عليّ، أبلغه عنّي، يقول لك موسى بن جعفر: رسولي يأتيك يوم الجمعة فيخبرك بما ترى وستعلم غداً إذا جاءتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه، والسلام.

فخرج يحيى بن خالد من عنده واحمرّت عيناه من البكاء، حتّى دخل على هارون فأخبره بقصّته وما ردّ عليه.

فقال هارون: إن لم يدّع النبوّة بعد أيّام فما أحسن حالنا، فلمّا كان يوم الجمعة، توفّي أبو إبراهيم عليه السلام، وقد خرج الرشيد إلى المدائن قبل ذلك، فأُخرج إلى الناس حتّى نظروا إليه، ثمّ دفن ورجع الناس وهم مفترقون فرقتين: فرقة تقول: مات، وفرقة تقول: لم يمت »[٢].

وفي « **العيون** »: « إنّ سيّدنا موسى عليه السلام دعا بالمسيب، وذلك قبل وفاته بثلاثة أيّام، وكان موكّلاً به، فقال له: **يا مسيّب**.

فقال: لبّيك يا مولاي.

قال: **إنّي ضاعن في هذه الليلة إلى مدينة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله لأعهد إلى عليّ ابني**

---

(١) الغيبة / الطوسي: ٢٥، الحديث ٤، وفيه: « عبّاد » بدل « غياث ». بحار الأنوار: ٤٨/٢٣٠، الحديث ٣٧.

(٢) الغيبة / الطوسي: ٢٥، الحديث ٥. بحار الأنوار: ٤٨/٢٣١، الحديث ٣٧.

ما عهده إليَّ أبي عند وفاته، وأجعله وصيّي وخليفتي، وآمره بأمري.

قال المسيّب: فقلت: يا مولاي، كيف تأمرني أن أفتح لك الأبواب وهي مقفلة والحرس معي على الباب؟

فقال: **يا مسيّب، ضعف يقينك في الله عزّ وجلّ وفينا؟**

فقلت: لا يا سيّدي.

قال: **فمه؟**

قلت: يا سيّدي، أُدعو الله أن يثبّتني.

فقال: **اللّهمّ ثبّته**، ثمّ قال: **إنّي أدعو الله عزّ وجلّ باسمه الأعظم الذي دعا به آصف بن برخيا حتّى جاء بسرير بلقيس فوضعه بين يدي سليمان عليه السلام قبل ارتداد طرفه إليه أن يجمع بيني وبين ابني عليّ بالمدينة.**

قال المسيّب: فسمعته عليه السلام يدعو، ففقدته عن مصلّاه، فلم أزل قائماً على قدمي حتّى رأيته قد عاد إلى مكانه، وأعاد الحديد إلى رجليه، فخررت لله ساجداً لوجهي شكراً على ما أنعم به عليَّ من معرفته، فقال لي: **ارفع رأسك يا مسيّب، واعلم أنّي راحل إلى الله عزّ وجلّ في ثالث هذا اليوم.**

قال: فبكيت، فقال لي: **لا تبكِ يا مسيّب، فإنّ عليّاً ابني هو إمامك ومولاك بعدي، فاستمسك بولايته، فإنّك لا تضلّ ما لزمته.**

فقلت: الحمد لله.

قال: ثمّ إنّ سيّدي عليه السلام دعاني في ليلة اليوم الثالث فقال لي: **إنّي على ما عرّفتك من الرحيل إلى الله عزّ وجلّ، فإذا دعوت بشربة من ماء فشربتها ورأيتني قد انتفخت وارتفع بطني، واصفرّ لوني، واحمرّ واخضرّ وتلوّن ألواناً، فخبّر الطاغية بوفاتي، فإذا رأيت بي هذا الحدث فإيّاك أن تظهر عليه أحداً ولا على من عندي إلّا بعد وفاتي.**

قال المسّيب بن زهير: فلم أزل أرقب وعده حتّى دعا عليه‌السلام بالشربة فشربها، ثمّ دعاني فقال لي: **يا مسيّب، إنّ هذا الرجس السندي بن شاهك سيزعم أنّه يتولّى غسلي ودفني، وهيهات هيهات أن يكون ذلك أبداً، فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش، فألحدوني بها، ولا ترفعوا قبري فوق أربع أصابع مفرّجات، ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتبرّكوا به، فإنّ كلّ تربة لنا محرّمة إلّا تربة جدّي الحسين بن عليّ عليه‌السلام، فإنّ الله عزّ وجلّ جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا.**

قال: ثمّ رأيت شخصاً أشبه الأشخاص به عليه‌السلام جالساً إلى جانبه، وكان عهدي بسيّدي الرضا عليه‌السلام وهو غلام، فأردت سؤاله، فصاح بي سيّدي موسى عليه‌السلام وقال لي: **أليس قد نهيتك يا مسيّب؟** فلم أزل صابراً حتّى مضى وغاب الشخص، ثمّ أنهيت الخبر إلى الرشيد، فوافى السندي بن شاهك، فوالله لقد رأيتهم بعيني وهم يظنّون أنّهم يغسّلونه فلا تصل أيديهم إليه، ويظنّون أنّهم يحنّطونه ويكفّونه وأراهم لا يصنعون به شيئاً، ورأيت ذلك الشخص يتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه، وهو يظهر المعاونة لهم وهم لا يعرفونه.

فلمّا فرغ من أمره، قال لي ذلك الشخص: **يا مسيّب، مهما شككت فيه، فلا تشكّنّ فيّ، فإنّي إمامك ومولاك وحجّة الله عليك بعد أبي.**

يا مسيّب، مثلي مثل يوسف الصدّيق عليه‌السلام ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون.

ثمّ حُمل عليه‌السلام حتّى دفن في مقابر قريش ولم يرفع قبره أكثر ممّا أمر به، ثمّ رفعوا قبره بعد ذلك»[1].

وعن عبدالله الصيرفي قال: «توفّي موسى بن جعفر عليه‌السلام في يد السندي بن شاهك

(١) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام: ٢/٩٤، الحديث ٦.

لعنه الله فحُمل على نعش ونودي عليه: هذا إمام الرافضة فاعرفوه، فلمّا أُتي به مجلس الشرطة أقام أربعة نفر فنادوا: ألا من أراد أن يرى الخبيث ابن الخبيث موسى بن جعفر فليخرج، فخرج سليمان بن أبي جعفر أخو هارون من قصره إلى الشطّ، فسمع الصياح والضوضاء -أي أصوات النّاس وجلبتهم- فقال لولده وغلمانه: ما هذا؟

قالوا: إنّ السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر على نعش.

فقال لولده وغلمانه: يوشك أن يفعل هذا به في الجانب الغربي، فإذا عبر به فانزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم، فإن منعوكم فاضربوهم وخرّقوا ما عليهم من السواد.

فلمّا عبروا به نزلوا إليهم فأخذوه من أيديهم وضربوهم وخرّقوا عليهم سوادهم ووضعوه في مفرق أربعة طرق[1]، وأقام المنادين ينادون: ألا من أراد أن يشهد الطيّب ابن الطيّب موسى بن جعفر فليخرج، وحضر الخلق وغسّل وحنّط بحنوط فاخر، وكفّنه بكفن فيه حبرة استعملت له بألفين وخمسمائة دينار عليها القرآن كلّه، واحتفى ومشى في جنازته متسلّباً، مشقوق الجيب إلى مقابر قريش، فدفنه عليه السلام هناك وكتب بخبره إلى الرشيد، فكتب إلى سليمان بن أبي جعفر: وصلتك رحم يا عمّ، وأحسن الله جزاك، والله ما فعل السندي بن شاهك لعنه الله ما فعله عن أمرنا»[2].



(١) أي ممرّ مشترك بين أربعة طرق. (منه).

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٩٢، الحديث ٥. بحار الأنوار: ٤٨/٢٢٧، الحديث ٢٩.

المجلس الخامس و العشرون

في وفاة الرضا عليه السلام

روى الصدوق في «**الأمالي**» و«**العيون**» عن أبي الصلت الهروي، قال: «بينا أنا واقف بين يدي أبي الحسن عليه السلام إذ قال لي: **يا أبا الصلت، أُدخل هذه القبّة التي فيها هارون وائتني بتراب من أربعة جوانبها.**

قال: فمضيت فأتيت به، فلمّا مثلت بين يديه قال لي: **ناولني هذا التراب**، وهو من عند الباب، فناولته فأخذه وشمّه ثمّ رمى به.

ثمّ قال: **سيحفر لي هاهنا فتظهر صخرة لو جمع عليها كلّ معول بخراسان لم يتهيّأ قلعها** - ثمّ قال: - في الذي عند الرِّجل والذي عند الرأس مثل ذلك - ثمّ قال: - **ناولني هذا التراب فهو من تربتي** - ثمّ قال: - **سيحفر لي في هذا الموضع فتأمرهم أن يحفروا لي سبع مراقي إلى أسفل، وأن تشقّ لي ضريحه، فإن أبوا إلّا أن يلحدوا، فتأمرهم أن يجعلوا اللحد ذراعين وشبراً، فإنّ الله تعالى سيوسّعه ما يشاء، وإذا فعلوا ذلك، فإنّك ترى عند رأسي نداوة، فتكلّم بالكلام الذي أعلّمك، فإنّه ينبع الماء حتّى يمتلئ اللحد، وترى فيه حيتاناً صغاراً، ففتّت لها الخبز الذي أعطيك فإنّها تلتقطه، فإذا لم يبق منه شيء خرجت منه حوتة كبيرة فالتقطت الحيتان الصغار حتّى لا يبقى منها شيء، ثمّ تغيب، فإذا غابت فضع يدك على الماء ثمّ تكلّم بالكلام الذي أعلّمك، فإنّه ينضب الماء ولا يبقى منه شيء، ولا تفعل ذلك إلّا بحضرة المأمون.**

ثمّ قال عليه السلام: **يا أبا الصلت، غداً أدخل على هذا الفاجر، فإن أنا خرجت مكشوف الرأس فكلّمني، أكلّمك، وإن خرجت وأنا مغطّى الرأس، فلا تكلّمني.**

قال أبو الصلت: فلمّا أصبحنا من الغد، لبس ثيابه وجلس في محرابه، فجعل ينتظر، فبينا هو كذلك، إذ دخل عليه غلام المأمون فقال له: أجب أمير المؤمنين، فلبس نعله ورداءه وقام ومشى وأنا أتبعه، حتّى دخل على المأمون وبين يديه طبق عليه عنب، وأطباق فاكهة، وبيده عنقود عنب قد أكل بعضه وبقي بعضه.

فلمّا أبصر الرضا عليه السلام وثب إليه فعانقه، وقبّل ما بين عينيه، وأجلسه معه، ثمّ ناوله العنقود وقال: يابن رسول الله، ما رأيت عنباً أحسن من هذا.

فقال له الرضا عليه السلام: **ربّما كان عنباً حسناً يكون من الجنّة.**

فقال له: كُل منه.

فقال الرضا عليه السلام: **تعفيني عنه.**

فقال: لا بدّ من ذلك، وما يمنعك منه، لعلّك تتّهمنا بشيء؟ فتناول العنقود فأكل منه، ثمّ ناوله فأكل منه الرضا عليه السلام ثلاث حبّات، ثمّ رمى به وقام.

فقال المأمون: إلى أين؟

فقال: **إلى حيث وجّهتني**، وخرج مغطّى الرأس، فلم أكلّمه حتّى دخل الدار، فأمر أن يغلق الباب، فأُغلق ثمّ نام على فراشه، ومكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً فبينا أنا كذلك، إذ دخل علَيَّ شاب حسن الوجه، قطط الشعر، أشبه النّاس بالرضا عليه السلام، فبادرت إليه وقلت له: من أين دخلت والباب مغلق؟

فقال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق.

فقلت له: ومن أنت؟

قال: **أنا حجّة الله عليك يا أبا الصلت، أنا محمّد بن عليّ**، ثمّ مضى نحو أبيه عليه السلام

فدخل وأمرني بالدخول معه ، فلمّا نظر إليه الرضا عليه السلام وثب إليه فعانقه ، وضمّه إلى صدره ، وقبّل ما بين عينيه ، ثمّ سحبه سحباً في فراشه وأكبّ عليه محمّد بن عليّ عليه السلام يقبّله ويسارّه بشيء لم أفهمه ، ورأيت في شفتي الرضا عليه السلام زبداً أشدّ بياضاً من الثلج ، ورأيت أبا جعفر يلحسه بلسانه ، ثمّ أدخل يده بين ثوبه وصدره فاستخرج منه شيئاً شبيهاً بالعصفور فابتلعه أبو جعفر عليه السلام ، ومضى الرضا عليه السلام .

فقال أبو جعفر عليه السلام : **يا أبا الصلت ، قم فائتني بالمغتسل والماء من الخزانة .**

فقلت : ما في الخزانة مغتسل ولا ماء .

فقال لي : **انته إلى ما آمرك به** ، فدخلت الخزانة فإذا فيها مغتسل وماء ، فأخرجته وشمّرت ثيابي لأغسّله معه ، فقال لي : **تنحّ يا أبا الصلت ، فإنّ لي من يعينني غيرك** ، فغسّله .

ثمّ قال لي : **ادخل إلى الخزانة فأخرج لي السفط الذي فيه كفنه وحنوطه** ، فدخلت فإذا أنا بسفط لم أره في تلك الخزانة قطّ ، فحملته إليه ، فكفّنه وصلّى عليه .

ثمّ قال : **ائتني بالتابوت .**

فقلت : أمضي إلى النجّار حتّى يصلح تابوتاً ؟

قال : **قم ، فإنّ في الخزانة تابوتاً** ، فدخلت الخزانة فوجدت تابوتاً لم أره قطّ ، فأتيته به ، فأخذ الرضا عليه السلام بعد ما صلّى عليه ، فوضعه فيه وصفّ قدميه وصلّى ركعتين لم يفرغ منهما حتّى علا التابوت ، فانشقّ السقف فخرج منه التابوت ومضى .

فقلت : يابن رسول الله ، الساعة يجيئنا المأمون ويطالبنا بالرضا عليه السلام فما نصنع ؟

فقال لي : **اسكت ، فإنّه سيعود يا أبا الصلت ، ما من نبيّ يموت بالمشرق ويموت وصيّه بالمغرب إلّا جمع الله تعالى بين أرواحهما وأجسادهما** ، فما أتمّ الحديث حتّى انشقّ السقف ونزل التابوت ، فقام عليه السلام فاستخرج الرضا عليه السلام من التابوت ووضعه على فراشه كأنّه لم يغسّل ولم يكفّن ، ثمّ قال لي : **يا أبا الصلت ، قم فافتح الباب للمأمون** ، ففتحت

الباب فإذا المأمون والغلمان بالباب، فدخل باكياً حزيناً قد شقّ جيبه، ولطم رأسه، وهو يقول: يا سيّداه، فجعت بك يا سيّدي، ثمّ دخل وجلس عند رأسه، وقال: خذوا في تجهيزه، فأمر بحفر القبر فحفرت الموضع، فظهر كلّ شيء على ما وصفه الرضا عليه السلام.

فقال له بعض جلسائه: ألست تزعم أنّه إمام؟

قال: بلى، قال: لا يكون الإمام إلّا مقدّم النّاس، فأمر أن يحفر له في القبلة.

فقلت: أمرني أن أحفر له سبع مراقي، وأن أشقّ له ضريحه.

فقال: انتهوا إلى ما يأمر به أبو الصلت سوى الضريح، ولكن يحفر له ويلحد، فلمّا رأى ما ظهر من النداوة والحيتان وغير ذلك، قال المأمون: لم يزل الرضا عليه السلام يرينا عجائبه في حياته حتّى أراناها بعد وفاته عليه السلام أيضاً.

فقال له وزير كان معه: أتدري ما أخبرك به الرضا عليه السلام؟

قال: لا، قال: إنّه أخبرك أنّ ملككم يا بني العبّاس مع كثرتكم وطول مدّتكم مثل هذه الحيتان حتّى إذا فنيت آجالكم، وانقطعت آثاركم، وذهبت دولتكم سلّط الله عليكم رجلاً منّا فأفناكم عن آخركم، قال له: صدقت، ثمّ قال لي: يا أبا الصلت، علّمني الكلام الذي تكلّمت به؟

قلت: والله لقد نسيت الكلام من ساعتي، وقد كنت صدقت، فأمر بحبسي، ودفن الرضا عليه السلام فحبست سنة، فضاق عليّ الحبس وسهرت ليلة ودعوت الله تعالى بدعاء ذكرت فيه محمّداً وآله عليهم السلام وسألت الله تعالى بحقّهم أن يفرّج عنّي، فلم استتمّ الدعاء حتّى دخل عليّ أبو جعفر محمّد بن عليّ، فقال: **يا أبا الصلت، ضاق صدرك؟**

فقلت: إي والله.

قال: **قم**، فأخرجني، ثمّ ضرب يده إلى القيود التي كانت ففكّها، وأخذ بيدي فأخرجني من الدار والحرسة والغلمة يروني فلم يستطيعوا أن يكلّموني، وخرجت

من باب الدار ، ثمّ قال لي : **امضِ في ودائع الله ، فإنّك لن تصل إليه ولا يصل إليك أبداً** .

فقال أبو الصلت : فلم ألتق مع المأمون إلى هذا الوقت »(١) .

والأشهر في تاريخ وفاته عليه السلام أنّه في شهر صفر في السنة الثالثة بعد المائتين من الهجرة .

وقيل : في آخر شهر صفر(٢) .

وقيل : في الرابع عشر منه(٣) .

وقال الصدوق : الصحيح إنّه توفّي في شهر رمضان لتسع بقين منه يوم الجمعة سنة ثلاث ومائتين من الهجرة النبويّة المباركة(٤) .



(١) أمالي الصدوق : ٧٥٩ ، الحديث ١٠٢٦ . عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١/٢٧١ ، الحديث ١ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٣/٩٩ .

(٣) بحار الأنوار : ٤٩/٢٩٣ .

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١/٢٧٤ .

المجلس السادس و العشرون

في وفاة الجواد عليه السلام

الأشهر في تاريخ وفاته عليه السلام أنّه في آخر شهر ذي القعدة الحرام سنة مائتين وعشرة من الهجرة ، وقيل : يوم السبت سادس ذي الحجّة[1] .

وقيل : يوم الثلاثاء حادي عشر ذي القعدة[2] ، وكان عمره عليه السلام حينئذٍ خمساً وعشرين سنة وشهرين ، وبعض أيّام . ومدّة إمامته عليه السلام على المشهور سبعة عشر سنة وأيّام .

وأمّا كيفيّة وفاته عليه السلام على ما يستفاد من الروايات ، فهو لمّا طعن الناس بعد وفاة الرضا عليه السلام في المأمون واتّهموه ، أراد أن يبرّئ نفسه من ذلك .

فلمّا أتى من خراسان إلى بغداد ، كاتب الجواد عليه السلام إلى المدينة يستدعي قدومه عليه بالإعزاز والإكرام ، فلمّا ورد بغداد [اتّفق أنّ المأمون قبل ملاقاته له عليه السلام خرج إلى الصيد فاجتاز بطرف البلد في طريقه والصبيان يلعبون والجواد عليه السلام واقف معهم ، وكان عمره يومئذٍ إحدى عشرة سنة فما حولها ، فلمّا أقبل المأمون انصرف الصبيان هاربين ، ووقف أبو جعفر محمّد عليه السلام فلم يبرح مكانه ، فقرب منه الخليفة فنظر إليه

---

(١) بحار الأنوار : ٥٠/٢ ، الحديث ٢.

(٢) بحار الأنوار : ٥٠/١٤ ، الحديث ١٦.

وكأنّ الله عزّ وجلّ قد ألقى عليه مسحة من قبول، فوقف وقال له: يا غلام، ما منعك من الانصراف مع الصبيان؟

فقال له محمّد عليه السلام مسرعاً: **يا أمير المؤمنين، لم يكن بالطريق ضيق لأوسّعه عليك بذهابي، ولم يكن لي جريمة فأخشاها، وظنّي بك حسن، أنّك لا تضرّ من لا ذنب له، فوقفت**، فأعجبه كلامه ووجهه، فقال له: ما اسمك؟

قال: **محمّد**.

قال: ابن مَن؟

قال: **يا أمير المؤمنين أنا ابن عليّ الرضا عليه السلام**، فترحّم على أبيه وساق جواده إلى وجهته، وكان معه بزاة، فلمّا بعد عن العادة، أخذ بازياً فأرسله على درّاجة، فغاب عن عينه غيبة طويلة، ثمّ عاد من الجوّ وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقايا الحياة، فعجب الخليفة من ذلك غاية العجب، ثمّ أخذها في يده وعاد إلى داره في الطريق الذي أقبل منه، فلمّا وصل إلى ذلك المكان وجد الصبيان على حالهم، فانصرفوا كما فعلوا أوّل مرّة، وأبو جعفر عليه السلام لم ينصرف ووقف كما وقف أوّلاً، فلمّا دنا منه الخليفة قال: يا محمّد، قال: **لبّيك يا أمير المؤمنين**.

قال: ما في يدي، فألهمه الله عزّ وجلّ أن قال: **يا أمير المؤمنين، إنّ الله تعالى خلق بمشيّته في بحر قدرته سمكاً صغاراً فتصيدها بزاة الملوك والخلفاء، فيختبرون بها سلالة أهل النبوّة**، فلمّا سمع المأمون كلامه عجب منه، وجعل يطيل نظره إليه، وقال: أنت ابن الرضا حقّاً، وضاعف إحسانه إليه](1)»(2).

«ثمّ زوّج ابنته أمّ الفضل، ثمّ إنّه عليه السلام تنفّس من معاشرة المأمون استأذن منه أن يحجّ

(١) ما بين المعقوفتين رواية الكشّي.

(٢) كشف الغمّة: ٣/١٣٥. جلاء العيون (فارسي): ٥٠٤.

بيت الله ، فحجّ وعاد إلى وطنه ومدينة جدّه .

وفي السنة الثامنة بعد المائتين انتقل المأمون إلى عذاب الله ، واستولى المعتصم بعده ، واستقلّ بالخلافة ، ولم يزل يطرق سمعه معجزات الجواد عليه السلام وكراماته وعلومه حتّى عرض له من الحقد والعداوة ما لا يوصف ، ولم يزل يبتغي له الغيلة حتّى استدعاه من المدينة إلى بغداد ، ولمّا عزم عليه السلام على المسير إلى بغداد ، أوصى إلى ولده عليّ الهادي عليه السلام ، وجعله الخليفة بعده ، ونصّ عليه بالإمامة بمحضر أكابر الشيعة وثقاة الإماميّة ، ودفع إليه كتبه وسلاحه وآثار الأنبياء والأوصياء ، وعزم على المسير من وطن جدّه وجواره مكرهاً ، وودّع الأهل والأولاد وداع مفارق لا يعود ، وورد إلى بغداد في اليوم الثامن والعشرين من المحرّم في السنة العشرين بعد المائتين من الهجرة »[١] .

« ووقف على انحراف زوجته بنت المأمون عنه عليه السلام فأشار عليها أن تسمّه ، فأجابته إلى ذلك لتفضيله أمّ أبي الحسن ولده عليها ؛ ولأنّه لم يرزق منها ولد ، فجعلت لعنها الله له السمّ في عنب رازقيّ ووضعته بين يديه ، فلمّا أكل منه ندمت وجعلت تبكي ، فقال عليه السلام : **ما يبكيك ؟ والله ليضربنّك الله بعقر لا ينجبر ، وبلاء لا ينستر** ، فماتت لعنها الله بعلّة في أغمض المواضع من جوارحها ، فأنفقت مالها وجميع ما ملكته على تلك العلّة حتّى احتاجت إلى الاسترفاد »[٢] .

وروي أنّها ابتلت بناسور في فرجها[٣] .

وفي رواية أُخرى : « إنّها لعنها الله سمّته في فرجه بمنديل ، فلمّا أحسّ بذلك ، قال لها : **أبلاك الله بداء لا دواء له** ، فوقعت الآكلة في فرجها »[٤] .

---

(١) الإرشاد : ٢/٢٩٥ .

(٢) عيون المعجزات : ١١٨ . مدينة المعاجز : ٧/٤٠٦ ، الحديث ٢٤١٣ .

(٣) عيون المعجزات : ١١٨ . مدينة المعاجز : ٧/٤٠٦ ، ذيل الحديث ٢٤١٣ .

(٤) مناقب آل أبي طالب : ٣/٤٩٧ . مدينة المعاجز : ٧/٤٠٧ ، الحديث ٢٤١٤ .

المجلس السابع و العشرون

في وفاة الهادي عليه السلام

استشهد عليه السلام في سنة مائتين وأربعة وخمسين بعد الهجرة، واختلف في يوم وفاته.

ففي رواية القمّي وابن عيّاش: «إنّها يوم الإثنين ثالث شهر رجب»(١).

وفي رواية ابن الخشّاب: «إنّها خامس وعشرين جمادي الآخر»(٢).

وفي أُخرى: «السابع والعشرين منه»(٣).

وفي أُخرى: «السادس والعشرين منه، وكان عمره عليه السلام حينئذٍ أربعين سنة»(٤).

وفي رواية: «إحدى وأربعين سنة وأشهر»(٥).

وفي «**المناقب**»: «إنّه عليه السلام أقام مع أبيه ستّة سنين وخمسة أشهر، وبعده مدّة إمامته

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ٣/٥٠٥. الدروس الشرعيّة: ٢/١٥. بحار الأنوار: ٥٠/٢٠٦، الحديث ١٨.

(٢) تاريخ مواليد الأئمّة: ٤١. كشف الغمّة: ٣/١٦٧. الهداية الكبرى: ٣١٣.

(٣) مناقب ابن شهرآشوب: ٣/٥٠٥. بحار الأنوار: ٥٠/١١٤، الحديث ٢.

(٤) الكافي: ١/٤٩٧. بحار الأنوار: ٥٠/٢٠٥، الحديث ١٦.

(٥) الإرشاد: ٢/٣١٢. مناقب ابن شهرآشوب: ٣/٥٠٥. توضيح المقاصد: ١٦.

ثلاثاً وثلاثين سنة ، ويقال : وتسعة أشهر »[١].

ومدّة مقامه بسرّ من رأى عشرون سنة ، وكان في مدّة إمامته بقيّة ملك المعتصم ، والواثق ، والمتوكّل ، والمنتصر ، والمستعين ، والمعتزّ ، وفي آخر ملك المعتمد استشهد مسموماً .

وقال الصدوق : « سمّه المعتمد[٢] ، ولم أقف على رواية في تفصيل وفاته عليه السلام » .

وروى الراوندي في **« الخرائج »** ، عن ابن أُورمة ، قال : « خرجت أيّام المتوكّل إلى سرّ من رأى ، فدخلت على سعيد الحاجب ودفع المتوكّل أبا الحسن عليه السلام إليه ليقتله ، فلمّا دخلت عليه قال لي : أتحبّ أن تنظر إلى إلٰهك ؟!

قلت : سبحان الله الذي لا تدركه الأبصار .

فقال : هو الذي تزعمون أنّه إمامكم ؟

قلت : ما أكره ذلك .

قال : قد أُمرت بقتله ، وأنا فاعله غداً ، وعنده صاحب البريد ، فإذا خرج فادخل إليه ، فلم ألبث أن خرج ، فقال : ادخل ، فدخلت الدار التي كان فيها عليه السلام محبوساً ، فإذا بحياله قبر محفور ، فدخلت وسلّمت عليه وبكيت بكاءً شديداً .

فقال : **ما يبكيك ؟** قلت : لِما أرى .

قال : **لا تبك لذلك ، لا يتمّ لهم ذلك** ، فسكن ما كان بي ، فقال : **إنّه لا يلبث أكثر من يومين حتّى يسفك الله دمه ودم صاحبه الذي رأيته .**

قال : فوالله ما مضى غير يومين حتّى قُتل هو وصاحبه »[٣].

---

(١) لم يرد في المناقب ، بل في دلائل الإمامة : ٤٠٩ . بحار الأنوار : ١١٤/٥٠ ، ذيل الحديث ٢ .

(٢) لم نجده في كتب الصدوق ، بل نقله عنه ابن شهرآشوب : ٥٠٦/٣ . بحار الأنوار : ٢٠٦/٥٠ ، الحديث ١٩ ، نقلاً عن المناقب .

(٣) الخرائج والجرائح : ٤١٢/١ ، الحديث ١٧ .

المجلس الثامن و العشرون

في وفاة الحسن العسكري عليه السلام

وفاته عليه السلام في ثامن شهر ربيع الأوّل سنة مائتين وستّين من الهجرة، وكان يوم الجمعة[١].

وقيل: الأربعاء[٢].

وقيل: الأحد[٣].

وكان عمره الشريف تسعة وعشرون سنة[٤].

وقيل: ثمانية وعشرون سنة[٥]، ومدّة إمامته عليه السلام ما يقرب من ستّ سنين.

وقال الصدوق وغيره: «إنّ المعتمد هو الذي سمّه»[٦].

---

(١) الكافي: ٥٠٣/١. الإرشاد: ٣٣٦/٢. الدروس الشرعيّة: ١٥/٢.

(٢) تاريخ الأئمّة (المجموعة): ١٤.

(٣) الدروس الشرعيّة: ١٥/٢.

(٤) دلائل الإمامة: ٤٢٣. مناقب آل أبي طالب: ٥٢٤/٣. تاريخ الأئمّة (المجموعة): ١٤.

(٥) الكافي: ٥٠٣/١. الإرشاد: ٣٣٦/٢. مناقب آل أبي طالب: ٥٢٤/٣.

(٦) لم نجده في كتب الصدوق، انظر: مصباح الكفعمي: ٥٢٣. بحار الأنوار: ٣٣٥/٥٠. الأنوار البهيّة: ٣٢٢.

وروى الصدوق في «**الإكمال**»، قال: «وجدت في بعض الكتب المصنّفة في التواريخ، ولم أسمعه، عن محمّد بن الحسن بن عبّاد، أنّه قال: مات أبو محمّد عليه السلام يوم الجمعة مع صلاة الغداة، وكان في تلك الليلة قد كتب كتاباً بيده إلى المدينة، ولم يحضره في ذلك الوقت إلّا صيقل الجارية، وعقيد الخادم، ومن علم الله غيرهما.

قال عقيد: فدعا عليه السلام بماء قد أُغلي بالمصطكي، فجئنا به إليه، فقال: **أبدأ بالصلاة هيّئوني**، فجئنا به وبسطنا في حجره المنديل، وأخذ من صيقل الماء فغسل به وجهه وذراعيه مرّة مرّة، ومسح على رأسه وقدميه مسحاً، وصلّى صلاة الصبح على فراشه، وأخذ القدح ليشرب، فأقبل القدح يضرب ثناياه ويده ترتعد، فأخذت صيقل القدح من يده، ومضى من ساعته صلوات الله عليه، ودفن في داره بسرّ من رأى إلى جنب أبيه عليه السلام، وصار إلى كرامة الله جلّ جلاله، وقد كمل عمره تسعاً وعشرين سنة»[1].



(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٧٣، الحديث ٢٥.

المجلس التاسع والعشرون

في نبذة من أحوال الإمام المنتظر والإمام الثاني عشر

« المشهور أنّ ولادته عليه السلام في سنة خمس وخمسين ومائتين من الهجرة »[(١)].

وقيل: « سنة مائتين وثمانية وخمسين »[(٢)].

« والمشهور أنّ تولّده عليه السلام كان في ليلة الجمعة ليلة النصف من شعبان في سرّ من رأى »[(٣)].

وألقابه الشريفة: المهديّ ، والقائم ، والمنتظر ، والحجّة ، وصاحب الأمر .

وروى الصدوق والمفيد والطوسي والمرتضى[(٤)] وغيرهم بأسانيد معتبرة عن حكيمة ، قالت : كانت لي جارية يقال لها : نرجس ، فزارني ابن أخي عليه السلام ـ يعني الحسن العسكري عليه السلام ـ وأقبل يحدّ النظر إليها .

---

(١) الفصول المختارة : ٣١٨ . الإرشاد : ٣٣٩/٢ . غيبة الطوسي : ٢٣٤ ، الحديث ٢٠٤ . وصول الأخيار : ٤٤ .

(٢) الهداية الكبرى : ٣٣١ .

(٣) دلائل الإمامة : ٥٠١ . عيون المعجزات : ١٢٨ .

(٤) لم نجده في كتب المفيد والمرتضى .

فقلت له : يا سيّدي ، لعلّك هويتها ، فأرسلها إليك ؟

فقال : **لا يا عمّة ، لكنّي أتعجّب منها .**

فقلت : وما أعجبك ؟

فقال عليه السلام : **سيخرج منها ولد كريم على الله عزّ وجلّ ، الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً .**

فقلت : فأرسلها إليك يا سيّدي ؟

فقال : **استأذني في ذلك أبي عليه السلام .**

قالت : فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن عليه السلام ، فسلّمت وجلست ، فبدأني عليه السلام وقال : **يا حكيمة ، إبعثي بنرجس إلى ابني أبي محمّد .**

قالت : فقلت : يا سيّدي ، على هذا قصدتك أن استأذنك في ذلك .

فقال : **يا مباركة ، إنّ الله تعالى أحبّ أن يشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً .**

قالت حكيمة : فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي وزيّنتها ووهبتها لأبي محمّد ، وجمعت بينه وبينها في منزلي ، فأقام عندي أيّاماً ثمّ مضى إلى والده ، ووجّهت بها معه .

قالت حكيمة : فمضى أبو الحسن عليه السلام وجلس أبو محمّد مكان والده ، وكنت أزوره كما كنت أزور والده ، فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفّيّ ، وقالت : يا مولاتي ، ناوليني خفّك .

فقلت : بل أنت سيّدتي ومولاتي ، والله لا دفعت خفّي إليك لتخلعيه ولا خدمتيني ، بل أخدمك على بصري ، فسمع أبو محمّد عليه السلام ذلك فقال : **جزاك الله خيراً يا عمّة** ، فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس فصحت بالجارية وقلت : ناوليني ثيابي لأنصرف .

فقال عليه السلام : **يا عمتاه ، بيتي الليلة عندنا ، فإنّه سيولد الليلة المولود الكريم على الله**

عزّ وجلّ الذي يحيي به الله عزّ وجلّ الأرض بعد موتها .

قلت : ممّن يا سيّدي ، ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل ؟

فقال : **من نرجس لا من غيرها .**

قالت : فوثبت إلى نرجس فقلّبتها ظهراً لبطن ، فلم أرَ بها أثراً من حبل ، فعدت إليه فأخبرته بما فعلت .

فتبسّم ثمّ قال لي : **إذا كان وقت الفجر يظهر لك الحبل ؛ لأنّ مثلها مثل أمّ موسى لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها ؛ لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحبالى في طلب موسى عليه السلام وهذا نظير موسى »**[1] .

وفي رواية أخرى : **إنّا معاشر الأوصياء لسنا نحمل في البطون ، وإنّما نحمل في الجنوب ، ولا نخرج من الأرحام ، وإنّما نخرج من الفخذ الأيمن من أمّهاتنا ؛ لأنّنا نور الله الذي لا تناله الدانسات**[2] .

قالت حكيمة : فلمّا أن صلّيت المغرب والعشاء الآخرة أتيت بالمائدة فأفطرت أنا ونرجس ، وبايتّها في بيت فغفوت غفوة ، ثمّ استيقظت فلم أزل مفكّرة فيما وعدني أبو محمّد عليه السلام من أمر وليّ الله عليه السلام ، فقمت قبل الوقت الذي كنت أقوم في كلّ ليلة فصلّيت صلاة الليل حتّى إذا بلغت إلى الوتر ، فوثبت نرجس فزعة وخرجت وأسبغت الوضوء ثمّ عادت فصلّت صلاة الليل وبلغت إلى الوتر ، فوقع في قلبي أنّ الفجر قد قرب ، فقمت لأنظر فإذا أنا بالفجر الأوّل قد طلع ، فتداخل قلبي الشكّ

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٤٢٦ ، الحديث ٢ . غيبة الطوسي : ٢٣٤ . عيون المعجزات : ١٣٠ . الثاقب في المناقب : ٢٠١ ، الحديث ١٧٨ . روضة الواعظين : ٢٥٧ . الخرائج والجرائح : ٤٥٥/١ ، الحديث ١ . بحار الأنوار : ١١/٥١ ، الحديث ١٤ .

(٢) الهداية الكبرى : ٣٥٥ . بحار الأنوار : ٢٦/٥١ .

من وعد أبي محمّد عليه السلام، فناداني من حجرته: **لا تشكّي، وكأنّك بالأمر الساعة قد رأيتيه إن شاء الله.**

قالت حكيمة: فاستحييت من أبي محمّد عليه السلام وممّا وقع في قلبي(١)، حتّى إذا كان وقت طلوع الفجر، وثبت نرجس فزعة وضممتها إلى صدري، وسمّيت عليها، فصاح أبو محمّد عليه السلام: **إقرئي عليها إنّا أنزلناه في ليلة القدر**، فأقبلت أقرأ عليها وقلت لها: ما حالك؟

قالت: ظهر الأمر الذي أخبرك به مولاي، فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني، فأجابني الجنين من بطنها يقرأ كما أقرأ، وسلّم عليَّ.

قالت حكيمة: ففزعت لما سمعت، فصاح بي أبو محمّد عليه السلام: **لا تعجبي من أمر الله عزّ وجلّ. إنّ الله تبارك وتعالى ينطقنا بالحكمة صغاراً ويجعلنا حجّة في أرضه كباراً**، فلم يستتمّ الكلام حتّى غيّبت عنّي نرجس فلم أرها كأنّه قد ضرب بيني وبينها حجاب، فعدوت نحو أبي محمّد عليه السلام وأنا صارخة، فقال لي: **ارجعي يا عمّة، فإنّك ستجديها في مكانها.**

قالت: فرجعت فلم ألبث أن كُشف الحجاب بيني وبينها، وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشي بصري، وإذا أنا بالصبيّ ساجداً على وجهه جاثياً على ركبتيه، رافعاً سبّابتيه نحو السماء، وهو يقول: **أشهد أن لا إلـه إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ أبي أمير المؤمنين عليه السلام.**

ثمّ عدّ إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه، فقال عليه السلام: **اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني، وأتمم لي أمري، وثبّت لي وطأتي، واملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً**»(٢).

---

(١) الغيبة / الطوسي: ٢٣٥، الحديث ٢٠٤. بحار الأنوار: ١٧/٥١، الحديث ٢٥، وفيهما: «سوسن» بدل «نرجس».

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٨، الحديث ٢. روضة الواعظين: ٢٥٨. الثاقب في ⇦

« قالت : لمّا ولد عليه السلام رأيت له نوراً ساطعاً قد ظهر منه وبلغ أُفق السماء ، ورأيت طيوراً بيضاً تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثمّ تطير ، فناداني أبو محمّد عليه السلام وهو يقول : **يا عمّتي ، هاتي ابني إليَّ** ، فتناولته وإذا هو نظيف مفروغ منه ، وعلى ذراعه الأيمن مكتوب : جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً ، فأتيته به ، فتناوله وأخرج لسانه فمسحه على عينيه ففتحهما ، ثمّ أدخله في فيه فحنّكه ، ثمّ أدخله في أُذنيه وأجلسه في راحته اليسرى ، فاستوى وليّ الله جالساً فمسح يده على رأسه ، وقال له : **يا بنيّ ، انطق بقدرة الله** ، فاستعاذ وليّ الله من الشيطان الرجيم واستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (١) .

وصلّى على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة واحداً واحداً حتّى انتهى إلى أبيه ، ثمّ أتت الطيور ترفرف على رأسه عليه السلام ، فصاح بطير منها فقال : **إحمله واحفظه وردّه إلينا في كلّ أربعين يوماً** ، فتناوله الطائر وطار به في جوّ السماء ، واتّبعه سائر الطير ، فسمعت أبا محمّد عليه السلام يقول : **أستودعك الذي استودعته أمّ موسى عليه السلام** فبكت نرجس .

فقال لها : اسكتي ، فإنّ الرضاع محرّم عليه إلّا من ثديك ، وسيعاد إليك كما ردّ موسى إلى أمّه ؛ وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ (٢) .

قالت حكيمة : فقلت : ما هذا الطائر ؟

⇦ المناقب : ٢٠٢ ، الحديث ١٧٨ .

(١) القصص ٢٨ : ٥ و ٦ .

(٢) القصص ٢٨ : ١٣ .

فقال : **هذا روح القدس الموكّل بالأئمّة عليهم السلام يوفّقهم ويسدّدهم ويزيّنهم بالعلم** .

قالت حكيمة : فلمّا أن كان بعد أربعين يوماً ردّ الغلام ، ووجّه إليّ ابن أخي فدعاني ، فدخلت عليه ، فإذا أنا بصبيّ متحرّك يمشي بين يديه .

فقلت : سيّدي ، هذا ابن سنتين ! فتبسّم عليه السلام ثمّ قال : **إنّ أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمّة ينشأون بخلاف ما ينشأ غيرهم ، وإنّ الصبيّ منّا إذا أتى عليه شهر كان كمن يأتي عليه سنة ، وإنّ الصبيّ منّا ليتكلّم في بطن أمّه ، ويقرأ القرآن ، ويعبد ربّه عزّ وجلّ ، وعند الرضاع تطيعه الملائكة ، وتنزل عليه صباحاً ومساءً** .

قالت حكيمة : فلم أزل أرى ذلك الصبيّ كلّ أربعين يوماً ، إلى أن رأيته رجلاً قبل مضيّ أبي محمّد عليه السلام بأيّام قلائل ، فلم أعرفه ، فقلت لأبي محمّد عليه السلام : من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه ؟

فقال : **ابن نرجس ، وهو خليفتي من بعدي ، وعن قليل تفقدوني ، فاسمعي له وأطيعي** .

قالت حكيمة : فمضى أبو محمّد عليه السلام بأيّام قلائل وافترق النّاس كما ترى ، ووالله إنّي لأراه صباحاً ومساءً ، وأنّه لينبئني عمّا تسألوني عنه فأخبركم ، [ووالله إنّي لأريد أن أسأله عن الشيء فيبدأني به ، وأنّه ليرد عليّ الأمر ، فيخرج إليّ منه جوابه من ساعته من غير مسألتي ، وقد أخبرني البارحة بمجيئك إليّ أيّها الرجل السائل ، وأمرني أن أخبرك بالحقّ] (١)»(٢) .

وقال الشيخ الطبرسي في **«الاحتجاج»** : «أمّا الأبواب المرضيّون ، والسفراء الممدوحون : فأوّلهم الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري ، نصبه

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من المصادر .

(٢) كمال الدين وتمام النعمة : ٤٣٠ ، الحديث ٢ . روضة الواعظين : ٢٦٠ . بحار الأنوار : ٥١/١١ ، الحديث ١٤ .

أوّلاً أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام، ثمّ ابنه أبو محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام، فتولّى القيام بأمورهما حال حياتهما، ثمّ بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان عليه السلام، وكانت توقيعاته عليه السلام وجواب المسائل، تخرج على يديه.

فلمّا مضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان مقامه، وناب منابه في جميع ذلك.

فلمّا مضى قام بذلك الحسين بن روح، من بني نوبخت.

فلمّا مضى قام مقامه أبو الحسن عليّ بن محمّد السمري، ولم يقم أحد بذلك إلّا بنصّ عليه من قِبل صاحب الزمان، ونصب صاحبه الذي تقدّم عليه، فلم تقبل الشيعة قولهم إلّا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كلّ واحد منهم من قِبل صاحب الأمر عليه السلام تدلّ على صدق مقالتهم، وصحّة نيابتهم.

فلمّا حان رحيل أبي الحسن السمري عن الدنيا وقرب أجله، قيل له: إلى من توصي؟ فأخرج توقيعاً إليهم هذه نسخته:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يا عليَّ بنَ مُحَمَّدٍ السَّمري، أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَ إِخْوانِكَ فيكَ، فَأَنْتَ مَيِّتٌ وَما بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَوْتِ سِتَّةِ أَيّامٍ، فَأَجْمِعْ أَمْرَكَ، وَلَا توصِ إِلىٰ أَحَدٍ فَيَقومَ مَقامَكَ بَعْدَ وَفاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الْغَيْبَةُ التّامَّةُ، فَلَا ظُهورَ إِلّا بَعْدَ إِذْنِ اللهِ تَعالىٰ ذِكْرُه، وَذٰلِكَ بَعْدَ طولِ الْأَمَدِ، وَقَسْوَةِ الْقُلوبِ، وَامْتِلاءِ الْأَرْضِ جَوراً، وَسَيأْتي عَلىٰ شيعَتي مَنْ يَدَّعي الْمُشاهَدَةَ أَلَا فَمَنِ ادَّعَى الْمُشاهَدَةَ قَبْلَ خروجِ السُّفْيانيِ وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ كَذّابٌ مُفْتَرٍ.

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظيمِ

قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه

وهو يجود بنفسه.

فقيل له: مَن وصيّك من بعدك ؟

فقال: لله أمر هو بالغه، وقضى، فهذا آخر كلام سُمع منه »[١].

وروى الصدوق في «الإكمال» عن محمّد بن مسلم، عن الباقر عليه السلام، قال: « **القائم منّا منصور بالرعب، مؤيّد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويُظهر الله عزّ وجلّ به دينه ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلّا عمّر، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلّي خلفه.**

فقلت له: يابن رسول الله، متى يخرج قائمكم ؟

قال عليه السلام: **إذا تشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وركب ذوات الفروج السروج، وقبلت شهادات الزور، وردّت شهادات العدول، واستخفّ النّاس بالدماء، وارتكب الزنا، وأُكل الربا، واتّقي الأشرار مخافة ألسنتهم، وخرج السفياني من الشام، واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمّد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام اسمه: محمّد بن الحسن النفس الزكيّة، وجاءت صيحة من السماء بأنّ الحقّ فيه وفي شيعته، فعند ذلك خروج قائمنا.**

فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة، واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وأوّل ما ينطق به هذه الآية: ﴿ بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢]، ثمّ يقول: أنا بقيّة الله في أرضه، فإذا اجتمع إليه العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج، فلا يبقى في الأرض معبود دون الله عزّ وجلّ، من صنم وغيره إلّا وقعت فيه نار واحترق، وذلك بعد غيبة طويلة، ليعلم الله من يطيعه بالغيب ويؤمن به »[٣].

---

(١) الاحتجاج: ٢/٢٩٦.

(٢) هود ١١: ٨٦.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٣١، الحديث ١٦.

قال الصادق عليه السلام: «**خمس قبل قيام القائم: اليماني، والسفياني، والمنادي ينادي من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكيّة**»(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عشر قبل الساعة لا بدّ منها: السفياني، والدجّال، والدخان، والدابّة، وخروج القائم، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام، وخسف بالمشرق، وخسف بالجزيرة جزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر**»(٢).

وعن الصادق عليه السلام، قال: «**خروج الثلاثة: الخراساني، والسفياني، واليماني، في سنة واحدة في شهر واحد، وليس فيها راية أهدى من راية اليماني، يهدي إلى الحقّ**»(٣).

اللّهمّ عجّل فرجه، وسهّل مخرجه، واجعلنا من أنصاره وأعوانه ومقوّية شوكته وسلطانه،

واخترنا معه ومع آبائه الطاهرين في الدنيا والآخرة

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً

وصلّى الله على محمّد وآله

وقد وقع الفراغ من تحقيق هذا الكتاب ليلة ولادة ثامن الأئمّة

الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام من سنة ١٤٢٧هـ،

جعلنا الله من المتمسّكين بولائهم أجمعين،

والحمد لله ربّ العالمين

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٤٩، الحديث ١.

(٢) الغيبة / الطوسي: ٤٣٧، الحديث ٤٢٦. بحار الأنوار: ٢٠٩/٥٢، الحديث ٤٨.

(٣) الإرشاد / المفيد: ٣٧٥/٢. الغيبة / الطوسي: ٤٤٦، الحديث ٤٤٣. الخرائج والجرائح / الراوندي: ١١٦٣/٣. بحار الأنوار / المجلسي: ٢١٠/٥٢، الحديث ٥٢.

المحتويات